جامعة الجزائر 2 _ أبو القاسم سعد الله

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

تأثير الفكر الإصلاحي على مكانة الطرق الصوفية في الجزائر 1900-1945م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث المعاصر

إعداد الطالب: أحمد دركوش

إشراف الدكتور: حسان مغدوري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
بوعزة بوضرساية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	رئيسا
حسان مغدوري	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيان عاشور الجلفة	مقررا
عبدالرحمن أولاد سيدي الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا
محمد ودوع	أستاذ محاضر .أ	جامعة تيبازة	عضوا
محمد الشيخ برابح	أستاذ التعليم العالي	جامعة زيان عاشور الجلفة	عضوا
سعاد مصطفاوي	أستاذ محاضر .أ	جامعة الجزائر2	عضوا

السنة الجامعية 1441-1442هـ /2019-2020م

﴿الإهداء﴾

إلى اللذين قضى ربك بطاعتهما

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ
أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾

[الإسراء:23]

دركوش أحمد

﴿ شكر وعرفان ﴾

أتقدم بأسمى آيات الشكر و العرفان إلى أستاذنا القدير بوعزة بوضرساية و الدكتور حسان مغدوري لإشرافهما و تتبعهما مراحل إنجاز هذه الرسالة

دركوش أحمد

قائمة المختصرات

1: باللغة العربية :

- ش،و،ن،ت: الشركة الوطنية للنشر و التوزيع
- م.و.ك: المؤسسة الوطنية للكتاب
- د،م،ج: ديوان المطبوعات الجامعية
- ط،خ،و،م: طبعة خاصة،وزارة المجاهدين
- تر: ترجمة

2: ،باللغة الفرنسية

CAN: Centre des Archives Nationales(Alger)
AOM : Archives d'Outre Mer
GGA:Gouvernement General d'Algérie
APOM:Archives privés d'Outre Mer
DAM: Direction des affaires musulmanes
CHEAM:Centre de Hautes Etudes D'administration Musulmanes
SIP: société indigène de prévoyance
ED:Edition
PUF: Presses Universitaires DE France
R:Rappot
S.P.I.D.A

مُقَدِّمَةٌ

مقدمة

يتناول هذا البحث تأثير الفكر الإصلاحي على مكانة الطرق الصوفية في الجزائر في الفترة الممتدة من 1900 إلى 1945، أي الفترة التي شهدت تحولات عميقة شملت مختلف مجالات الحياة السياسية ففشل المقاومة العسكرة خلال القرن 15 فتح المجال أمام مراجعة شاملة للفكر الديني الذي مثلته على امتداد فترة المقاومات الشعبية.

مع بداية القرن العشرين بدأت تظهر تحولات كبرى على الواقع الجزائري السياسي وتأثيراته الاجتماعية والاقتصادية، مع تراجع العمل العسكري ممثلا في فشل المقاومات الشعبية التي رفع لواءها رجال الطرق الصوفية وشيوخ الزوايا والمرابطين على اعتبار أن الصراع بين ديار الكفر وديار الجهاد وكان واقعا مصدره الحياة الإسلامية التي كان يعيشها الشعب الجزائري عبر عهود سابقة كونت منه ذلك المسلم المجاهد الذي يرفع سلاحه كلما أحس أو سمع نداء الجهاد.

في الربع الأول القرن العشرين ظهرت إلى الوجود أفكار تدعو إلى تحسين أوضاع الجزائريين على شكل دعوات فردية لرجالات العلم من علماء الجزائر، الذين غيروا أسلوب المقاومة التقليدي الذي كان يستند الى قرار الشيخ أو الزاوية أو مرجعية دينية أو طريقة بذاتها إلى شخص يحمل تجديدا في الفكر إما محلي المصدر جزائري أصيل أو فكرا وافدا من المشرق العربي الذي كان يحمل فكره النهضة بالعالم بالإسلامي مجسدا في فكر الشيخ جمال الدين الأفغاني أو تلاميذه الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا ودعوة الحركة الوهابية للشيخ محمد بن عبد الوهاب لتكون في الجزائر مزيج لهذه الحركات المشرقية أو تأثير منارات العلم القريبة منها والبعيدة (الزيتونة، القرويين، الأزهر، الهند،....)

أسباب اختيار الموضوع:

- رغبتي في البحث ضمن المواضيع ذات الصلة بالحياة الفكرية والعلمية والثقافية عموما للوقوف على أهمية هذا الواقع في إعطاء صورة صادقة عن وضع المجتمع وعلاقته بقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع.
- التعرف على الظروف القاسية التي عاشها الشعب الجزائري في مختلف مراحل الاستعمار الفرنسي وخاصة في مطلع القرن العشرين، الذي ظلفيه فاعلا و محركا وتكيف مع واقع جديد محافظا على أصالته وعروبته متمسكا بإسلامه مرتبطا بجذوره متأثرا بعالمه الإسلامي مشرقه ومغربه.
- محاولة الوقوف على بعض الحقائق حول جذور الصراع بين الاتجاه الطرقي والإصلاحي والاتهامات المتبادلة بينهما، وموقف الاستعمار في تذكيه ذلك الصراع.
- الوقوف على جهود بعض رجالات الإصلاح قبل ظهور جمعية العلماء وكيف انحصر عملهم على تجديد مفاهيم البنية الفكرية دونما الوضع الوعظ والإرشاد والعمل الفردي أو التأليف دون التأطير والتنظيم.
- كيف كانت الحياة الصوفية واقعا اجتماعيا له جذوره تاريخية وتأثيرات الواقع طول الفترة العثمانية في الجزائر وتواصل إلى ما بعد الاحتلال وتجسده في فكر الجهاد والمقاومة ليغيره الجزائريون بعد أن تأثروا وأحدثوا واقعا جديدا تمثل في الفكر الإصلاحي.
- دراسة الطرقية والإصلاح باعتبارهما ظاهرة اجتماعية قابلة للتحليل والتفسير.

- **إشكالية البحث:**

لتحديد معنى لموضوع أطروحتي حول تأثير الفكر الإصلاحي على مكانة الطرق الصوفية في الجزائر وجب الإجابة عن عدة إشكاليات أساسية.

- ما هو جوهر الخلاف بين الفكر الإصلاحي والفكر الطرقي التقليدي

- كيف وقفت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أخذ المبادرة في هيكلة وتأطير الفكر الإصلاحي والارتقاء به من مجرد خطاب إلى برنامج عمل
- لماذا لم ينصف التاريخ عظماء وأعمدة الفكر الإصلاحي – قبل وبعد ظهور جمعية العلماء– ولم ينالوا نصيبهم في الحضور على واجهة الأحداث
- هل استطاعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتبارها مؤسسة ساهمت في هيكلة وتأطير للفكر الإصلاحي من استغلال كافة الأفكار التنويرية لهذا الفكر أوأنهم توقفوا في حدود متطلبات السياق التاريخي والسياسي للفترة (1900–1945) محل الدراسة.
- جمعية العلماء بين التأسيس والاستثمار هل في ظهورها كمؤسسة حديثة كانت لها القدرة على تمثيل ظاهرة دينية وتحول اجتماعي يعود ذلك إلى إمكانيات عبقرية فرنسية أم لخصوصية البيئة.
- إن تاريخ الأفكار عمل جاد وأصيل يتطلب الإلمام بفلسفة الأفكار ومرجعيتها ومحتوى تلك الأفكار في أبعادها المختلفة.

- **مناهج البحث:**

يفرض نوع الدراسة وطبيعتها منهجا معينا أو عدة مناهج لتحقيق الهدف، وانطلاقا من هذا الموضوع كان علينا الاستعانة بالمناهج التالية:

1/ **المنهج التاريخي:** من خلال جمع المعلومات عن الأحداث وتحليلها ونقدها والتأكد من صحتها، وهذا بعد عرضها وترتيبها واستخلاص النتائج العامة منها. وكل ذلك من أجل تقصي الأحداث والوقوف على سيرها التاريخي وما أقرته المصادر التاريخية.

2/ المنهج الوصفي: بهدف الوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية انطلاقا من وصف الأحداث وجمع المعلومات الدقيقة.

3/ **المنهج الإحصائي:** لقد فرض موضوع الدراسة الاستعانة بأرقام وجداول لخدمة معرفة تاريخية ومعرفية

4/ **المنهج المقارن:** من أجل توضيح الحقائق، ومقارنة جهود الاتجاه الطرقي ومدى تطوره إلى أسلوب ووسائل جديدة استغلها الاتجاه الإصلاحي بداية من القرن العشرين وصولا إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وما تمثله من تطور في الأخذ بأساليب العصر.

في معرفة أوجه التشابه والاختلاف على ضوء الدراسات المتنوعة التي تناولت الفكر الطرقي والفكر الاصلاحي من جهة أخرى

المقابلات: تعتبر من الأدوات المتنوعة لجمع المعلومات والبيانات في دراسة تاريخ الأفراد والجماعات وباعتباره موضوع حساس ما زال تأثير ذلك التنافر وتوارثه عبر الأجيال، كانت لنا مقابلات شخصية مع بعض شيوخ زوايا وبعض تلاميذ جمعية العلماء ممن عاصر ذلك الصراع أو سمعوا أو قرأوا عنه في ذلك الوقت ممن عاصروا ذلك الخلاف وتأثروا بمضاعفاته. امثال الشيخ والعالم الجليل بربوع أولاد نايل سي جابري سالت وهو الى الأن مدرس بمدرسة الاخلاص لولاية الجلفة .

- فرض اتساع وتشعب موضوع الدراسة في البحث في الاتجاهين المتنازعين

تنوعت مصادرنا ومراجعنا لتشعب الموضوع بين تيارين متجذرين في تاريخ الحركة الوطنية والتاريخ العام للجزائر ألا وهما التيار التقليدي الطرقي الصوفي والتيار التنويري الحديث الإصلاحي السلفي ممثلا في الزوايا والطرق الصوفية من جهة ورواد الفكر الإصلاحي وجمعية العلماء المسلمين من جهة أخرى.

اعتمدنا على كتابات الفرنسيين من الضباط والأكاديميين ومن عينات لشخصيات عايشت الواقع الجزائري، والتي زودني بها الأستاذ المشرف والتي تؤرخ لفترة 1925 إلى 1946 وهي نقل لشهادات حية، ولاسيما في مجال الحياة الاجتماعية والظروف الصعبة التي عاشها الجزائريون في المسكن واللباس والغذاء والصحة والشغل وغيرها

اخترت شهادات جزائريين وأجانب باللغتين العربية والفرنسية، وكان أبرزها شهادات فرحات عباس، وأحمد توفيق المدني ومحمد حربي ويوسف بن خدة، خاصة فيما تعلق بمقدمات الحرب العالمية الثانية وما بعدها.

أما الأجانب فكانت شهادات وكتابات جون مليا (MELIA Jean) وعرضه للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين وكتابات ألبيير كامو (Camus Albert) وكتابه يوميات جزائرية، وجرائد ذائعة ومقروءة آنذاك مثل لا دباش أليجريان (La DépecheAlgerienne) وايكو دالجي (L'écho D'alger) وفيها شهادات كامو حول البؤس ومحاولته تحسيسه للإدارة الاستعمارية بالخطورة التي تهدد النظام الكولونيالي إذا استمر على نفس قواعد الحكم، والرجوع إلى بعض الجرائد والمجلات الفرنسية التي صدرت في الفترة ما بين 1930 إلى 1945 من بينها ايكو دورون(L'écho d'Oran) لسنة 1942 ومجلة لي دوموند(Revue Des Deux Mondes) وقد تم الرجوع إلى كتابات تاريخية هامة على غرار كتابات ومؤلفات الدكتور أبو القاسم سعد الله ، الذي أسهب في ذكر تفصيل الأحداث خاصة وأنه من أبناء الفكر الإصلاحي، كما بحثت في رسائل ماجستير منها رسالة ماجستير للباحث خنفوق إسماعيل بعنوان (الطرق الصوفية في الأوراس) وقد اهتم بالجانب التاريخي السياسي لمنطقة معينة كعينة وهنالك رسالة للباحثة مفيدة بلهامل بعنوان (وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) عن جامعة الأمير عبد القادر (1996-1997) وذكرها لوسائل الاتصال مع الطرق الصوفية وغيرها من الاتجاهات وهنالك رسالة بجامعة قسنطينة في قسم الدعوة والإعلام والاتصال سنة 2001 من أعداد الباحثة سامية جفال بعنوان (منهجية التغيير عند عبد الحميد بن باديس) مركزة على النواحي الفكرية ومرجعياتها.

هنالك مرجع أساسي أكاديمي لابد منه اعتمدنا عليه في هذا البحث وهو دراسة الأستاذ (المرحوم)علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر (1925-1940) وهو بحث في التاريخ الديني والاجتماعي. طهرت في الستينات باللغة الفرنسية وأعيدت طباعته العديد

من المرات وتمت ترجمته إلى العربية من قبل الأستاذ (المرحوم) محمد يحياتن عن دار الحكمة سنة 2007، وقد تطرق إلى النشأة التنظيمية له في جمعية العلماء والمرجعية الفكرية والفلسفية للحركة الإصلاحية في جميع الميادين التي انشغلت عليها مبرزا التحديات التي واجهتها وتقييمها والحكم عليها ولها.

- دراسة لأحمد الخطيب بعنوان: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي وقد تناول دورا الجمعية الميادين ومدى تأثيره على المجتمع و النقل النوعية التي احدثتها
- دراسة مازن المطبقاني بعنوان: جمعية العلماء ودورها في الحركة الوطنية، وهي رسالة ماجستير الحديث في قسم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز وقد صدرت عن دار العلم بدمشق سنة 1998 وقد شملت وثائق من الأرشيف ذات أهمية بالغة ووثائق باللغتين الفرنسية والانجليزية معتمدا على كتب أغلبها من كتاب محايدين يكتبون باللغة الانجليزية ومن جامعات عالمية كبرى.
- دراسة عبد الكريم بوصفصاف رحمه الله وكتابة جمعية العلماء المسلمين وعلاقتها بالحركات الأخرى (1931-1945) الجزائر من خلال فكرها وجذوره وعلاقتهما بالتيارات الأخرى
- أما الكتب التي تؤرخ للطرق الصوفية فأهمها كتاب ((الروضة السنية في ذكر المآثر العلوية للشيخ عدة بن تونس وقد جاء فيه ترجمة للشيخ العلوي والخلاف بينه وبين رجال جمعية العلماء، بالإضافة إلى مذكرات طبيب فرنسي الطيب الخاص للشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي وهو عبارة عن مذكرات أو ذكريات مارسيل كاريه وهي مصدر مهم عن الحياة داخل الطريقة العلوية.

بالإضافة إلى كتب الطرقيين هناك جانب مهم أرخ لواقع تلك الفترة مثلا في إنتاجهما من الصحف والمجلات منها صحف الفكر الإصلاحي والجمعية مثل (المنتقد) و(الشهاب) و(الإصلاح) و(البرق) و(صدى الصحراء) و (السنة) و(الشريعة) و(الصراط) و(البصائر).

أما الاتجاه الطرقي فنجد جريدة (البلاغ الجزائري) ومجلة (المرشد).

بالإضافة إلى التقرير الصادر عن جمعية العلماء المسلمين بعنوان (سجل مؤتمر الجمعية) المنعقد عام 1935 وبه 238 صفحة به تقرير عام حول إنجازات الجمعية إلى غاية 1935 ويشمل كل ما يتعلق بالجمعية من قانون أساسي ونصوص وقصائد وأشعار.

لقد خلف الصراع تأليف العديد من الرسائل والكتب التي تؤيد أو تفضح أو تنتقد منها ما كتبه الشيخ تؤيد أو تفضح أو تنتقد منها ما كتبه الشيخ مبارك الميلي بعنوان (رسالة الشرك ومظاهره) وكتاب (بدعة الطرائق في الإسلام) للشيخ العربي التبسي وكتاب (الصراع بين السنة والبدعة) للشيخ أحمد حماني أما الطرف الآخر (الاتجاه الطرقي) منها كتب ومؤلفات ورسائل أحمد بن مصطفى بن عليوة المستغانمي منها (رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف).

- **صعوبات البحث:**

من صعوبات هذا البحث هي حساسية الموضوع الذي يتناول بالدراسة واقعا فكريا و دينيا مازالت تأثيراته تتفاعل الى يومنا هذا و تخص مواقف تصل أحيان الى حد التطرف وغياب الموضوعية في الكثير من الكتابات خاصة أن أغلبها كتب بإيعاز من أطراف تريد رفع أو حط من قيمة الطرف الآخر وخاصة غياب شهادات الطرف الطرقي التي أردت أن أجدها عند بعض رجالاتها أو استقراء ذلك من بعض ملتقيات الطرق الصوفية ومثالها الملتقى الوطني الأول المنعقد في نوفمبر 2009 والذي كان عنوانه دور الزوايا والشخصية الوطنية بالإضافة إلى وجود العدد الكثير من المؤلفات والكتب والرسائل الجامعية بجامعات الشرق الجزائري (باتنة، قسنطينة) لكن أغلبها يدافع عن الجمعية وعدد منها يقف محاميا على الفكر الطرقي خاصة الطريقة العليوية، وكل ذلك يجعل الحكم على ذلك الصراع صعب .

الفصـل الأول

التصوف طرقه وخصائصه

1. مدخل إلى التصوف ونشأته
2. مفهوم التصوف
3. تعريف الطريقة
4. تعريف الزاوية وأنواعها
5. الهيئات الأساسية للطريقة الصوفية
6. نشأة التصوف في المغرب الإسلامي
7. الطرق الصوفية ظاهرة اجتماعية
8. خصائص الطرق الصوفية ومميزاتها

كان معظم علماء الزوايا وشيوخ الطرق الصوفية بعد الغزو الفرنسي للجزائر يعتبرون الروح الدينية والعاطفة الوطنية مسألة كلية، لذلك استمر الشعب الجزائري في التصدي بهذه الروح والعاطفة من مقاومة إلى أخرى وقد شهد المحتلون أنفسهم بهذه الحقيقة التاريخية حيث قال العقيد دونوف (DE NEVEU)[1] وهذا التنظيم الخفي والقوي (الطرق الصوفية) هو الذي كان يسمح للجزائريين بالثقة في أناس يدعونهم باسم " الله ومحمد " إلى الثورة و ينتزعونهم من أعمالهم الزراعية، بينما نضطر نحن إلى استعمال القوة باستمرار لإجبار الأهالي على أتباع أرائنا.

بسبب قوة هذه الخلايا النائمة قامت الاستخبارات الفرنسية بالقيام بدراسة و مراقبة الزوايا ونشاط كل طريقة وتنظيمها، والعلاقة بينها وبين غيرها والوسائل التي تستعملها في تحريض الجماهير ضد الوجود الفرنسي، و هذا تداركا لإهمال تلك الجوانب في تقاريرهم اليومية و الشهرية وعجزهم في البداية عن اكتشاف شيء واضح للتنظيمات الداخلية لهذه الزوايا و قد عبر عن ذلك ماكما هون[1]* عام 1851م قائلا : (يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري وما يقال فيها) .

*ماكماهون: هو Marie Edme Patrice Maurice ولد في 12 جوان 1808 ،قدم إلى الجزائر سنة 1830 كملازم أول في مجلس القيادة ، ثم نقيب سنة 1833 ،أصيب في أكتوبر1837 أثناء احتلال قسنطينة ،بقي في مجلس القيادة إلى غاية غاية 1840 وفي سنة 1848 أصبح جنرالا ،في 1852 –1855 عين قائد مقاطعة قسنطينة ، ثممنصب جنرال مدة 40 سنة تقلد منصب مارشال عند سن 51سنة ، في 1864 عين حاكم عام للجزائر ، وفي 1875 رئيسا للجمهورية توفي في 17 / 1893/9.**أنظر** :

-Narcisse Faucan:Livre d'Or de L'Algérie Librairie Algérienne Et Coloniale Paris،1889،P407 .

1- مدخل إلى التصوف ونشأته:

يعتبر موضوع التصوف من المواضيع الهامة التي أثارت جدلا كبيرا بين العلماء والباحثين في علوم الدين والحياة الروحية، واختلفت آراؤهم من حيث حقيقته وتوجهاته وبيان أصوله وفروعه.

وتأتي هذه الدراسة لتحاول فهم حقيقة التصوف من خلال ضبط مفهومه لغة واصطلاحا ومحاولة تحديد معالم نشأته وانتشاره.

2- مفهوم التصوف:

أ- لغة: تعرف كلمة التصوف في لغتنا اشتقاقا واحدا يتفق عليه، إذ قيل أنها مشتقة من صفاء القلوب وهو قول يؤيده صاحب "اللمع"[1] حسب ما نقله عنه إبراهيم بسيوني. وقيل أنها مشتقة من "الصفة" (أو صفة المسجد) وهو مكان في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يجلس فيه متعبدون زهاد من فقراء المسلمين [2].

ويرى آخرون في اشتقاقها نسبة إلى أولئك الذين يجلسون في الصف الأول في المسجد أثناء الصلاة. [3] وهناك من يرى أن التصوف نسبة إلى "صفوة" أو "بني صفوة" وهم قوم كانوا في الجاهلية يخدمون الكعبة ويجهزون الحجيج، ويقول أبو عبيدة أنهم قبائل اجتمعوا وتشبكوا كما يتشبك الصوف. [4]

من الظواهر التاريخية التي جادت بها الحضارة الإسلامية في مسيرتها التاريخية، ظاهرة التصوف التي سادت حياة الأمة وأنكب إليها المجتمع الإسلامي محاولا احتواءها وحصرها في حقيقتها ومواصفاتها مما استدعى ذلك اجتهاد العلماء في تحديد صفوفها، وقد أعدت

---

(1) – إبراهيم بسيوني، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف، مصر 1969م، ص09.

(2) – ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر 2002م، ص22.

(3) – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، أضواء على الطرق الصوفية في القارة الإفريقية، المطبعة الفنية الجزائر، 1990م، ص12.

حول مفهوم التصوف مناهج متداخلة انطلقت من اللغة ذاتها، ومن التسمية اللفظية إلى المصطلح، وتوزع التعريف اللغو.

وقد تعرضت هذه التسمية للكثير من الأخذ والرد بين الباحثين على اختلافهم ونشأت عن ذلك مواقف متباينة اتجاه الصوفية.

قيل إن الاسم مرادف لكلمة " تقرأ" أو تقري بما يدل على القرب من الله و يقال تقرأ ، أي تَنسك و مال إلى حياة الزهد ، وقد جاء في لسان العرب (صاف عني شره يصوف صفوفا : عدل وصاف وصوفاني كل ذلك كثير الصوف وأما القشيري في رسالته في باب التصوف " ... الصفاء محمود بكل لسان ضده الكدورة وهي مذمومة " [1]

وقد قيل أيضا إن كلمة الصوفية أطلقت على مدرسة من مدارس التنسك نشأت في الكوفة ، ثم أطلق على منتسكة العراق (210هـ) ثم أطلقت كلمة الصوفية بعد ذلك على جميع النساك من المسلمين بلا استثناء [2].

أما بعضهم فقد ربط الاسم و ليس الصوف و هو ما ذهب إليه نيكلسون وزاد عن ذلك بالقول أن زهاد المسلمين القدماء الذين لبسوا الصوف قد استمدوا هذه العادة من رهبان النصارى و لكن ليس الرهبان وحدهم من اختصوا بلباس الصوف بل أن الصوف لباس الأنبياء من قبل و من بعدهم كان الصحابة يلبسون الصوف، ولم يكن قد ظهر شعار التصوف بعد ، قال الحسن البصري : أدركت سبعين بدويا ما كان لباسهم إلا الصوف[3]

---

(1) -أبو القاسم عبد الكريم القشيري: الرسالة القشيرية، ط2، مطبعة البابي الحلبي و أولاده مصر ،1959 م ، ص 150

(2) – إبراهيم بسيوني، المرجع السابق، ص 111.

(3) – محمد توفيق البكري، رسالة في الكلام عن نشأة التصوف والصوفية وأعمالهم، تحقيق طه علام، مطبعة العاصمة، القاهرة 1976، ص 21. انظر أيضا: رينولد نيكلسون، في التصوف الإسلامي وتاريخه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1969، ص6.

رغم كل هذه التعريفات فإننا لا نجد تعريفا واحدا للتصوف من بين مئات التعريفات، التي تتفق على أن الصوف من عناصر التعريف، مما يدل على أنه لا دخل للصوف في حدود التصوف وعناصره الرئيسية.

وقد أفضى التصوف بذلك إلى خمسة أقوال:

الأول: قول من قال من الصوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له معه

الثاني: أنه من صوفة القفا، للينها، فالصوفي لين هين كهي .

الثالث: أنه من الصفة، إذ جملته اتصافه بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة.

الرابع: أنه من الصفا، وصحيح هذا القول حتى قال أحدهم:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا وظنه البعض مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى صافي حتى سمى الصوفي

الخامس : أنه منقول من " الصفة " لأن صاحبه تابع لأهلها ، فيما أثبت الله لهم من الوصف[1] في قوله تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) [2]

وذهب آخرون إلى أن أصل التسمية يوناني " سوفن" بمعني " كليم" أو أنها للدلالة على الحكمة بمعني انتقائي " فالصوفي بذلك ينتقي أفضل العادات و يتبعها بدليل وجود مادة " صفو" في العربية بمعني نقيض الكدر ،والنسبة إليه صوفي فرفقت الصاد المضعفة ، وأبدل الضم واوا وأدعمت الواو الثقيلة بإمالة في الياء فكانت اللفظة "صوفي"[3] ،ذلك أن التصوف

---

[1] – عبد القادر أحمد عطا، التصوف الإسلامي ، دار الجميل ، 1987 ، ص 182.

[2] - سورة الأنعام ،الآية 52.

[3] –محمد عباس، مصطلح التصوف، مجلة الحياة الثقافية، عدد 26، مارس 1983م، ص 123.

في حد ذاته ما هو إلا الإسلام في شموله و سموه و روحه العالية المتألقة فهو كما انتهى إليه التعريف الشامل عبارة عن حفظ الشريعة وحسن الخلق.[1] ويقال أن التصوف مبني على ثمانية خصال: السخاء و الرضا والصبر، والإشارة و الغربة ولبس الصوف، والسياحة والفقر، لذلك تتفق معظم الآراء حول التصوف على أنه: نزعة روحية تنأي بالإنسان عن العالم المادي وترتفع به إلى العالم الخارجي، وعند ابن خلدون أن أصل التصوف العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها، مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال و جاه، و الانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة .[2]

فالتصوف إذن كما اتفق عليه هو عبادة ومجاهدة النفس ومحاولة إدراك الحقيقة أي غاية المتصوف هو التوحيد و المعرفة و نتيجة لهذه الاختلافات في معنى التصوف فقد انعكس ذلك أيضا على رجال الطرق الصوفية أنفسهم واختلفوا حول تعريف التصوف حسب الوسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم ،إن البعض يراه في الممارسات والوسائل التي توصل إلى الحقيقة وهي ممارسة التطهر والتقشف والقيام بالوجبات الشرعية على أتم وجه ،والتحلي بالأخلاق والفضائل وتجنب كل الشبه والمزالق بينما يراه آخرون منهم في الوصول إلى الإلهام والكشف والرؤى و السرحان في عوالم الأسرار الغامضة لكن النتيجة تقريبا واحدة فهي التسامي و التطهر للوصول إلى الدرجة العليا في القرى إلى الله ونيل رضاه ... .[3]

لعل التحديد الحقيقي لمعنى التصوف ودلالته الإسلامية هو ما استمده الإمام أبو حامد الغزالي في توضيحه لمنهج الأتباع وتفسير موضوعية التصوف واستباحه المنظور الإسلامي " واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل، والمدعي فيه كثير، ونحن نعرفك علامتين له ،

---

(1) –عبد العزيز بن عبد الله ، الصوفية في المغرب ، مجلة العربي ، العدد 248 ، الكويت ، ص 123.

(2) –عبد الرحمان بن خلدون: تاريخ العلامة ابن خلدون ، كتاب العبر ، المجلد الأول ، ط2 ، بيروت ، 1931م، ص 683.

(3) - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998م، ص 9.

العلامة الأولى: أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توفيقاته إيرادا وإصدارا وإقداما وإحجاما ،إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها، ولا يصل إليه من أهمل الفرائض ، فإن قلت : فهل تنتهي رتبة السالك إلى الحد الذي ينحط عنه فيه بعض وظائف العبادات ولا يضره بعض المحظورات كما نقل عن بعض المشايخ من التساهل في هذه الأمور ،أقول لك: أعلم أن هذا عين الغرور، وأن المحققين قالوا: لو رأيت إنسانا يطير في الهواء ويمشي على الماء وهو يتعاطى أمرا يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان[1].

أرجح الأقوال، وأقربها أن لفظ الصوفي والتصوف قد أطلق مرادفا للزاهد والعابد والفقير ،ولم يكن لهذه الألفاظ معنى يزيد على شدة العناية بأمر الدين ومراعاة أحكام الشريعة، فإن الفقر والزهد ولبس الصوف مظهر ذلك ،وكانت أحكام الشريعة تتلق من صدور الرجال لا فرق بين عباداتها ومعاملاتها وعقائدها ،ثم تحدث الناس في الأمور الدينية على نظام علمي ،ونشأ التدوين فكان أول ما توجهت إليه الهمم وانصرفت إليه الأفكار علم الشريعة بمعنى الأحكام العملية حتى حسب الناس أن الاشتغال بهذا العلم والعمل به هو غاية الدين[2]

يتضح أثر الطريقة في الحياة الاجتماعية من خلال دعوتها إلى تدعيم المبادئ والقيم الدينية ونداء للتمسك بالآداب والاختلاف الإسلامي التي لا بديل لها وإيجاد مجتمع فعال، لذلك لا يقتصر دور الطريقة على الحياة العضو أو المريد الدينية بل يشمل كافة أوجه حياته العلمية والأسرية والاجتماعية، فالعضو يلجأ إلى الجماعة لسد كافة حاجاته الدينية والدنيوية ولحل مشاكله المختلفة لأنه يرى في الطريقة المأوى والملجأ.

---

[1] – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار إحياء الكتب العربية، ج3، ص 62.

[2] – ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف، ط1، دار الكتاب اللبناني مكتبة المدرسة، بيروت 1984م، ص ص 62-63.

لقد أظهرت الطرق الصوفية التزاما وميولا سياسيا، وجهودا عسكرية ظهرت في الدول التي وقعت تحت وطأة الاستعمار الأوربي، وقد اختلفت تلك الطرق باختلاف دورها في المجتمعات باختلاف الظروف الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي تواجهها ، وهذا ما يدل على مدى شمولية التصوف و قوته على الوفاء لمختلف حاجات المجتمعات مما يتناسب و ظروف كل مجتمع وما يحتاج إليه [1].

لقد عرف العالم الإسلامي في مراحله التاريخية السابقة ظهور عدة طوائف وجماعات وفرق لكل منها طريقتها وتفكيرها وتعبيرها وتنظيم شؤونها الدينية والدنيوية وكذا أساليب خاصة تختلف من طريقة صوفية إلى طريقة صوفية أخرى لتصل إلى الناس وقد ظهرت هذه الطرق في المشرق العربي لتنتقل إلى المغرب العربي، عن طريق علمائها وروادها.

بانتشارها كان على أصحابها أن يقيموا أماكن خاصة لتثبيت أفكارهم وأعمالهم المحددة بحيز يدعى الزاوية التي تعني في الاصطلاح الديني مكان العزلة والانزواء للعُباد الصالحين، فأصبح التصوف مقرون بذكر الزوايا، إذ لا يمكن التكلم عن أي صوفي دون الكلام عن المدرسة التي نشأ وترعرع فيها هذا الصوفي وهي الزاوية. ولفظ الزاوية أو الزوايا، مصطلح خاص بالمغاربة، أما في المشرق فتعرف بـ " خانقاه" أو تكية (وكلاهما لفظ أعجمي)[2] .

مع أن الزوايا تأسست أول ما تأسست بقصد تلقين المدرسين القيام بشعائرهم الصوفية ، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية ، لم يقتصر عملها على تلقين الأوراد، و التفرغ للخلوة و العبادة بل تعدت إلى تلقين العلوم الإسلامية بكل فروعها، وأقيمت حولها المدارس

---

(1) – أبو حامد الغزالي، المرجع السابق، ج3، ص 62.

(2) – محمد بن الصديق، <<التصوف المغربي>>، مجلة دعوة الحق للدراسات الإسلامية، ع 285 السنة الثالثة والثلاثون أوت 1991م، ص 68. و**أنظر** أيضا، عبد الحفيظ الميساوي، زوايا الوسط الغربي ودورها الاجتماعي، مجلة الحياة الثقافية، العدد 21، ماي 1982م ص 55.

والأبنية لإيواء الطلبة فأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف و العلم معا كما أصبحت مقصودة للضيافة و إيواء الغرباء و المسافرين و حتى قيل في تعريفها " أنها مدرسة دينية و دار مجانية للضيافة "وقد كانت الزاوية في البداية عبارة عن شكل من أشكال المؤسسات الاجتماعية المعدة للواردين ،وإطعام المحتاجين من القاصدين، البعض الآخرين فيما أنها " ... في الجملة مدرسة دينية ،ودار مجانية للضيوف، وهي بهذين الوصفين تشبه الدير في العصور الوسطى ."[1]

3- الطريقة :

تفيد كلمة " طريقة " السيرة الخلقية، ويقال طريقة الرجل أي مذهبه كما تعني الحال إذ يقال فلان على طريقة حسنة وطريقة سيئة ، وجاء في التفسير أن الطريقة تعني الرجال الأشراف يقول تعالى:(قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ)[2] أي بجماعتهم الأشراف، ويقول العرب للرجل الفاضل هذا طريقة قومه وطريقة القوم أي أمثلهم وخيارهم وطرائق قومهم أي الرجال الأشراف ، قال الأخفش: بطريقتهم المثلى أي بسنتهم ودينهم و ما أنتم عليه ،وقال الفراء كنا طرائق قددا "أي كنا فرقا مختلفة أهواؤنا "[3] فالطريقة إذن هي طريق ومنهج ومذهب خاص بنوع من الناس يتميزون عن غيرهم برؤية معينة في المنهج اللازم إتباعه للوصول إلى الحقيقة المطلقة عبر مراحل محددة ، وتجد الطريق الصوفية مبرر وجودها في الرؤية الصوفية التي تقسم العقيدة الإسلامية إلى ظاهر وباطن أي إلى شريعة وحقيقة ، فالشريعة هي الباب الذي يدخل منه الجميع والحقيقة التي لا يصل إليها إلا المصطفون الأخيار. وتعرف الطريقة بأنها منهاج اختص به المتصوفة بغية تطهير القلوب من كل المؤثرات ... أساسه للرياضة والمجاهدة من خلال بلوغ مرتبة من مراتب الصوفية كالقطب، والغوث الوتد البدل [4].

---

(1) – محمد بن الصديق ، المرجع السابق، ص 69.

(2) – سورة طه ، الآية 63.

(3) – ابن منظور، لسان العرب، ج8 ،دار التراث العربي ، بيروت ،لبنان 1997م، ص 155.

(4) - Rinn Louis: Marabouts et Khouans ,Etude sur L'Islam en Algérie ,Adolphe Jourdan Alger 1884, P 350

فالطريقة هي التي تعمل بما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية التي أوصى بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن أشهر مشائخ الصوفية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم اله وجهه، والحسن البصري، وأبو الحسن الأشعري، وأبو القاسم الجنيد وظهر الفكر الصوفي مع فجر الإسلام، وانتشر معه وانشر بعد الفتوحات الإسلامية وأنشأت لأتباعها الرباطات والثغور والزوايا التي أخذت أسماء لمشائخهم وأقطابهم [1].

4-تعريف الزاوية

أ- لغة:

الزوايا مفردها زاوية وهي مشتقة من الفعل "انزوى، ينزوي" بمعنى اتخذ ركنا، كما أنها مأخوذة من فعل "زوى" و"أزوى" بمعنى ابتعد وانعزل، كما في كتب اللغة سميت كذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة هم من المتصوفة والمرابطين واختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب العمران وضجيجه طلبا للهدوء والسكون اللذين يساعدان على التأمل والرياضة الروحية ويناسبان جو الذكر والعبادة، وهي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت.[2]

وفعل "زوا "الشيء. يزويه زيا، أي جمعه وقبضه، وفي الحديث "زويت في الأرض فأريت مشارقها ومغاربها"، وزوى ما بين عينه أي جمعه.

وقال الأعشى:

يزيد بعض لطرف عيني كأنما زوى عيناه على المعاجم

---

[1] - صلاح مؤيد العقبي: الزوايا والطرق الصوفية بالجزائر تاريخها و نشاطها، دار البراق ،بيروت، لبنان 2002م، ص301.

[2] - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص301.

والزاوية من البيت ركنه لأنها جمعت قطرا منه، أي جمع زاوية [1]، والزاوية في الأصل ركن البناء، كانت تطلق في بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو على المصلى، ولا يزال للكلمة هذا المعنى عند المسلمين في المشرق، واكتسب مصطلح الزاوية تغيرا في المفهوم منذ العصور الوسطى في العالم الإسلامي وتطورت من الدير إلى الخانقات التي أصبحت تطلق بصفة خاصة من طرف الفرس على المنشآت الصوفية عند المسلمين[2]).

والزاوية في شمال إفريقيا أكثر شمولا، إذ تطلق على البناء أو طائفة من الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه الدير أو المدرسة، وحسب محمد نسيب يقول

دوماس: <<إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ومجانية للضيافة، وهي بهذين الوصفين تشبه كثيرا في العصور الوسطى الدير>>. [3] والزاوية من فعل زوى أي جمع

لأن فيها تتجمع الصفوف، ويجتمع الفقراء وطلبة العلم ويجمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها.[4]

ب- اصطلاحا:

أما اصطلاحا فيطلق اسم الزاوية على مأوى المتصوفين والفقراء، والمسجد غير الجامع والذي ليس فيه منبر، كما جاء في المعجم الوسيط، وقد أطلق هذا اللفظ قديما على موقع بالبصرة، كان له الوقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل وعلى

---

(1) - بحيدي حسان ومحمد عبد القادر، الزوايا ودورها في حفظ المخطوطات، مذكرة ليسانس علم المكتبات والوثائق، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة السانية وهران 2000-2001م، ص04.

(2) - صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 301.

(3) - محمد نسيب،زوايا العلم والقراءة بالجزائر، دار الفكر، سوريا ، د.ت، ص27.

(4) - محمد باي بلعالم، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، الجزائر أيام 1، 2، 3 ماي 2000 ، ص01.

قرية بالمدينة بها قصر انس، وعلى بلد بواسط، وقرية بالأندلس كما جاء في أساس البلاغة لجار الله الزمخشري-رحمه الله- وفي القاموس المحيط كما سميت بها مدينة من مدن القطر الليبي.

والزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية، وهي تختلف حسب وظائفها ونشاطها.

كما عرّفت الزوايا على أنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية، يجتمع فيها المريدون لتلقي الأوراد والذكر، وتعتبر مأوى لطلبة القرآن والعلم والزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والصلح بين المتخاصمين، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر الهجري، كما لها شأن عظيم ووجودا اجتماعيا قويا. [1]

ويقول بن مرزوق في كلامه عن الزاوية في زمانه: << من الواضح أن الزاوية عندنا في المغرب تأوي المتجولين، وتطعم المسافرين>>. كما خلفت الزاوية نظام الرباط، وأصبحت هي المجال الحيوي لتكوين المتصوفة، وتربية النفس بمنهج فكري وعقائدي خاص بكل طائفة أو طريقة دينية، وهي تعد مكانا للعبادة والزهد وتلقي الأوراد وللضيافة. [2]

ليست الزوايا ظاهرة جديدة العهد، يرجع تاريخ نشأتها إلى القرن الرابع والخامس، وقد توسع انتشارها مع مطلع القرن السابع عشر من خلال موجة انتشار التصوف التي عمت بلاد المغرب وإقبال الناس على المرابطين وظهور السلالات الشريفة التي هربت من المشرق ،فرار المسلمين من الأندلس بعد سقوطها لتصبح مع بداية موجة الاستعمار مركزا لانطلاق

[1] – صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق، ص301.

[2] – محمد نسيب، المرجع السابق، ص31.

عدة ثورات ولعبت بذلك دورا في المقاومة الوطنية ضد الاستعمار في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين [1].

أنـوع الزوايـــا :

أولا:النوع الخلواتي :

يدعي شيوخها المعرفة بأسرار دينية غيبية خاصة، والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يلقبونهم بالمريدين إخوان الفقراء حسب اختلاف الجهات والمناطق فيفرضون عليهم أذكارا معينة يتلونها في خلوات خاصة معزولة ومظلمة لمدة محدودة حتى يفتح الله عليهم ثم يخرجونهم ليصبحوا مريدين حقيقيين وبعد ذلك يفرضون عليهم أذكارا عامة تدعى الورد الذي يتلونها يوميا بصورة جماعية غالبا وبعد صلوات العصر و المغرب ،والصبح أحيانا ،وهذه الظاهرة هي التي أدت إلى تسمية الطرقيين لأن لكل واحد طريقا خاصة ذات تقاليد وأشكال وأذكار وأوراد معينة .[2]

ثانيـا:النوع غيـر الخلـوتي: لا يدعي شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ولكن يتخذون لأتباعهم وردا خاصا من الأذكار يتلونها وراء الصلوات.

5- الطريقة الصوفية كظاهرة اجتماعية :

باعتبارها نظام أو هيئة دينية وعقائدية، وهي بمثابة كيان صغير داخل كيان كبير، إذ تستطيع الزاوية تسيير الشؤون الاجتماعية والدينية لآلاف من أتباعها من الفئات الاجتماعية الشعبية وتتمتع هذه الزوايا بسلطة روحية وزمنية وتنقسم الزاوية إلى طبقات من القمة إلى القاعدة.

---

[1] –عبد القادر النفاتي، <<الأبعاد الدينية و الاجتماعية للزوايا و الطرق الصوفية>>، مجلة الحياة الثقافية ،عدد8، ص 129.

[2] – المرجع نفسه، ص 132.

1/ الشيوخ:

هم أعلى فئة اجتماعية، وهم مسيرون روحيون وزمانيون لنظام الزاوية لهم السلطة المطلقة وعلماء يعتبرون خلفاء الله في تسيير شؤون المؤمنين، وأنهم فقهاء في الشريعة، ولا يخضعون إلا لسلطة الله ورسوله، ويحملون عدة ألقاب: ولي الله ، الغوث ،القطب، و الشيخ هو الدال على الله بأفعاله وأقواله وأحواله وحركاته وسكناته بكليته ظاهرا وباطنا وهو في الطرق بمنزلة الدليل [1]

2/ الخليفة:

يأتي في المرتبة الثانية بعد الشيخ ويعتبر كنائب له، وهو الذي يتولى إدارة شؤون المناطق البعيدة التابعة للزاوية وهو موجود لدى التيجانيين، والقادريين والعيساويين وغيرهم، و لكن ما يميز التيجانيين هو أن الخليفة فيهم يكون الأكبر سنا في العائلة مهما كانت ثقافته على عكس الطرق الأخرى التي يكون فيها الخليفة في الغالب أكثر علما و ورعا وقد يكون بالانتخاب [2]

3/المقدم:

هو رئيس الفرقة أو المدير للزاوية، وله المرتبة الثالثة بعد الشيخ و الخليفة وهو المنفذ لتعليمات الزاوية الشفوية والكتابية، والمروج للطريقة وروح الزاوية ومستشارها، وله أعوان يلقبون بالمراقبين يتكفلون بالتحضير لنقل الشيخ إلى المناطق الأخرى الموالية له ونشر المعلومات لدى الأتباع، وتوثيق العلاقة بين الأتباع والسلطة الحاكمة، وباعتباره ممثل شيخ الطريقة في إحدى زواياه فإنه يتولى هذه المهمة بعد حصوله على ((إجازة)) وهي عبارة

---

[1] – عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، الوليد للنشر، وادي سوف، الجزائر ، د.ت، ص 83.

[2] –لعجيلي التليلي، الطرق الصوفية و الاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية،ج2، منشورات كلية الآداب بمنوبة، تونس 1992 ص 38.

عن تفويض له من الشيخ في ممارسة مهامه لدى أتباع الطريقة بالزاوية التي التحق بها، حيث تعرف بالمقدم وتحدد سلسلة الطريقة وذكرها، وأسلوب تلقينه للأتباع [3]

6- نشأة التصوف و انتشاره في المغرب الإسلامي :

ظهر مصطلح التصوف والصوفية في المشرق الإسلامي بالكوفة نظرا لقربها من بلاد فارس.

عرفت كلمة صوفي الانتشار في القرن الثاني للهجرة وأول من أطلقت عليه "أبي هاشم الكوفي" المتوفي سنة 150هـ/767م. وإذا سألنا لماذا هذا القرن بالذات؟ أجابنا ابن خلدون بقوله: <<ولما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقيمون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة >>. [1]

وحسب عبد الله عبد الرزاق إبراهيم يرى ماسينون massignon: أن أول تاريخ لظهور لفظ الصوفي كان في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، حيث أطلق لقب صوفي على "جابر بن حيان" تلميذ جعفر الصادق المتوفي سنة 208هـ، وكان ينتهج مذهب خاص به، وعند حلول القرن الثالث الهجري بدأت ملامح تشكيل الطرق الصوفية على مناهج مختلفة و اتخذت لها مبادئ عامة مثل قولهم انه لا يوجد إلا الله، ولا يوجد إلا حاكم واحد، ولا يوجد إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم، ولا يوجد إلا قانون واحد ولا يوجد إلا طريق واحد مستقيم يوصل إلى حضرة الله تعالى. [2]

وهناك رأي آخر أورده صاحب كتاب التصوف الشرعي في قوله: أن حركة التصوف ظهرت إلى حيز الوجود تدريجيا من الإمام الحسن البصري 110هـ، و حاتم الأصم 137هـ، وإبراهيم بن ادهم 162هـ، ثم عبد الواحد بن زيد 177هـ، وشقيق الباقي 194هـ، وسري

---

[3] – لعجيلي التليلي، المرجع السابق، ص 38.

[1] – نفسه، ص.38 .

[2] - عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص12.

السقطي 251هـ، إلى سيد الطائفة الجنيد 297هـ/910م، حيث بدأت تقوى أسس التصوف شيئا فشيئا، ولما جاء الإمام عبد القادر الجيلالي سنة 561هـ/1165م، والإمام معين الدين الجشتي سنة 620هـ/1223م والإمام السهروردي صاحب عوارف المعارف عام 632هـ/1234م، والإمام بهاء الدين نقشيند سنة 791هـ/1388متمكنوا من تشكيل التصوف تشكيلا إصلاحيا كاملا وأرسوا دعائم بنائه بالكتاب و السنة، ثم توالت التجارب طوال قرون إثبات كفاءته وتأثيره في ميدان تزكية النفس حيث سجلت صفحات التاريخ مآثره الخالدة بماء الذهب. [1]

أما وصول التصوف إلى المغرب الإسلامي وانتشاره يرجع حسب بعض الدارسين والمستشرقين إلى "ابن مسرة الأندلسي" (269هـ-381هـ/ 882م . 991م) صاحب تصوف فلسفي يعتقد بأنه أثر في جل من ظهر من متصوفة المسلمين في المغرب الإسلامي، وخاصة في مدرسة "المرية" الأندلسية موطن العديد من سالكي سبيل العرفان أمثال: "محمد بن عيسى الالبيري"، و"ابن العريف" (ت537هـ/ 1142مـ) وغيرهم. [2]

إن هؤلاء جميعا إن ذكر أخذهم التصوف عن "ابن مسرة"، فإن تأثرهم بـ"أبي حامد الغزالي" وبتجربته الفلسفية والصوفية اكبر وأكثر وضوحا، وهي تجربة سنية أشعرية يعتقد وصولها إلى المغرب الإسلامي عن طريق "أبي بكر بن العربي" (ت:543هـ/ 1148م) والذي قيل عنه إنه تشبع بفكر الغزالي وسلك مسلكه حتى حاز على "الخرقة" منه شخصيا. وإذا كان "أبو بكر بن العربي" قد نقل تجربة الغزالي إلى المغرب فان السبق في شرح وإذاعة أفكار ومؤلفات حجة الإسلام يعود خاصة إلى "ابن عريف" صاحب "محاسن المجالس" وهو المعاصر لأصحاب "أبي مدين شعيب بن الحسن" دفين تلمسان(ت:395هـ/1004م) ومشايخ

---

[1] – بن سيد علي سيدي نور التصوف الشرعي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1421هـ/ 2000 م ، ص –ص4-5.

[2] –ساعد خميسي، أبحاث في الفلسفة الإسلامية، دار الهدى، الجزائر، د.ت، ص38.

"محي الدين بن عربي" كـ "محمد الدقاق" توفي في بداية القرن (7هـ/ 13م) و "ابن قسي" صاحب "خلع النعلين"[1].

كما أن حركة التصوف التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان لها صدى قويا تجاوب معه المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس الهجري، حيث وجدت لها ظروف ملائمة ومكانة سامية بين علوم التدريس الدينية وازدهرت أكثر في الربطات والمساجد والزوايا على يد شيوخ إجلاء مارسوا التصوف بصدق التوجه، وتحلوا برداء الزهد والتقشف، فأصبحوا أقطابا بارزين وزعماء مشهورين لطرق صوفية عديدة. [2]

وهكذا نجد أن تحديد فترة ظهور التصوف بالقرن الثاني الهجري ما هو إلا تدقيق للمرحلة التي برز فيها ذلك التغيير المفاجئ في الحياة الروحية، وهو يعد بمثابة عملية تصحيح تهدف إلى العودة بالمجتمع الإسلامي إلى سالف عهده ووضعه على الخط الصحيح الذي رسمه له رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

7- الطرق الصوفية كظاهرة اجتماعية:

لم يكن البعد الاجتماعي منفصلا عن البعد الديني في الواقع، فقد كان إفرازا له ونتيجة حتمية من نتائجه، وهذا ما يبدو جليا في الأدوار التي اضطلعت بها الزاوية وكذلك الطريقة الصوفية، فالزاوية مثلا كان لها نشاط اجتماعي مميز حقا فقد استطاعت أن تنشط العلاقات بين أفراد المحيط الاجتماعي عموما وبين روادها خصوصا، وأن تنجح في ابتكار إطار للتعارف وتأسيس العلاقات بديلا عن الطرق المعتادة وعن العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والإدارية المتعارف عليها سواء أكان ذلك عن طريق حلقات الذكر والتعلم والتلقي أو عن طريق الزيارة التي شكلت عاملا أساسيا في إيجاد العلاقات الاجتماعية وتجديدها، فالذين يقومون بالزيارة من العامة يشعرون بالسعادة والسرور طيلة الإقامة خاصة إذا صاحب ذلك

---

[1] – ساعد خميسي، المرجع السابق، ص48.

[2] – المرجع نفسه، ص56.

إقامة بعض الألعاب أو المهرجانات الثقافية أو ما يسميه بعضهم بالزردة كما أن النسوة يجدن في الزيارة متنفسا لتغيير النسق الحياتي المعتاد وفرصة متاحة للتعارف وإنشاء علاقات جديدة ويجد الأطفال أيضا مساحة للترفيه وتلقي جملة من المعطيات و المعلومات الإضافية أما الذين يرتادون الزاوية دائما، فهي تمثل بالنسبة لهم مكانا للقاء وفرصة لتجديد العهد والولاء و الميثاق والانتماء مع المجموعة التي التزمت سلوك المنهج الصوفي التربوي[1]

لقد اضطلعت الزاوية على توفير الطعام للزائرين والمريدين و الجائعين والمساكين وكذلك الإقامة لمن يحتاجونها إضافة إلى مهمات أخرى مما تكتمل به الصورة المشرقة التي رسمها المشائخ المؤسسون لها و حددوها في عقود التحبيس– الحبوس – و حتى الأسر والقرى التي تحيط بالزاوية عادة ما توكل لها مهمة الإطعام والإكرام و الضيافة على اعتبار أن ذلك لا يمثل خلقا عاليا و سجية عربية موروثة فحسب وإنما التزاما أدبيا تحتمه مجاورة الزاوية و مقام الولي الصالح[2]

لعبت الطرق الصوفية دورا اجتماعيا بارزا، فحلقات الذكر والمذاكرة ودروس الوعظ والإرشاد أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في تمتين الرابطة الأخوية بين أفراد الطريقة وفي توافقهم لقبول مبدأ التعايش وفي تكوين شبكة للصحبة والمحبة والتقارب ولعل هذا يتضح من خلال نشوء علاقات نسب وقرابة بين المجموعة بمستندات أو بروابط دموية تعتبرها ضرورية للحفاظ على التواصل والانتماء يعكس حرص المجموعة أيضا على أن تظل الطريقة حية وفاعلة بين أفراد مختلف الأجيال.

---

(1) – الهاني عبدالقادر، « الدور الاجتماعي و الثقافي للزوايا ، مجلة الحياة الثقافية » عدد 27/26 السنة 8 مارس الجزائر، ص 156.

(2) – المرجع نفسه، ص 157.

ومن الإسهامات الاجتماعية الايجابية للطرق الصوفية تنزيل جملة من القيم والمبادئ إلى مستوى الممارسة بين أفراد الطريقة مثل المحبة والتعاون والتضامن والتآزر ،وهي قيم ضرورية حقا لاجتماع بشري، فضلا عن أفراد المجموعة الواحدة التي تشترك في الهدف و المنهج ،أما العلاقة بين الشيخ والمريدين فهي مثال للتميز والانسجام ولعلها تمثل أحد العوامل الأساسية لنجاح الطريقة وتواصلها بإحدى العلاقات الناجحة التي عادة ما تعتمد نموذجا حقيقيا بالإتباع والاقتداء [1].

لقد ظهرت الطرق الصوفية كظاهرة اجتماعية بسبب ظروف داخلية عاشها العالم الإسلامي ممثلا في الخلافة العثمانية ونتيجة الأخطار المحدقة بها وخاصة في مناطق التماس والثقافة والحضارات وتكالب الدول الاستعمارية على ممتلكاتهم من خلال مختلف المؤتمرات الأوربية وبوادر المسألة الشرقية فيما بعد مؤتمر فينا 1815م.

فالطرق الصوفية وما يمثلها من المرابطين طبعت العلاقة بينهم و بين العثمانيين في مراحل حددها الخطر الخارجي الذي أجل ظهور الصراع الداخلي بين الطرفين إلى ما بعد استكمال السيطرة على كل المناطق ، وقد كان لعامل الجهاد دور في توحيد القوى الدينية و استمالة السكان إلى جانب العثمانيين في مواجهة الخطر الخارجي ، لأن الغاية التي يسعى إليها سكان المغرب الإسلامي عامة وهي وجود قوة حازمة و إن كانت مستبدة مع المحافظة و بصرامة على فرائض الدين والشرع بكل دقة، وأن تكون أفعال مع الحاكم نموذجا للزهد و التقوى و متفقة مع الإسلام الذي يعلن الجهاد في وجه الكفار [2].

ولكن بداية من النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر ميلادي) إلى غاية احتلال الجزائر سنة 1830م بدأ اختلال التوازن بين الشرق الإسلامي عامة

---

(1) –عبد القادر النفاتي ، المرجع السابق، ص ص 150–151 .

(2) – Doumas(M) et Faba (M:) La Grande Kabylie à l'Université Royale de France، Alger 1847,P238.

والغرب المسيحي بفعل التطور الحاصل في القارة الأوربية نتيجة تداعيات الثورة الصناعية و خاصة جانبها العسكري الذي كان له الأثر الكبير في تراجع الإتاوات البحرية والضرائب، والتي كانت من أهم موارد الخزينة فتوجهت السلطة المركزية إلى زيادة الضرائب على الرعية، وتقليص الامتيازات التي كان يتمتع بها العلماء والأولياء، و المتصوفون، لتعويض النقص، فتحولت هذه القوة الدينية إلى معارضة للسلطة ومالت إلى جانب الرعية، ففقدت بذلك السلطة المركزية أكبر سند وقف إلى جانبه، و لمدة طويلة من الزمن، والذي يتمثل في المتصوفين و الأولياء وهو ما أوجد نوع من الإحباط و فقدان الثقة في الزعامة المحلية السياسية، و هذا الإحباط و اليأس ساعد القوى الدينية على بسط نفوذها فتوجهت نظرة الناس إلى المرابطين، لكونهم من كبار المتصوفين في القوى الدينية، بل أكثر من ذلك أنهم يلتمسون النجاة على أيديهم و ساهم ذلك في إثارة العصبية الدينية بين سكان شمال إفريقيا عامة، وأعطى للمرابطين مكانة هامة بين السكان لكونهم كانوا زعماء الجهاد.[1]

إن بروز التصوف كظاهرة اجتماعية سواء في الجزائر أوتونس أو غيرهما كان انعكاس للصفات التي يتميز بها شخصيات التصوف من الزهد في الحياة والاكتفاء بالقليل من متاع الدنيا فهؤلاء تركوا ملذات الدنيا جانبا، وتوجهوا نحو العمل الأخروي مما جعلهم يبتعدون عن هموم الصراع حول الحكم و ينبذون الاشتغال بالسياسة أو الأمور الدنيوية، فكان لتوجه هذه الفئة دوره الكبير في استمالة الناس إليهم، خاصة إذا علمنا أنهم يتميزون بحنكة سياسية كبيرة في تسوية مشاكل السكان، و يتدخلون كوسطاء في حل الخلافات التي كانت تنشب بينهم[2] .

---

[1]–عبد الحميد حاجيات :<< مساهمة الطرق الصوفية في توحيد شعوب المغرب العربي>>، الملتقى الدولي حول دور الزوايا والطرق الصوفية المغاربية، عدد خاص، وهران، الجزائر افريل 2006، ص 160.

[2]– جون وولف، الجزائر و أوربا ، ترجمة و تعليق : أبو القاسم سعد الله ، مؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986، ص 27.

لقد أخذ التصوف في الجزائر و تونس أبعاد اجتماعية، بسبب الظروف التي كانت سائدة في العهد العثماني، فكان تأثيرها كبير في حياة المجتمع سلبيا وايجابيا[1] وقد أتسع نطاق نشاطها في اتجاه المجتمع، وتقربها إليه للتعبير عن الفكر الصوفي بلغة يفهمها، مما أدى إلى ازدهار تصوف شعبي يتسم بممارسة جماعية تشمل الأذكار والسماع الصوفي، وتعظيم الأولياء، وعندئذ تم تغلغل هذا التيار في سائر الفئات الشعبية [3].

لقد انساق الناس إلى التصوف لما وجدوا فيه من مساواة و عدل وإحساس بالوجود والأهمية، فقد كان شكلا من أشكال التعبير عن الغضب والتمييز بين فئات المجتمع، وبمرور الوقت ترسخت قناعة لدى العامة أن الصوفية هم اقدر الناس على حل المشاكل تقديم المساعدة، و قد ظهر ذلك جليا بعد الاحتلال، فلا دايا ولا بايا ولا أميرا ولا مرابطا ولا جوّادا استطاع أن ينقذ البلاد إذا فليرتمي هذا المواطن في أحضان الصوفية ، وليعش في عالم الروح وعالم التخيلات. و من ثمة نفهم لما تعلق مواطن بالطرق الصوفية و شيوخها، و اتّبعوها مذعنين في ممارستها، مهما كانت ...متيقنين أن الخلاص سيكون على أيدي الشيوخ المتصوفة، الخلاص الدنيوي من القهر والحرمان والخلاص الروحي بما فيه من جنة ونعيم [2]

برزت الطرق الصوفية إذن كظاهرة بعد امتداد أبواب الخلاص انقطعت فيه وسائل المقاومة فكانت بذلك بديلا إما إيجابا من خلال المقاومة بمختلف أشكالها وإما سلبا من خلال تحولها إلى أداة وجهاز استغلالي في يد الاستخبارات الاستعمارية.

---

(1) -Alain Mahé: Histoire de la Grand Kabylie, anthropologie, historique, éditions bouchenr ,France, 2002,p 35.

(2) عبد القادر النفاتي، المرجع السابق، ص 130. انظر أيضا، يحي بوعزيز: <<أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنيين 19م/20م>>، مجلة الثقافة، عدد 63 وزارة الثقافة، الجزائر 1981م، ص 17.

يقول الدكتور الجيلالي صاري ((... تدريجيا احتلت الطرق الصوفية مكانة بارزة في الحياة اليومية، بل أصبحت في أماكن عدة ومناطق كثيرة المرجع الأول الأخير للجماهير ...)) فأثرت بذلك إيجابيا من خلال[1]:

- تحقيق الوحدة الروحية بين أفراد المجتمع نتيجة التلاحم بين أفراد المجتمع والمعلم الدينية والزوايا والرابطات وغيرها.
- إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الشرائح الاجتماعية المختلفة.
- اعتمادها على التربية الدينية من خلال تهذيب السلوك والأمر بالطاعة ونبذ العنف.
- المساهمة في العمل الخيري الاجتماعي والتعليمي وتفعيل دور المسجد والزاوية.

-كفالة اليتامى والأرامل، فقد أولت هذه المؤسسات هذه الفئات من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجاتهم، ولم تكتف بتوفير المأوى وحل المشاكل بل كانت تهتم بتربيتهم وتعليمهم.

- العمل على إنهاء الخلافات والخصومات بين الناس أفرادا وجماعات، بفضل مكانة شيوخها ووكلائهم.
- تكوين التربية الاجتماعية لدى الموردين، فالزوار والطلاب يلزمهم الانضباط من خلال تقديس الالتزام بالوقت والمواعيد وأداء الفرائض وتقديم الخدمات داخل هذه المؤسسات وغرس العمل التطوعي بين صفوف الطلبة والمساهمة في كل الأعمال بما فيها جني المحصول الفلاحي.
- المحافظة على عادات وتقاليد المجتمع من خلال مساهمة الزوايا في إحياء مختلف الأنشطة مثل التويزة، الاحتفالات الدينية[2].

8- خصائص الطرق الصوفية ومميزاتها:

رغم تباين الطرق الصوفية من حيث تعاليمها ومفاهيم الممارسة الصوفية عند مشايخها والاختلاف الظاهر نسبيا في كيفية أداء الأوراد والأذكار وأوقاتها، إلا أننا نجدها تشترك في

---

(1) – يحي بوعزيز،أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة،ج1،دار الغرب الاسلامي،بيروت، 1995، ص18.

(2) – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص37.

جملة من الخصائص والأهداف النبيلة التي تكسبها مكانة دينية اجتماعية وأخلاقية علية في أوساط المجتمع الإسلامي، إضافة إلى التنظيم الصوفي المحكم الذي تميزت به عبر مختلف مراحل انتشارها[1].

9- الأهداف الصوفية:

تعتبر الطرق الصوفية بتعدد تشكيلاتها إحدى الحركات الإصلاحية ذات الطابع الديني وهي بمبادئها وتعاليمها الشرعية صالحة لكل زمان ومكان.

كما أنها ساهمت في جذب العديد من المريدين إليها، واستقطبت مختلف فئات المجتمع عبر مراحل تاريخها الطويل، نتيجة للحركة الدائمة في ذاتها، الملتفة حول نفسها بما لها من إلهام روحي وتأثير ديني نابعان من نصوص القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية الشريفة، وبذلك استطاعت أن تحافظ على وجودها واستمرارها بإقليم توات والأقاليم الأخرى. [2]

ومن خصائصها أنها تمتاز بالمرونة من حيث تعاليمها ومناهجها الفكرية حتى يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل زمان ومكان واستقطابهم كأتباع لها، وفي هذا يرجع الفضل إلى شيوخ تلك الطرق الذين جمعوا بين العلم والفقه والتصوف ومعرفة حقائق عن علمي الظاهر الباطن، وبذلك يتسنى لهم الموازنة بين الحياة الجسمية والحياة الروحية وتلقين مبادئها للمريدين.[3]

والى جانب هذا فقد عرفت الطرق الصوفية نقلة نوعية بسبب الاصطدام الحضاري ما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية أثناء الحروب الصليبية، وفي فترة

---

(1) - احمد بوكاري، الإحياء و التجديد الصوفي في المغرب1790-1912 التيجانية الشاذلية والمختارية القادرية نموذجا، ج2، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،المملكة المغربية 1427هـ/2006م، ص 75

(2) – محمد الهامل مسعودي، مرجع سابق ص82.

(3) - المرجع نغسه ، ص 79 .

الحركة الاستعمارية الأوربية، حيث امتزج نشاطها الديني القائم على نشر الإسلام والتعريف به عند الشعوب الوثنية بالجهاد ضد حركات التبشير المسيحي والتنصير. [1]

من هنا تظهر فوائد الطرق وأهدافها العلية حيث يقول أبو العباس احمد مرزوق: << فائدة الشيء ما تصدى له وجوده، وفائدته حقيقته في ابتدائه أو انتهائه أو فيهما معا فالتصوف علم قصد إصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه...>>، فالمتصوفة يقدمون أجّل الخدمات للحياة الروحية، من خلال تكوين عادة العبادة والذكر في نفوس أتباعهم وهم بذلك يرفعون الشعور الديني الصميم إلى درجة علية تصل ببعضهم إلى مقام الزهد في الدنيا والتعلق بالحب الخالص للخالق الواحد والرغبة الصادقة في عقد صلة القرب به. [2]

وبصفة عامة فان التصوف في مجمله يهدف إلى:

- تكوين شخصية الفرد المسلم بمبادئ دينية رشيدة، اعتمادا على العقل المدرك والفؤاد المدبر والفطرة السليمة، التي تزكيها تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية.
- اتقاء وساوس العقائد الشرك الباطلة. والتحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.
- ترسيخ عقيدة المعية الإلهية، بمعنى أن الله تعالى يرى من فوق العرش ويحيط عباده من كل جانب بعلمه وقدرته وهو معهم أينما كانوا بسمعه وبصره

يرى الأمير عبد القادر الصلة بين الشريعة والحقيقة وموقفه من الصوفية في كتابه المواقف ((و اعلم أن كل ما تقوله الطائفة العلية رضي الله عنها له دليل من الكتاب والسنة...لأن طريقهم مؤسسة...على أن كلامهم في العلوم الخاصة بهم إنما يكون من أبناء جنسهم غير أن من علومهم أمورا وجدانيات لا يمكن أن يقام عليها دليل...فلا يطالبنهم بدليل وعدم الدليل لا يوجب عدم المدلول...ذلك أن القوم لما استقامت ظواهرهم وبواطنهم على

---

[1] – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص32.

[2] – الإمام ابن تيمية، موسوعة فقه السنة(فقه التصوف)، ج3، تهذيب وتعليق الشيخ زهير شفيق الكبي، دار الفكر العربي بيروت لبنان 1993م ، ص25.

الطاعات وإتباع السنة قولا وعملا وحالا قوى نور إيمانهم...وظهرت أسرار الكتاب والسنة وإشارتهما ظهور السمن من اللبن عندما [1] خض و حرك فهل يقال السمن ليس من اللبن؟ وإنما كان السمن باطن في اللبن. فظهر منه عندما خص غير الصورة المعروفة من اللبن وهو هو. فاقبل يا أخي ما جاءك من كلام أهل الله تعالى أعني الصادقين ودع كلام كل ناعق. فإياك يا أخي أن يصدك صاد أو يعارضك معارض عن محبة هذه الطائفة العلية والتصديق لكلامهم، فإن محبتهم عنوان السعادة و عداوتهم عنوان الشقاوة))[2]

في حين نجد التيجاني يرى بأن المريد السابق هو الذي عرف جلال الربوبية وما يجب القيام به من حقوق الألوهية وعرف ما عليه نفسه من العجز و الكسل والإخلاد إلى الراحة و التقاعد عن صالح العمل والسبيل إلى طرق الولاية الخاصة هو لزم صدق الطلب المتمثل في إخلاص المضطر إلى الله تعالى الذي هو وحده يكشف سوء النفس بإخراج العبد منها إلى محض العبودية له سبحانه وذلك بأن يوفقه لصحبة داع إلى الله على بصيرة أو ما يسمى مصطلح التصوف بالشيخ المربي [3] .

10- أهم الطرق الصوفية في الجزائر

* أهم الطرق الصوفية في الجزائر

الطريقة القادرية والشاذلية أصل لكل الطرق الفرعية الأخرى التي اتخذت أسماء جديدة تبركا بشيوخها، لذلك نجد إلى جانبهما كل من الطريقة الرحمانية التيجانية والشيخية والطيبية والدرقاوية و العيساوية و العمارية والحنصالية والسنوسية وغيرهم إخلافهم في الأوراد وكيفيتها وتعدادها أكثر منه اختلاف في جوهر الشرع والمبادئ الإسلامية، فاختلافهم في الأوراد

---

[1] – مولاي التهامي غيتاوي، الرائد في ذكر جملة من حياة فضائل وكرامات الشيخ محمد بلقايد، ط2، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2004 م، ص13.

[2] – الأمير عبد القادر الجزائري، كتاب المواقف في الوعظ والإرشاد، ج2، مطبعة الشباب، القاهرة، 1344هـ، ص231.

[3] .محمد الكبير التيجاني، مختارات من رسائل الشيخ احمد التيجاني، مطبعة الكرامة، الرباط، 2009م،ص25

وأذكار غير ضار كاختلاف أئمة المذاهب في الفروع، لأن الغاية من التصوف حسن الأخلاق والصدق في المعاملة، فأصبح التصوف بذلك متزايدا، ونفعه مشاهد مما أجراه الله على أيدي مشائخه من الإرشاد والهداية والنصح والتعليم وتربية الخلق على أيديهم، فانتشرت الطرق وانتشرت فروعها شرقا وغربا ويكفي الطاعن في الصوفية قول الحافظ بن عساكر "(لحوم الأولياء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار المعترض عليهم معلومة فمن أطلق لسانه فيهم بالقدح و الثلب ،ابتلاه الله قبل موته بموت القلب) وقد عبر عن ذلك البوصيري في بردته المعروفة بقوله في[1]:

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

لقد كانت الطريقتان القادرية والشاذلية موجودتين قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر، فهما أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا وأولها ظهورا [2]، بينما الطرق الصوفية الأخرى أخذت بعد مجيئهم في التكاثر و الانتشار حتى بلغ عددها 23 طريقة تضم295189 من المريدين والإخوان ولها 57 شيخا و 6000مقدم ووكيل وعامل وتمتلك 349 زاوية[3] في حين يذكر أبو القاسم سعد الله أن عدد الطرق الفاعلة "النشطة" بلغ أكثر من ستة وعشرين 26 منها فقط أربعة أنشئت في العهد الاستعماري وانتماء الجزائريين إلى هذه الطرق ليس وليد العهد الفرنسي بل هو جزء من الهوية وظاهرة اجتماعية متأصلة تميز أهل المغرب عموما

---

[1] – عبد القادر الداوي ، « التصوف و الحياة »، الملتقى الأول للطريقة القادرية، ورقلة ،الجزائر 1999، ص 82.

[2] – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 143.

[3] – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق ، ص132. في حين أن رين ذكر أنه في سنة 1884 كان هناك 355 زاوية و1955 مقدم و167019 من الإخوان وعشرون 20 شيخ وكان حينها عدد الجزائريين هو 2846757 انظر، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص29 – إن هذه الإحصاءات مبالغ فيها لأنه حتى =الآن يصعب إعطاء أرقام دقيقة حول الطرق وأتباعها وما ذلك إلا تعميم وتهويل من ورائه قصد إما للاستعمار أو لأصحاب هذه الطرق أو توظيفا ؟

والجزائريون خصوصا وميلهم وانجذابهم لكل من يدعوهم باسم الدين لما له من خلاص في دنياهم و جزاء لآخرتهم .

أ- الطريقة الدرقاوية الشاذلية [1].

طريقة دينية صوفية تفرعت عن الطريقة الشاذلية المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفي عام656 هـ –1258م تلميذ و خليفة الشيخ" عبد السلام بن مشيش " الذي تتلمذ بدوره على يد "أبي مدين شعيب" صاحب المقام الأول في نشر التعاليم الصوفية "للجنيد" وتعاليم عبد القادر الجيلاني، مؤسسها هو الشيخ محمد العربي الدرقاوي بن أحمد بن الحسين بن علي بن محمد بن يوسف أبو درقة الملقب"أبو درقاوي" [2] الشريف الإدريسي، انتشرت طريقته شمال المغرب الأقصى وغرب الجزائر قام أتباعه بالثورة على الأتراك في غرب الجزائر و شرقها، بلغ عدد زوايا الدرقاوية في الجزائر حسب إحصاء 1882م اثنين و ثلاثين زاوية يشرف عليها 268 مقدما وعدد أتباعها حوالي 15000[3]. إن هذا التعدد في الطرق قد أخذ منحى يدعوا إلى الدراسة والتأمل لأن البدايات الأولى له لم تكن لتتعدى بعض الطرق المعروفة لكن زيادة تفرعاته واتخاذ كل شيخ لتسمية جديدة لطريقته ومن طرف أتباعه جعل من الكثير منها يفقد ماهيته التي كان من الأجدر أن يحافظ عليه حفاظا على أتباعه وكسبا لثقتهم وهما انعكس فعلا فيما بعد على مواقفهم التي كانت في كثير من الأحيان تتناقض مع طموحات وآمال مريديهم. وأهم هذه الطرق التي شاعت في تلك الفترة.

---

[1] – عبد المنعم الحفني: موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، ط1، دار الرشاد، القاهرة 1993 م، ص 252.

[2] – أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص 112.

[3] –يحيى بوعزيز (ثورات الجزائر) المرجع السابق، ص 59. ومن أشهر فروعها الآن في الجزائر الطريقة العلوية نسبة إلى أحمد بن مصطفى العلاوي (المتوفى سنة 1934 بمستغانم)، والطريقة الهبرية نسبة إلى محمد الهبري (المتوفي بنواحي مغنية سنة 1899).

ب- الطريقة الطيبية الشاذلية:

معظم الطرق الصوفية التي ظهرت بعد القرن الثامن الهجري (14م) تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الطريقة الشاذلية، وهي طريقة نشأت في وزان بالمغرب الأقصى وكان مؤسسها هو الشيخ عبد الله الشريف المشرفي من نسل عبد السلام بن مشيش الحسني و المنتسب إلى قبيلة برج عروس في جبل بوزان تولى ابنه الطيب مشيخة الزاوية وقد أخذ عنه أحمد التيجاني عند زيارته الأولى للمغرب، ازدهرت طريقته حتى أصبحت تعرف بالطيبية، وكان منهم الثائر على الاحتلال الفرنسي الشريف محمد بن عبد الله المعروف ببومعزة وثورته1844-1847م[1] .

ت- الطريقة الرحمانية الخلوتية:

حامل لواء الطريقة الرحمانية بالجزائر هو محمد بن عبد الرحمان الجرجري، من قبيلة آيت إسماعيل وبعد أن ذاع صيته انتقل إلى الحامة بإحدى ضواحي العاصمة وأسس بها زاوية وقد انتشرت طريقته ببلاد القبائل والوسط والشرق الجزائري (وفي المدن التونسية)، بلغ أتباع الطريقة سنة 1898م حوالي 160000 وتفرعت إلى 25 فرعا موزعة على 117زاوية أشهرها زوايا جبال القبائل والحامة بالعاصمة وزاوية صدوق بناحية سطيف وزاوية باشتارزي بقسنطينة والزاوية الحملاوية بنواحيها وزاوية طولقة وزوايا أولاد جلال وخنقة سيدي ناجي ووادي سوف وتبسة [2].

ث- الطريقة الشيخية الشاذلية:

انتشرت في الغرب الجزائري ووسطه وشماله وجنوبه مؤسسها الشيخ سليمان بن بوسماحة الذي كثر في عهده طلابها ومريدها، وتلقى العلوم الدينية واللغوية. وقد اشتهر من

---

[1] - عبد الباقي مفتاح: المرجع السابق ص15. وانظر: صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 227.

[2] – المرجع نفسه، ص229.

أحفاده االنقشبندية [*] والطريقة البكطاشية اللتان دخلتا الجزائر مع العثمانيين بقيتا محصورتين في الأوساط التركية.

ج- الطريقة القادرية :

يرجع أن الطريقة القادرية هي منبع وأصل كل الطرق الصوفية التي جاءت بعدها كالشاذلية والدرقاوية والشيخية التيجانية السنوسية فهي أولها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي، تنسب إلى عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد محي الدين الجلالي، أو الكيلاني، ولد في جيلان 471هـ/ 1078م تهتم هذه الطريقة بالإصلاح والإرشاد والتسامح و نشر المعرفة والعلم، ومحاربة المستعمر المحتل الغاصب للأرض والعرض[1] وقد دخلت إلى الجزائر ولقيت التشجيع والدعم في العهد العثماني[2]، وأهم زاوية تلك التي أسسها الحاج مصطفى الغريس* سنة (1200هـ/ 1785م)جد الأمير عبد القادر في إقليم وهران التي أصبح لها نفوذا وقوة رهيبة ومن بين الزوايا الأخرى نجد زوايا منطقة الاوراس وقادتها عائلة بلعباس (محمد الصغير) الذي يقول أنه المنحدر من سلالة عبد القادر الجيلاني[**] تقوم تعاليم الطريقة القادرية حسب وصية الشيخ عبد القادر الجيلالي لابنه عبد الرزاق بما يلي: ((أوصيك يا ولدي بتقوى الله وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده، وأعلم أن طريقتنا مبنية على الكتاب والسنة، وسلامة الصدر، وسخاء اليد و بذل الندى، وكف الجفاء، وحمل الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان، وأوصيك يا ولدي

---

[*] – النقشبندية: مؤسسها محمد بهاء الدين النقشبندي الذي ولد ببخارى 717هـ–1317م وتوفي 791هـ (1389م) ووضع قواعدها وأسسها هو أبو يعقوب يوسف الحمداني، ولا تزال هذه الطريقة منتشرة بكثرة في كل بلدان الشرق الأقصى والأوسط وتركيا والجمهوريات السوفياتية. **انظر** ، عبد الباقي مفتاح: نفسه، ص20.

[1] – إبراهيم مياسي، مقاربات في تاريخ الجزائر1830–1962، دار هومة الجزائر،2007م، ص 86.

[2] – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق ، ص ص 97– 98.

بـالفقراء، وحفـظ حرمـت المشـايخ وحسـن المعاشـرة، والنصـيحة للأصـاغر والأكـابر، وتـرك الخصومة إلا في أمور الدين....))[1]

الطريقـة القادريـة تمتـاز بالاعتـدال والتسـاهل، و إتبـاع السـنة، وجـب الخيـر والشـفقة والتواضع والبعد عن التعصب الديني أو السياسي، و تخلو أورادها وأذكارها من الكل النار وأتباع الأفاعي و تمزيق الأجسام ... إذ لا يردد في أذكارهم سوى اسم الله الذي يلفظ دائما بهدوء ووضوح يتلوه صمت فهي بذلك طريقة للتسامح وهم في ذلك يتبعون نصائح الشيخ بقولـه :((اتبعـوا ولا تبتـدعوا وأطيعـوا ولا تخـالفوا واصـبروا ولا تجزعـوا و اتحـدوا ولا تتمزقـوا انتظروا ولا تيأسوا واجتمعوا على ذلك ولا تتفرقوا وتطهروا من الذنوب ولا تتناطحوا وعن باب مولاكم فلا تبرحوا))[2].

يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني عند أتباعه ولدى جميع المتصوفة سلطان الأولياء ، وقطب الأقطاب، والغوث ، والعضد ، لـه كرامات وخوارق يصدق بها أتباعه ، ويحلفون بجاهه والذكر عند القادرية أساسه لا الله إلا الله، و الإكثار من الصلوات ، وذكر الصلاة على النبي وآله121 مرة في شكل جماعي، وسبحان الله ،والحمد لله ولا الله إلا الله، والله أكبر 121 مرة أيضا ويقرأون سورة يس، وقد اختصرت المراجع الفرنسية مبادئ الطريقة القادرية بالقول هي العلم والأخلاق والصبر والإتقان وأساس ذلك ، ذكر الله و الصدق و الابتعاد عن شؤون الدنيا وحب الناس و الخوف من الله، إن هذه المبادئ قد تكون مشتركة إلى حد كبير مع بقية الطرق الصوفية الأخرى في تلك المبادئ التي أساسها التوحيد و الدعوة إلى الزهد و العمل للآخرة – العلم والعمل – و التي قد تختلف عنها في الكيفية والطريقة وقد تزيد عنها ببعض التجديد في تلك الطقوس للتميز و الاختلاف

(1) – إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 98

(2) – Coppolani (x) depont: les confieries religieuse musulmans Adoiphe , jourdon,Alger ,1897, p 293- 294

أسس الطريقة القادرية :

وضع الشيخ عبد القادر الجيلالي أسسا قويمة ومبادئ سديدة لطريقته التي هي دعوة إلى الإيمان و إتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم و الحفاظ على أركان الإسلام و التمسك والابتعاد عن الرذائل وقد جاءت هذه القواعد في كتابه الغنية لطالبي الحق فقال: ولأهل المجاهدة وأولي العزم عشر خصال جربوها لأنفسهم وأحكموها بإذن الله تعالى وصلوا إلى المنازل الشريفة .[1]

الأولى: أولهما أن لا يحلف العبد بالله صادقا ولا كاذب عامدا ولا ساهيا لأنه إذا أحكم ذلك أن يترك الحلف ساهيا أو عامدا فإذا اعتاد ذلك فتح الله بابا من أنواره يعرف منفعة ذلك في قلبه وزيادة في بدنه ورفعة في درجته وقدرة في عزمه وفي بصره وثناء الإخوان وكرامة الجيران حتى يأتمن به من يعرفه ويهابه من يراه. [2]

الثانية: أن يجتنب الكذب هازلا وجادا لأنه إذا فعل ذلك وأحكمه من نفسه و اعتاد لسانه شرح الله عز وجل به صدره و صف به عمله حتى كأنه لا يعرف الكذب وإذا سمعه من غير غاب عليه وغيره به في نفسه و أن دعا له بزوال ذلك كان له ثوابا.

الثالثة: أن يحذر أن يعد أحد شيئا فيختلف إياه وهو يقدر عليه، فإنه أقوى لآمر وأقصد لطريقة لأن الخلف من الكذب ،فإذا فعل ذلك فتح له باب السخاء ودرجة الحياء وأعطي مودة الصادقين ورفعة عند الله.

الرابعة : يجتنب أن يلعن شيئا من الخلق أو يؤذي ذرة فما فوقها لأنها من أخلاق الأبرار الصادقين وله عاقبة حسنة في حفظ الله عز وجل إياه في الدنيا مع ما يدخر له عنده من

---

[1] – عبد القادر الداوي ، التصوف الحياة " الملتقى الوطني الأول للطريقة القادرية، 29أكتوبرإلى 01 نوفمبر 1999 ورقلة ،الجزائر ، ص ص 84– 85 .

[2] – المرجع نفسه، ص 86.

الدرجات ويستفيد من الحمد له ويسر له من الخلق ويرزقه رحمة العباد وقرب من الله عز وجل[1].

الخامسة: يجتنب أن يدعوا على أحد من الخلق وإن ظلمه فلا يقطعه بلسانه ولا يكافئه بأفعاله ويتحمل ذلك لله تعالى ولا يكافئه بقول، ولا بفعل فإن هذه الخصال ترفع صاحبها في الدرجات العلى إذا تأدب بها ينال بها منزلة شريفة في الدنيا و الآخرة والحب والمودة في قلوب الخلق أجمعين من قريب أو من بعيد وإجابة الدعوة و العلو في الخير و العز في الدنيا في قلوب المؤمنين[2] .

السادسة: أن لا يقطع الشهادة على أحد من أعل القبلة بشرك ولا كفر و لا نفاق فإنه أقرب للرحمة وأعلى في الدرجة وهي تمام السنة وأبعد عن الدخول في علم الله سبحانه وتعالى وأبعد من مقت الله عز وجل وأقرب إلى رضا الله تعالى ورحمته فإنه باب شريف كريم على الله تعالى يورث العبد الرحمة للخلق أجمعين.[3]

الثامنة :يجتنب أن يجعل أحد من الخلق منه مؤونة صغيرة ولا كبيرة بل يرفع مؤنه عن الخلق أجمعين مما يحتاج إليه واستغنى عنه فإن ذلك تمام عزة العابدين وشريف المتقين و به يقوى المر بالمعروف والنهي عن المنكر ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة في الحق سواء فإذا كان كذلك نقله الله عز وجل إلى الفناء و اليقين به عز و جل ولا يرفع أحدا بهواه ويكون الخلق عنده أجمعين بمنزلة واحدة في الحق سواء، وكان كذلك نقله الله إلى الفناء واليقين به عز وجل ولا يرفع أحدا بهواه ويكون الناس عنده في الحق سواء قرب باب الإخلاص .

---

(1) – عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص23.

(2) – عبد القادر الداوي ، المرجع السابق، ص 88.

(3)– محمد بن الأمير عبدالقادر: المواقف في التصوف والوعظ والارشاد، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة و النشر،دمشق،ط1967،2 ، ص 303.

التاسعة:

ينبغي له أن يقطع طمعه، فلا يطمع نفسه في الشيء مما في أيديهم فإنها العز الأكبر والغنى الخالص والملك العظيم و الفخر الجليل واليقين الصادق والتوكيل الصافي الصحيح وهو باب من أبواب الثقة بالله تعالى والزهد في الدنيا به ينال الورع ويكمل نسكه وهو من علامات المنقطعين إلى الله عز وجل[1].

العاشرة : التواضع لأنه بذلك يشيد مجد درجته وتعلو منزلته ويستكمل العز والرفعة بالله تبارك وتعالى وعن الخلق وهذه الخصلة أصل الطاعات كلها وفروعها وكما لها وبها يدرك العبد منازل الصالحين[2].

لا تزال الطريقة القادرية منتشرة في جل أصقاع العالم خصوصا الشرق الأقصى ولعل أول من نشر تعاليم هذه الطريقة في المغرب العربي هو الشيخ المشهور أبومدين دفين تلمسان (متوفي في 589هـ) الذي اجتمع بالشيخ عبد القادر بمكة المكرمة وواصلت الطريقة انتشارها عن طريق مصر والأندلس، فقد نشرها ذرية ولديه إبراهيم وعبد العزيز بعد هجرتهم من الأندلس إلى فاس، بل قيل إن بعضهم انتقل مباشرة إلى الشرق الجزائري. وقد وجدت الطريق كل التشجيع وازدهرت زواياها في كل أنحاء الجزائر حتى بلغت سنة 1882م أكثر من 29 زاوية[3].

ح- ب الطريقة التيجانية :

تنسب التيجانية إلى صاحبها الشيخ "أبو العباس احمد بن محمد التيجاني الحسيني"[4] ولد سنة 1737م، بعين ماضي بولاية الاغواط الجزائرية، لقب بالتيجاني نسبة للقبيلة التي

(1)محمد بن الأمير عبدالقادر، المرجع السابق، ص 304.

(2) – عبد القادر الداوي ، المرجع السابق، ص 86.

(3) -احمد بوكاري، المرجع السابق، ص85. انظر أيضا: عبد القادر الداوي: المرجع السابق، ص88.

(4)-عبد الباقي مفتاح، المرجع السابق، ص83.

تنتمي لها والدته وأخواله (بنو توجين)، نشأ في بيت صلاح وتقوى ووسط عائلي محافظ، حفظ القرآن الكريم برواية نافع عن أستاذه أبي عبد الله محمد بن حمو التيجاني المضاوي وعمره لم يتعد سبع سنوات، ثم اشتغل بطلب العلوم الأصولية والفرعية حتى تفرس فيها على يد الأستاذ الخبير والمرشد البصير الشيخ البركة المبروك ابن أبي عافية التيجاني المضاوي[1]، وبعد وفاة والده غادر عين ماضي وراح يتنقل بين مناطق عدة منها (بوسمغون–توات–لبيض سيد الشيخ–تلمسان...) وفيها كان يتصل بالعلماء والفقهاء يأخذ عنهم ويستفيد منهم ثم انتقل إلى المغرب الأقصى ونزل بمدينة فاس، التي كانت ولا تزال حاضرة العلم، وهناك التقى بأعلام التصوف، فاجتمع بهم وتحاور معهم وأخذ عنهم تعاليم التصوف ومبادئ التربية الروحية. وكان من أول أساتذته الشيخ احمد بن حسان القادري من مدينة فاس ثم تتلمذ على يد الشيخ مولاي الطيب الوزاني شيخ الطريقة الطيبية، وقد دام مكوث الشيخ التيجاني بمدينة فاس حوالي 18سنة كان خلالها يدرس ويتفقه في شتى العلوم الدينية والشرعية.[2]

وفي سنة 1186هـ/1773م بدأ الشيخ التيجاني في رحلته إلى الحج مواصلا تتبعه للطرق الصوفية ولما بلغ قرية آيت إسماعيل ببلاد القبائل نزل عند الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الأزهري وأخذ عنه الطريقة الرحمانية الخلوتية، ثم واصل رحلته إلى أن بلغ مقصده في شهر يناير سنة 1188هـ/1774م، هناك اتصل بشيخ هندي يدعى احمد بن عبد الله وهو صوفي ورع وتقي زاهد فجالسه مدة شهرين أثنائها توفي الشيخ الهندي، وخلف للتيجاني عمله ومعارفه في الطريقة الصوفية.

---

(1) –سالم الحبيب التجاني، نبذة عن حياة الشيخ سيدي احمد التجاني، 1999م، ص – ص2 –3.

(2) –صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق ، ص175.

وفي رحلة العودة مر التيجاني بالقاهرة وهناك التقى الشيخ محمد الخيضري الذي فوضه لنشر تعاليم الخلواتية في شمال إفريقيا[1] ، فانطلق مباشرة إلى مدينة فاس حيث مكث مدة يتعلم ويعلم علوم الدين وأسس الطريقة الصوفية الخلواتية، ثم انتقل إلى مدينة تلمسان ومنها توجه إلى قصري بوسمغون والشلالة بالصحراء الشرقية وهناك بنى خلوة له وانقطع للعبادة فقضى له الله بالفتح الأكبر، حيث رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما فلقنه الورد الشريف الذي أصبح أسس الطريقة التيجانية ويشتمل على: (مائة من الاستغفار ومائة من الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم)، ثم أمر بتلقينه لكل من طلبه من المسلمين والمسلمات.[2] مكث الشيخ التيجاني في زاويته بقصر بوسمغون ما يقارب ثمانية عشر سنة داعياً إلى مذهبه ثم أخذ ينتقل بين المناطق الصحراوية الفاصلة بين توات والسودان الغربي وتونس يدعو إلى الإسلام وينشر تعاليم طريقته الصوفية، فكان كلما نزل بمكان استأنسه أهله أطال المكوث عندهم مربيا ومرشدا ويؤسس هناك زاوية له يعين عليها مقدم يكلفه بتلقين طريقته.[3] وعرفت الطريقة التيجانية انتشارا واسعا بفضل القوافل التجارية التي اتخذها التيجاني وأتباعه وسيلة لنشر طريقتهم، فكانت قوافلهم التي تجوب الصحاري من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب مرورا بتوات إلى تمبكتو ومنها إلى السنغال ذهابا وإيابا تحمل البضائع، وفي نفس الوقت تبث الدعوة بين سكان تلك المناطق وتنظم أمور المريدين، وتسهل عليهم الدخول في الطريقة وأداء تعاليمها بما كان يوفره الشيخ

---

(1) –محمد حوتية، توات والازواد خلال القرنين الثاني عشر للهجرة (الثامن عشر و التاسع عشر للميلاد)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة، في التاريخ الحديث و المعاصر، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2003، 2004م، ص20

(2) –عبد الله الحاج مكي التجاني: اليواقيت و الجواهر المضيئة، مخطوط بمكتبة الشيخ محمد السالم المغيلي، الحي الغربي، أدرار ص11.

(3) –عمار هلال، الموسوعة التاريخية للشباب (الطرق الصوفية و نشر الإسلام و الثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء)، ط1 منشورات وزارة السياحية و الثقافة، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث، الجزائر 1984م ، ص112.

التيجاني وأتباعه (المقدمين) من شروط روحية ومادية أمنية تستقطب الجماهير نحو دعوته وتزكيها.[1]

والتجاني (بتشديد التاء) نسبة إلى قبيلة يقال لها تجانة ولد احمد التجاني في 1150هـ الموافق لـ 1737م وهو وسط الأبناء لأمه و أبيه وقد عرف أهلها هذه الطريقة بالقول أن التيجانية ليست فكرا عقائديا يدرس الديانات المختلفة، والفرق المتعددة، وليست مذهبا فقهيا يتناول الخلافات المذهبية وليست حزبا سياسيا، بل هي منهج تربوي: قولي وعملي، تهتم بتربية الإنسان من حيث روحه وعقله وجسمه، وتعتمد على القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة وأعمال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، في كل ما يحتاج إليه في العقائد، والفقه، والتربية بجميع أنواعها، والتجانيون ينتسبون للمذهب السائد في البلد، فهم مالكيون في البلدان التي تعتمد المذهب المالكي، وشافعيون في البلد الذي يعتمد المذهب الشافعي، وهكذا المذهب الحنبلي والحنفي، .... و يهتمون كثيرا بـ[2]:

1 – نشر الإسلام والتبشير به.

2 – خدمة المجتمع الإسلامي

3 – ذكر الأوراد التيجانية المحمدية.[3]

---

[1] –عبد الباقي مفتاح ، أضواء ،مرجع سابق ،ص 130 .

[2] – محمد مازر والهامل مسعودي،الطريقة و أثرها على العلاقات الانسانية،مذكرة ليسانس،علم النفس،كلية العلوم الاجتماعية،جامعة وهران، 2000/1999 ، ص 79.

[3] عبد الرحمان طالب : الشيخ سيدي أحمد التجاني ومنهجياته في التفسير و الفتوى و التربية ،ط1، دار الغرب للنشر و التوزيع الجزائر 2001م، ص 58.

أسس الطريقة التيجانية:

تتميز طريقة التيجانية بسهولة تعاليمها وتلاؤمها مع التطور، وهي طريقة تقوم على الموازاة بين الحياة الدنيا والآخرة ، فهي لا تدعو إلى العزلة والفقر وإنما تنادي بالكسب والعيش الرغد وأساسها[1]:

أولا: دوام المحافظة على الصلوات الخمس في الجماعات والقيام بالأمور الشرعية

ثانيا: عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلق لاسيما بينه وبين إخوته.

ثالثا: احترام العلماء والصالحين والشيوخ ومن انتسب إليهم.

رابعا: اعتقاد عقائد أهل السنة والحديث النبوي والالتزام بمذاهبهم الفقهية.

خامسا: عدم الأمن من مكر الله تعالى إلى الممات.

سادسا: مداومة الالتزام بالورد إلى الممات بعد أخذه عن قدوة في الطريق. *

الطريقة القادرية في الجزائر:[2]

أول رواد القادرية في الجزائر هو شيخ الشيوخ الإمام سيدي أبو مدين شعيب دفين تلمسان (ت 594 هـ) فهو الذي أدخلها بعد أن تتلمذ على شيخها وأخذ عنه التصوف

(1) محمد مازر والهامل مسعودي، المرجع السابق، ص 79.

(2) Coppolani(x) Dépont : Op. cit.p. 293.294

أنظر أيضا:بن يوسف تلمساني،الطريقة التيجانية و مواقفها من الحكم المركزي في الجزائر،رسالة ماجستير،جامعة الجزائر،1997، ص ص.97-98

والخرقة كما هو معمولا به عند المتصوفة وكان ذلك بعد عودته من البقاع لمقدسة حيث أدى فريضة الحج وقد أقام في بجاية وانتشر خلفاءه الكثيرون في طول الجزائر وعرضها وكان لقدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بالأوراس حيث أسس زاوية قادرية ببلدة منعة وكان ذلك من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد وغربها[1]، وجل علماء الجزائر ما بين القرنين السادس والثالث عشر الهجري كانوا قادريين أو شاذليين أو جامعين بينهما، وهي أقدم وجودا في الجزائر حيث وجدت أرضا خصبة استطاعت أن تنمو فيها وتزدهر خاصة في فترة الحكم العثماني.

توجد في الجزائر زوايا و فروع القادرية التي يمثلها الشيوخ المستقلين، ولعل الأسر العريقة كانت تسيطر عليها مثل :

زاوية منعة بالأوراس:

وعائلة بلعباس حيث نجد أحد أتباعها وهو محمد الصغير* الذي يقول انه ينحدر من سلالة عبد القادر الجيلالي.

زاوية الميلية:

تعتبر الزاوية الأم و هي تمتد في النسب إلى إدريس الأكبر و يتولى شؤونها محمد بن بغريس Mohamed ben Baghrieh .

زاوية وهران:

---

(1) صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق ، ص – ص 145. 146 .

*محمد الصغير بن علي محمد بن العباس بن بوبكر بن محمد بن أحمد بن عمور بن بلقاسم بن عبد الرزاق بن علي بن عبد الرحمن بن داود بن إدريس بن إبراهيم بن عبد القادر الجيلالي. و يذكر أنه ربما يكون إبراهيم أخ عبد القادر الجيلالي و ربما ابنه الذي هاجر إلى المغرب و الذي يكون قد مر بمنطقة، **انظر** – Dépont et Coppolani : Op. cit.p.310

لم تفقد القادرية من نفوذها ولا قوتها ولا من هيبتها و قد قادها ورثة الشيخ محمد الدين والد الأمير عبد القادر، وكان نائبه الشيخ بوتليليس وكانت أهميته تزيد يوما بعد يوم على رأس زاوية الشلافة التي تأسست سنة 1784م من طرف الشيخ سيدي قاسم و ابنائه من بعده آخرهم " لحول " عبد القادر و التي تحوي 50 مقدم و 4 الآلف منتسب لقيت القادرية كل التشجيع و الدعم في العهد العثماني في الجزائر حتى ازدهرت زواياها و عمت معظم التراب الوطني[1] خلال الفترة الاستعمارية وحتى بعد انتقال زعمائها قهرا أو اختيارا إلى فرنسا أو المشرق العربي بقي خطها الجهادي متبعا في فروعها المنتشرة عبر مختلف المناطق والتي من رموزها سيدي محمد بن عودة في نواحي زمورة (غليزان) وزاوية الشلاطة بمنطقة القبائل وبقي تأثير القادرية بمنطقة وهران وشيخها بوتليليس الذي أصبح مقدما للطريقة معيننا من طرف محمد المرتضى بن محمد السعيد حفيد محي الدين والذي أصبح خليفة الطريقة القادرية في بيروت أين كان يقصده المريدون والأتباع ويستقبل منهم الزيارات و الهدايا والأموال ، كما انتشرت القادرية بنواحي تيارت –تيهرت– و بالجنوب الغربي ومن أبرز زعمائها هناك بلعربي عبد القادر تأسست سنة 1844 م وقد امتد نفوذها إلى مشارف آفلو والأغواط[2].

فروع القادرية في الشرق و الجنوب من الأهمية من حيث الدور الذي لعبته في المقاومة مع بداية التوسع الاستعماري في الصحراء، من أهم زواياها زاوية عميش بالوادي وزاوية الرويسات بورقلة ومعظم زوايا الشرق الجزائري على ارتباط وثيق بزاويتي نفطة والكاف التونسيتين ذلك أن الشيخ محمد بن إبراهيم شيخ زاوية نفطة كان كما ذكرنا سابقا قد فتح فروعا لأبنائه بالجزائر بترخيص و مساعدة الضابط الذي ادعى الإسلام وأصبح يحمل دبلوم مقدم قادري وهو " ديبورتر " وهذه الفروع هي زاوية " عميش " بقيادة الهاشمي و الرباح

(1) –ابو القاسم سعد الله المرجع السابق ، ج1، ص 521.

(2) –L.Rinn: Op. cit ,p 200.

لسليمان و قمار للحسين و الرويسات لمحمد الطيب حيث ذكر لويس رين RINN أن للقادرية 29 زاوية و 268 مقدم و 1457 مريد بينما ذكر كوبولاني فقد أحصى 32 زاوية و 301 مقدم و 23751 مريد .[1]

- **خصائص الطرق الصوفية ومواردها :**

خصائصها :

رغم تباين الطرق الصوفية من حيث تعاليمها ومفاهيم الممارسة الصوفية عند مشايخها والاختلاف الظاهر نسبيا في كيفية أداء الأوراد والأذكار وأوقاتها، إلا أننا نجدها تشترك في جملة من الخصائص والأهداف النبيلة التي تكسبها مكانة دينية اجتماعية وأخلاقية عالية في أوساط المجتمع الإسلامي، إضافة إلى التنظيم الصوفي المحكم الذي تميزت به عبر مختلف مراحل انتشارها.

تعتبر الطرق الصوفية بتعدد تشكيلاتها إحدى الحركات الإصلاحية ذات الطابع الديني وهي بمبادئها وتعاليمها الشرعية صالحة لكل زمان ومكان، كما أنها ساهمت في جذب العديد من المريدين إليها، واستقطبت مختلف فئات المجتمع عبر مراحل تاريخها الطويل، نتيجة للحركة الدائمة في ذاتها، الملتفة حول نفسها بما لها من إلهام روحي وتأثير ديني نابعان من نصوص القرآن الكريم وتعاليم السنة النبوية الشريفة، وبذلك استطاعت أن تحافظ على وجودها واستمرارها. [2]

ومن خصائصها أنها تمتاز بالمرونة من حيث تعاليمها ومناهجها الفكرية حتى يتسنى لها التلاؤم مع أفكار الناس في كل زمان ومكان واستقطابهم كأتباع لها، وفي هذا يرجع الفضل إلى شيوخ تلك الطرق الذين جمعوا بين العلم والفقه والتصوف ومعرفة حقائق عن

---

(1) – Narcisse Faucan:Livre d'Or de L'Algérie Librairie Algérienne Et Coloniale Paris،1830-1889، pp 517- 519

(2) – محمد مازر و الهامل مسعودي، المرجع السابق، ص82.

علمي الظاهر الباطن، وبذلك يتسنى لهم الموازنة بين الحياة الجسمية والحياة الروحية وتلقين مبادئها للمريدين. [1]

والى جانب هذا فقد عرفت الطرق الصوفية نقلة نوعية بسبب الاصطدام الحضاري ما بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية أثناء الحروب الصليبية، وفي فترة الحركة الاستعمارية الأوربية، حيث امتزج نشاطها الديني القائم على نشر الإسلام والتعريف به عند الشعوب الوثنية بالجهاد ضد حركات التبشير المسيحي والتنصير.[2]

ومهما اختلفت الطرق الصوفية فان كل تنظيماتها متشابهة، ولا تختلف إلا في التفاصيل الفرعية مثل الأوراد والعهود والمراحل التي يمر بها الشخص للوصول إلى الطريقة، ويبقى أهم شيء يوحدها هو صلة المريد بشيخه إضافة إلى وحدة المبادئ.[3]

- **مواردها :**

مصادر تمويلها:

تتمتع الطرق الصوفية بموارد اقتصادية متنوعة بحسب قوة الطريقة والوضعية المالية والاجتماعية لمورديها وهي تستمد قوتا من مصادر متنوعة أهمها:

1/ **الممتلكات القارة:** ممثلة في الحبوس والأوقاف الخاصة والعامة، يتم وقفها للزاوية خاصة وللطريقة عامة كالبساتين والأشجار المثمرة والأراضي الزراعية والمباني العقارية والمدارس القرآنية. إلا أن الإدارة الاستعمارية صادرت الكثير منها بمقتضى قرار 1830/12/07م وقرار 1848/10/13 م القاضي بإلحاق الحبوس إلى أملاك الدولة[4] .

---

(1) – محمد مازر و الهامل مسعودي، المرجع السابق ، ص84.

(2) – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص32.

(3)– بن سيد علي سيدي نور، التصوف الشرعي، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، (1421هـ/2000م)، ص48.

(4) بن يوسف تلمساني، مرجع سابق، ص 42.

المملوكات المنقولة: منها الزيارة والصدقة والهدايا والزكاة والعشور

- الزيارة:

تقدم في العادة نقدا و أحيانا في شكل حبوب، تمور، زيوت، مواشي صوف وهي محددة في الغالب مرتين في السنة مرتبطة بالمنتوج الزراعي أي في فصل الصيف أو في الخريف (الحبوب التمور) الزكاة والعشور: تدفع سنويا عند بلوغ الحول عن مختلف المنتوجات بكميات مختلفة بحسب الشرع 40بالمئة وكل ذلك طلبا للمودة وعلى اعتبار انه في نظر المريد دين عليه للزاوية التي ينتمي إليها عليه أداؤه دون تأخر للحصول على بركة الشيخ .

الهدايا

ليست لها أوقات محددة وليست مشروطة أو مرتبطة بشي محدد فهي تختلف بحسب وضعية المريد الاجتماعية أو المكانة السياسية للمنفق صاحب الهدية [1] .

يعود التفاوت في الثروة بين مختلف الطرق الصوفية إلى تنوع الموارد والتوزيع الجغرافي وطبيعة الأتباع وتعدادهم، وبحسب موقع الأراضي الزراعية المحبوسة من حيث الخصوبة أومن حيث النوعية (حبوب وثمار في الشمال ونخيل التمور في الجنوب) كل ذلك مرتبط بقرب و بعد هذه الزوايا على مصادر تمويلها ووقوعها على طرق التجارة ،، إضافة إلى نوعية وعدد الأتباع وتوزيعهم الجغرافي ووضعيتهم الاجتماعية وهو ما جعلها قوة سياسية هامة كان اقتصادها أساسه .

تنبهت الإدارة الاستعمارية إلى البنية الاقتصادية للطرق الصوفية ورأت في ذلك خطرا على وجودها، بل اعتبرت تلك الطرق بمثابة دويلات داخل دولة، فراحت تضعف الكثير

[1] – العجيلي التليلي، المرجع السابق، ص 47.

منها، عن طريق مصادرة الحبوس ومنع الزيارات بحجة أنها تثقل كاهل الناس إلى درجة أصبحوا عاجزين على دفع الضرائب للسلطات[1].

إلى جانب العوامل الدينية و طبيعة المغاربة في ميلهم إلى جانب الديني والذي كان مصدر قوة مختلف الطرق الصوفية، فإن العامل الاقتصادي له من الأهمية ما يجعله أساس استمرارية و قوة تلك الطرق، بل وتمكنها واستقلالها عن أي طرف قد يغير من أهدافها الحقيقية، وهذا ما كان فعلا من خلال معرفة الاستعمار طبيعة الموارد ومصدر استمرارية تلك القوة إلى جانب العاطفة الدينية والولاء الروحي الذي يكنه المريدون لمشايخهم و لطرقهم، إذن فالقوة الاقتصادية كانت في كثير من الأحيان سبب نفوذها على أتباعها ، وعرضها لأن تكون مراقبة من طرف الإدارة تستفيد منها وقت الحاجة .[2]

اعتبر الفرنسيون هذه الموارد الضخمة و المتنوعة بمثابة ضرائب ، كانت تدفع للطرق الصوفية، و اعتبروا أن ذلك خطر سياسي داهم، قائلين إنه يجعل من الطرق دولة داخل دولة ، فقد ذكر التقرير أن مجموع دخل الطرق الصوفية هو 7.500.000 فرنك من خلال نتاج الصدقات بـ ثلاثة ملايين فرنك ونتاج الزيارات ثلاثة ملايين فرنك و حقوق أورسوم دخول الطريقة (المشاركة) بـ 1.5 مليون فرنك دون حساب عمل السخرة (التويزة) غير أنه في الحقيقة نجد صعوبة في معرفة الموارد الحقيقية لتلك الطرق سابقا وحتى حاليا لأنها تعتبر من الخطوط الحمراء التي لا يجب أن تسأل عنها و إذا سألت فإنك لن تجد جوابا أو وثائق تثبت ذلك وأكثر من ذلك توصد أبواب في وجهك حتى على المعرفة البسيطة وما يتناقض مع الواقع أنه فعلا هذه الطرق بل زعماؤها ومقدموها وصلوا من الثراء ما لم تصله هيئات ومؤسسات تجارية مستغلين نفوذهم السياسي في العهد الاستعماري والامتيازات الممنوحة لهم ونسوا هموم الأمة عن قصد وعن جهل وراحوا يجمعون الأموال ويحصلون

---

(1) – العجيلي التليلي، المرجع السابق ، ص 57.

(2) – المرجع نفسه، ص 58.

مداخيل مزارعهم وممتلكاتهم داخل الجزائر وتونس وخارجهما معتبرين ذلك لزمة وهو في الحقيقة استثمار في شكل استغلال سذاجة الأتباع أو حق لازم من قبل طرف في مرتبة و منصب هو في غير مكانه وما وصل إليه إلا لأنه مطية كل طماع[1] .

لقد نجحت بعض الطرق الصوفية في الإبقاء على الوضع الروحي فقط مثل الطريقة التيجانية التي قاومت كل المغريات، وحتى بالحرب لكي تحافظ على عقيدتها في التصوف.

[1] – عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص32.

الفصل الثاني

الفكـــر الاصـــــــلاحي

- مفهوم الإصلاح
- الإصلاح والتجديد
- الإصلاح والنهضة
- رواد الإصلاح

تزخر المعاجم والقواميس وكتب اللغة العربية واللغات الأجنبية الأخرى بمفاهيم كثيرة لعبارة الإصلاح، كما أن العالم الإسلامي قد عرف حركات إصلاحية كثيرة كانت تسعى في مجملها إلى العودة بالمسلمين إلى صدر الإسلام وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده وذلك ظهور نزعات التجديد ومحاولة التكيف مع تطورات العصر.

1- مفهوم الإصلاح:

- لغة:

الإصلاح مشتق من لفظ صلح و إصلاح مضاد للفساد صلح يصلح صلاحا و يصلح إصلاحا و صلوحا و الإصلاح نقيض الافساد، و أصلح الشيء بعد فساده أي أقامه، و أصلح إلى الدابة أي أحسن إليها، و الصلح يعني تصالح القوم فيما بينهم[1]

وفي أساس البلاغة :صلح الأمر أصلحه و أصلح الله تعالى الأمير، وصلح فلان بعد فساد، و رأى الإمام المصلحة في ذلك، و نظر في مصالح المسلمين و هو من أهل المفاسد لا المصالح و فلان من أهل الصلح [2].

فمادة الإصلاح مشتقة من أصلح و صلح و كلها تدل على تغيير حالة الفساد و إزالته و يقال هذا يصلح لك بمعنى يوافقك و يحسن بك و يقال أيضا صالح لكذا: أي فيه أهلية للقيام به و بصفة عامة الصلاح ضد الفساد[3].

---

(1) - ابن منظور، لسان العرب،ج2،دارصادر،بيروت،ص516،517.

(2)- جار الله الزمخشري: اساس، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان،2006، ص309.

(3) - محمد طهاري،مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، ط2،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1992،ص11.

وقد جاء في محتار الصحاح لزين الدين الرازي :صلح ، الصلاح ضد الفساد وبابه وصلح أيضا بالضم ،وهذا يصلح لك أي يوافقك ،والصلاح بالكسر مصدر المصالحة واسم الصلح يذكر ويؤنث وقد استصلحا وتصالحا ، والمصلحة واحدة هي ضد المفسدة[1] .

الاصلاح في القواميس الغربية يقابله مصطلحان: الاولreforme والثاني : Réparation

فقد جاء في القاموس الفرنسي الشهير le Robert: الذي جاء فيه تعريف لمصطلح le reforme الذي نشأ سنة 1925 ومعانيه هي :

1-تطوير حاصل في المجال الأدبي والاجتماعي.
2-إعادة القانون البدائي للتنظيم الديني.
3-تعديل عميق في شكل المؤسسة رغبة في تطويرها.
4-تطوير حزبي متنامي للوضع الاجتماعي.

أما بالنسبة لمصطلح Réparation فقد نشأ في القرن الثاني عشر ميلادي عبر الاقتباس من الفظ الاتيني Répar أما المعاني فتتمثل في [2] :

1-إعادة (الشيء الذي مسه العطب أو الخلل) إلى الوضع الجيد

2- إزالة واجتثاث (أثار التفسح أو التآكل من شئ ما)

3-حذف أو تعويض (من جراء حادث أو خطأ).

من ذلك فالإصلاح من المنظور الأوروبي هو إعادة تشكيل والبحث عن وضع جيد وحذف وتعويض وتطوير، وإزالة ما لم يعد صالحا للاستعمال، وكلها معاني تتوافق ومعاني الاصلاح في القواميس العربية والتي تلخص المضمون في إزالة ما يهلك ويفسد ويعوق.

---

(1) – زين الدين الرازي، مختار الصحاح، مكتبةلبنان،1986، ص154.

(2) – محمد بريش، مفهوم الاصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصطلح، بحث مجلة أمتي في العالم مركز الحضارة للدراسات الإسلامية، القاهرة، ص14.

اصطلاحا:

للإصلاح استعمالات كثيرة و معاني متعددة، فمرة يراد به التحديث والتطوير ويراد بها في مرة أخرى النهضة والتمدن وأخرى التغيير والتجديد ويقصد بها أحيانا الثورة والإحياء وغيرها من المصطلحات والاستعمالات الحديثة و المعاصرة التي تمليها الرغبة إلى إزالة ما يعوق ويفسد ويشد المجتمع إلى الوراء[1]

الاصلاح هو التغيير إلى الأفضل ذلك أن مقابل الاصلاح هو الافساد والحركات الإصلاحية هي الدعوات التي تحرك قطاعات من البشر لإصلاح ما فسد ،في الميادين المختلفة ،وذلك للانتقال بالحياة إلى درجة أرقى في سلم التطور الإنساني[2] .

والاصلاح هو تغير الجوانب في شتى المجالات من السيئ إلى الحسن، ومن الفوضى والمخالفة إلى الالتزام والاستقامة وعادة ما تنبثق الحركات التي تهدف إلى الاصلاح بعد أزمات حادة ومشاكل متخمرة أي أن الحاجة الملحة للإصلاح لا تجد لها بيئة ترسخ إقدامها إلا بعد استشراء الفساد وتفشي الفتن.

فالناظر في تاريخ المجتمعات الإنسانية يلحظ سلسلة من التدافع بين دعوات الإصلاح و حركاته و بين الفساد و الإفساد في تلك المجتمعات ، فالحركة الإصلاحية التي قادها مارتن لوثر بألمانيا قد أحدثت تغيرات عميقة و شاملة في اللاهوت و التدين النصراني فقد ساعدت على تغيير ذهنية المجتمعات النصرانية التي انتشرت فيها حركة لوثر يوجه عام وقد أنكر البروتسنتيين وسلطة رجال الدين بين الله وبين الإنسان[3].

---

(1) - محمد بريش، المرجع السابق ، ص .74.

(2) – محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والاسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر ص 134.

(3) – محمد عمارة، الوسيط في المذاهب و المصطلحات الإسلامية ،نهضة مصر للطباعة و النشر، القاهرة، ص176.

كما نجدها أقامت الحقيقة الدينية على الإنجيل وحده لا على التقاليد المتمثلة في مراسم المجالس المسكونية و الأحكام البابوية كما أنها ساعدت مجتمعاتها على الانتقال من الإقطاع إلى الرأس مالية و الليبرالية بتحريرها للفرد و تنميتها للنزعة الفردية كما انتقلت بهذه المجتمعات من السطوة الدينية إلى القومية ففتحت الباب إلى عصر أوربي جديد[1] ، فمفهوم الإصلاح متعلق بالظاهرة الدينية و بالثورة الدينية التي قامت في أوربا الغربية في القرن16 للميلاد وبدأت في شكل حركة إصلاحية في الكنيسة الكاثوليكية و لكنها تحولت إلى حركة عقائدية عرفت بالبروتستانتية[2]

أما فيما يتعلق بالفكر الإسلامي فإن هذا المفهوم منتشر جدا في الثقافة الإسلامية الحديثة، ففي الشرق ظهرت الحركة الإصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني (1837-1897) منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر بداية من مصر و شمولا لكل العالم الإسلامي حيث دعت إلى العودة إلى منابع الإسلام الجوهرية ،القرآن الكريم والسنة الصحيحة ،واستلهام مناهج السلف و خاصة في عصور الازدهار والإبداع الحضاري فحددت هذه الحركة في مناهج التعامل من القرآن والسنة و علاقة العقل بالنقل و الدين بالدولة و كانت التحديات التي واجهت هذه الدعوة الإصلاحية كثيرة لكن أبرزها كان تحدي التخلف الموروث الذي أصبح بمثابة العقيدة من شدة ألفته و لقد واجهته بالإحياء و التجديد إحياء ثوابت الإسلام ،و تجديد في متغيرات الواقع ،إضافة إلى تحدي الغزو الاستعماري الغربي الحديث[3]

إن مفهوم الإصلاح ليس غريبا على التقاليد الإسلامية فالقرآن ساهم في المقام الأول في تعميم فكرة الإصلاح داخل المجموعة المسلمة من خلال مجموعة من الآليات ذلك أن القرآن الكريم أهم محدد لدلالات المفهوم في اللغة العربية ، و قد ورد لفظ الإصلاح في القرآن

---

(1) – محمد عمارة، المرجع السابق،ص135 .

(2) – نفسه ص.136.

(3) – محمد بريش، مفهوم الإصلاح أو نحو إصلاح لفهم المصلح، مرجع سابق، ص 21.

الكريم في اثنين و عشرين موضع ، بمشتقات فعل أصلح وحده دون فعل صلح[1]، ومن هذه الآيات قوله تعالى : (قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨)[2]

الإصلاح هنا من حيث المضمون بذل الجهد إلى أقصى ما يسمح به المستطاع لإزالة ما يفسد واقع الناس فالنبي شعيب عليه السلام يخاطب قومه أنه لا ينهاهم عن الفعل و يأتيه في السر وإنما مراده إصلاحهم بكل جهده و طاقته[3]

وكذلك ذكر الاصلاح في قوله تعالى : ﴿۞وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾[4]ففي هذه الآية استخلف موسى على بني اسرائيل أخاه هارون وأوصاه بالإصلاح وعدم الافساد وهذا تنبيه وتذكير ، وهذا لأن هارون عليه السلام نبي شريف كريم لدى الله[5]

2- الاصلاح والتجديد :

يتردد مصطلح التجديد في الأبحاث العلمية والفكرية الحديثة حيث يقصد به في الغالب الإصلاح ومنه هل هذا يعني أن المصطلحين هما اسمان لشيء واحد أم أنّ هناك فوارق واختلافات بينهما وللحصول إلى الإجابة كان لزاما علينا أن نبحث في مفهوم التجديد.

---

(1) – محمد بريش، المرجع السابق،ص 22.

(2)هود:88.

(3) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، تح: مصطفى السيد محمد، مؤسسة قرطبة، ط1،القاهرة 2000م،ص362

(4)الأعراف:142.

(5) – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص381.

لغة: مفهوم التجديد في اللغة كما تشير المعاجم نقيض الخلق أي القديم و يقال جدد الشيء صيره جديدا ،أي جعل القديم جديدا و أعاده لحالته الاولى و جدد الثوب أي أعاده إلى أوّل أمره.[1]

اصطلاحا:

والتجديد في الاصطلاح هو محاولة جادة لإضفاء عناصر لم تكن موجودة من قبل على كيان ما يزال له وجود، فيكون هذا الكيان بهذه الطريقة قد جدد سواء حصل التجديد في حذف بعض العناصر من الكيان السابق أم إضفاء عناصر جديدة أم إعادة ترتيب للعناصر نفسها، و سواء كان ذلك في الشكل أم في المضمون أم في المنهج الذي يضم مجال العناصر أو الوصول إليها لكن لا يحصل التجديد بإحداث كيان جديد محل الكيان القائم القديم، و إذا حصل فهذا ليس تجديدا في ذلك الكيان و إنما استبدال و استعاضة، فتجديد الفقه الإسلامي مثلا شيء آخر[2] (،إذ نجد أنّ أصل كلمة تجديد هو القرآن الكريم و السنة النبوية و عند العلماء. ففي القرآن لم يرد لفظ التجديد ولكن قد جاءت فيه كلمة جديد قال الله تعالى ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾[3]

و من الأحاديث التي جاء فيها استعمال كلمة تجديد: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: 'إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فسألو الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم" [4] من هذا الحديث نلمح أنّ إيمان الإنسان بالله تعالى لا يستمر على حاله بل ينقص و يبلى مثل الثوب، ثم إذا هو ألح بالدعاء أن يتجدد الإيمان في قلبه يعود على حالته الأولى و أفضل و في حديث آخر: روى أحمد بن حنبل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(1) – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص561.

(2) - حيدر حب الله، مشروعية تجديد الفكر الديني هواجس و مسوغات، ثقافاتنا للدراسة و البحوث المجلد6،العدد2010،22ص43.

(3)الإسراء:50.49

(4) –سيوطي، الجامع الصغير، جمع وترتيب عباس أحمد صقر، دار الفكر للطباعة والنشر،ص.133.

رسول الله صلى الله عليه و سلم' جددوا إيمانكم' قيل يا رسول الله و كيف نجدد إيماننا قال أكثروا من قول:"لا إله إلاّ الله"[1]

و في هذا يتكرر لفظ التجديد، تجديد الإيمان و يشار إلى أن تجديده يكون بإكثار قول:لا إله إلا الله إذ ان الشهادة هي العلامة الكبرى للإيمان وكلما أعاد الإنسان هذه الشهادة أعاد تجديد ما دخل قلبه أول مرة إلى غير لك من الأحاديث التي ورد فيها عبارة ومعنى تجديد الدين [2].

مشروعية تجديد الدين:

إن المفهوم السليم لتجديد الدين هو ذلك المعنى الذي كان يقصد الرسول صلى الله عليه وسلم حين أخبر أصحابه بنبوءة أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمة الإسلام أمر دينها فنجد الكثير من المجددين يستمدون مشروعية التجديد من هذا الحديث يقول الأستاذ رشيد رضا "ولما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الأمد على عهد النبوة ففسقوا عن أمر ربهم ويتأولوا كتبه بأهوائهم أنعم عليهم بما يحيي هداية الأنبياء بالدعوة الى إصلاح ما أفسد الظالمون في الأرض ويكونوا حجج الله على خلقه وقد بشرنا نبينا محمد خاتم النبيين –صلوات ربي عليه–بأن الله تعالى يبعث في هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها وإنما كان المجددون يبعثون بحسب الحاجة الى التجديد لما أبلى الناس من لباس الدين وهدموا من بنيان العدل بين الناس فكان الإمام عمر بن عبد العزيز مجددا في القرن الثاني، لما أبلى قومه بنو أمية وأخلقوا ومزقوا من لباس السنة، وكان الإمام ابن حنبل مجدد القرن الثالث لما أخلف بني العباس ..وكان الحسن الأشعري مجددا في القرن الخامس وأول السادس لما نبتت نزعات الفلاسفة وزندقة الباطنية ،وظهر حجة الإسلام ابن تيمية مجددا في القرن السابع وأول الثامن

---

[1] بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات و البحث،ط3، 2010،ص16 .

[2] المرجع نفسه، ص17.

لجميع ما مزقت البدع الفلسفية والكلامية والتصوفية الإلحادية من خلال الكتاب والسنة، وظهر مجددون آخرون في كل قرن" [1]

هذا الكلام يأكد أن التجديد عند غالبية المفكرين والعلماء المسلمين لا يكون إلا إذا كان هناك حصول القدم والضعف في الأمة الإسلامية وهو أمر جائز بالنسبة إليهم وذلك استنادا لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

3- الإصلاح والنهضة:

لغة:

يعتبر مصطلح النهضة حديث الشيوع في الفكر الاسلامي وبالعودة إلى القواميس الغربية نجد أن هذا اللفظ بخرج من الفعل الثلاثي " نهض " والنهوض هو الانزياح من موضع و القيام عنه ،نهض ينهض نهوضا و نهوض وانتهض القوم أي قاموا ونهضوا للقتال واستنهضه لأمر كذا ، وناهضه أي قاومه [2] .

اصطلاحا:

استعملها الاوربيون هذا المصطلح للدلالة على فترة محددة من تاريخ أوربا وما عرفته تلك الفترة من تحولات سياسية و اقتصادية ، و ما واكب ذلك من التحولات من اتجاهات في مجالات الدين والعلم والفلسفة والفنون ، وغالبا ما يراد بلفظ النهضة حالة الانبعاث ،كما تعني النهضة أيضا عودة شيء ما أو شخص ما إلى الظهور [3]

وحسب الأستاذ سعد الله فإن الإصلاح في الجزائر لا يرتبط بجمعية العلماء والواقع أن مفهوم الإصلاح أوسع من مفهوم جمعية العلماء، كما أنه أقدم منهما كما عرفنا فهو أوسع من مفهومها لأن عددا من المثقفين (من أصحاب الثقافة العربية الفرنسية) كانوا مصلحين

---

[1] رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الامام، ج1، دار الفضيلة، ط 2، مصر،2006، ص 8.

[2] – ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج7، ص 245.

[3] – محمد وقيدي، لماذا أخفقت النهضة العربية، دار الفكر، ط1دمشق2002، ص 90.

ولكنهم لم يكونوا أعضاء في جمعية العلماء، ومن جهة أخرى يعتبر الإصلاح أقدم من جمعية العلماء لأننا عرفنا أن كثيرا من عناصر المدرسة المستنيرة كانوا مصلحين أيضا بالرغم أنهم كانوا متأثرين بالحضارة الفرنسية من جهة وبتيار الجامعة الإسلامية من جهة أخرى.[1]

هذه الحركة الإصلاحية الجزائرية كانت لها جذورا وروافد من المشرق العربي الإسلامي وأن أبرز هذه الجذور والروافد وأعمقها هي الحركة التي اضطلع بها كل المصلحين من العلماء والمفكرين أمثال: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الله النديم وأحمد خان والمودودي ورشيد رضا، وطاهر الجزائري ومحمد شكري الألوسي ومحمد مصطفى المراغني ومحمد بن عبد الوهاب وغيرهم ممن سار على منهاج هذه الحركة من علماء المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب، ولعل هذه الحركة التي خدمها المئات والآلاف من أبناء هذا الوطن ممن ابن باديس وصحبه سعيد الزاهري، محمد بن خير الدين، الأمين: سنذكر أمثال العمودي، أبو اليقظان، الشيخ بيوض والشيخ العقبي...، ولم تكن حركة نخبة مثل غيرها من الحركات الإصلاحية التي سبقتها أو عاصرتها وإنما هي حركة إصلاحية (نبعت من آلام وآمال الشعب، واستهدفت أول الأمر حياة الشعب ونهضته).[2]

وكان هؤلاء المصلحين أول الأمر تمهيد الأرض وتنقيتها من أجل ترسيخ جذور الإصلاح في الجزائر وفي ذلك بإزالة موانع الإصلاح بهذه الديار وعوائقه واتفقوا في بادئ الأمر على وسيلة وهي أخذ المبطلين والهجوم عليهم وإسماع العامة صوت الحق، فاستخدموا وسائل النهضة من صحافة ونوادي وجمعيات لتحقيق ذلك الأمر [3]

---

(1) – أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، م. و. ل، الجزائر، 1988، ص89.

(2)– محمد الطاهر، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية ، دار البعث، قسنطينة، 1981 ص 81.

(3)- البشير الإبراهيمي، سجل العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتب ، الجزائر 1982، ص 5.

4-رواد الإصلاح

أ) **الشيخ عبد القادر المجاوي**[1] : كان من المتأثرين بالمدرسة الإصلاحية بالمشرق العربي خاصة في جانبها الأدبي واهتماماتها بالدراسات اللغوية، والدليل على ذلك أن معظم مؤلفاته حول اللغة وعلومها.

وكان الشيخ المجاوي [2] رغم نزعته التقليدية في الكتابة ومعالجة المواضيع من الرواد المستنيرين الذين دعوا منذ وقت مبكر إلى نبذ الركود وإلى اليقظة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة ويعد في طليعة المصلحين الذين ظهروا في الفترة 1900-1914 متفاعلا مع دعاة الإصلاح الإسلامي.

كما عرف يبث روح الإصلاح، وبذر بذرة النقد الاجتماعي ومما اشتهر به الدقة العلمية في الإسناد والشغف بالعربية وأصولها، وهذا ما يؤكده الأستاذ المجاهد الليبي سليمان الباروني حين التقيا في قسنطينة حيث قال فيه: سيبويه عصره من هذبه: أدب العلم فأروى من ورد، ذاك عبد القادر الطود الذي: لا يقول إلا بسند. [3]

---

[1]- هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي، مصلح سلفي جزائري ولد بتلمسان سنة 1848 وتعلم بها ثم بطنجة وتطوان وجامع القرويين رجع بعدها إلى الوطن وعين مدرسا بقسنطينة ثم نقل إلى العاصمة حيث عين مدرسا في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية سنة 1898، خرج أفواجا من القضاة ورجال والأئمة والمترجمين والمدرسين والوعاظ توفي بمدينة قسنطينة سنة 1914، من آثاره القيمة كتب مدرسية، وكتاب في علم الاقتصاد رسالة إرشاد المتعلمين وشرح منظومة البدع لتلميذه الشيخ المولود بن الموهوب، للمزيد عنه انظر: عمر بن قينة، عبد القادر المجاوي حياته وآثاره، مجلة الثقافة، العدد 48، 1987، ص 114 قيل أنه توفي في 1913، انظر، عمار طالبي، آثار ابن باديس،ج1، ص 24.

[2]- ذهب البعض إلى أنه كان ينتمي إلى الطريقة القادرية أنظر: Fanny collona, savants, paysans éléments d'histoire sociale sur l'algérie rurale O.P.U alger 1987 p208

[3] - عبد الحليم عويس، أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر الإصلاحي بالجزائر مجلة كلية العلوم الاجتماعية جامعة محمد بن سعود، 1981، عدد5 ص242.

ودعا العالم الإسلامي إلى ضرورة تثمين العلم للخروج من دائرة التخلف والانحطاط وفي ذلك يقول:"...هيهات أن يستقيم حال المسلمين إلا بالرجوع إلى التربية وتعلم العلم اليقيني على قانون الشرع المتكفل بترجيح الأعمال وإشراب العقول حب المسابقة إلى الفضيلة التي هي العدل في سائر أعمال.[1]

ب) **صالح بن مهنا**[2] عرف الشيخ صالح بن مهنا قيمة التعليم في إيقاظ المجتمع من غفوته وسباته فوطن نفسه على خدمة الحركة التعليمية لكل ما أوتي من قوة فبعد أن عين إماما بالمسجد الكبير بقسنطينة، شرع في إلقاء الدروس وبوتيرة دائمة بالزاوية الحنصالية خدمة لتلاميذه في جميع المواد الدراسية.ونظرا لكفاءته فقد نال إعجاب الناس الذين كانوا يأتون الزاوية الحنصالية للصلاة ولسماع درس الشيخ بن مهنا، وكان شديد الحرص على الوقت وكثيرا ما نجده إما في التدريس أو منكبا على مطالعة الكتب والنظر فيها.[3]

أهين الشيخ من بعض الطرقيين المشعوذين بقسنطينة حملته العنيفة على ما ألفوه من العوائد الفاسدة والبدع المخالفة للدين، وما اعتادوا من التعصب القبلي، والجاهلية والاعتزاز بالعرق أو الحسب أو النسب وما في معنى هذا مما هو مناف للشريعة الإسلام وسنته إلى جانب أعراضهم عن العلم ونبذهم نصائح العلماء وإرشاداتهم ولم يقفوا عن هذا الحد وبل تجاوزوه إلى الأذية والازدراء[4]، واعتبر أفعالهم خارجة عن الدين وهم كفار بلا شك زنادقة وكل من

---

(1) – محمد ناصر ،المقالة الجزائرية،ج2،ش و ن ت، الجزائر،1978 ،ص.224.

(2) -هو صالح بمحمد بن مهنا، ولد بقسنطينة سنة 1840 على الأرجح وقد ولد بقريرة العشرة (الكركرة) بالقل حيث موطن قبيلة ابن مهنا هناك، تعلم بجامع الزيتونة على يد الشيخ صالح النيفر سنة 1273هـ، ثم أكمل دراسته بالجامع الأزهر من أستاذة بالأزهر الذين أثروا فيه كثيرا الشيخ محمد بن أحمد عليش الطرابلسي شيخ السادة المالكية بها ومفتيها، حتى نسب نفسه إليه في نقض كتبه حيث يقول: صالح بن مهنا القسنطيني العليشي حارب البدع والخرافات ودعا إلى تعاليم الصحيحة، توفي سنة 1910، للمزيد انظر سليمان الصيد صالح بن مهنا القسنطيني مرجع سابق ص71.

(3) – عبد المجيد بن عدة، مصلحون كبار، الشيخ بن مهنا القسنطيني، المجاهد الأسبوعي 23 جوان 1989، ص55.

(4) –سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني، مرجع سابق، ص73.

وافقهم ذلك فهو منهم وانتقد بشدة المنحرفين عن الجادة من الإشراف الذين يزعمون أن شرفهم ينجيهم مهما ارتكبوا من معاصي واقترفوا من خطايا، فالشرف المعتبر هو شرف التقوى ومخافة الله كما عاب على الناس الإيمان بالشيوخ إيمانا أعمى "لأن المشيخة صارت ملعبة في يد الأحداث والصبيان بل صارت حرفة في أيدي الجهلة يأكلون بها الحرام ويفعلون الآثام ويخوضون في البد والآثام".[1]

كما عاب على الناس الاعتقاد الخاطئ في أناس ضالين ومضللين سموا أنفسهم ب"مرابطين" فراحوا يضربون الأمثلة السيئة في محيطهم الاجتماعي بتركهم للصلاة وانتهاكهم لحرمة رمضان وشربهم للخمر فبين بأن المرابط ليس ذلك الجاهل المضيع لحقوق الله وحقوق عباده وكل مغفل معتوه ومجنون ومنتهك لحرمات الله كترك الصلاة وانتهاك حرمة شهر رمضان وشرب الخمر وسب الدين والأغبياء يقولون هذا المرابط هو ذلك الملازم للعبادة والمواظب عليها.[2]

إن شجاعة ابن مهنا الكبيرة في إبراز حقيقة الإشراف والمرابطين من منظور الشريعة الإسلامية السمحة في ذلك الوقت الذي كسدت في سوق العلم وراجت فيه الخرافات والبدع قد جلب له العداء الشديد من أنصار الطرقية الضالة الذين ثارت ثائرتهم لما قرأوا على هامش رحلة الورتلاني[3] ما كتبه ابن مهنا بأن الشريف هو الذي يخشى الله أما الشريف المزيف كالذي يرتكب الجرائم والسرقات فلا يستحق أي تقدير وكل الأديان متفقة على ذلك[4] فألف الشاعر عاشور الخنقي[5] كتابه "منار الأشراف" الموجه للرد على ابن مهنا عدو الأشراف

---

(1) – سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني، مرجع سابق،ص73

(2) – المرجع نفسه ، ص74.

(3) – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص139، والج8 ، ص117 وما بعدها.

(4) – المرجع نفسه، ج7، ص332.

(5) – هو أبو الفيض عاشور بن محمد بن عبيد بن أبي عبد الله محمد السعود الهلالي الخنقي المشهور بقسنطينة الشيخ عاشور من بلدة خنقة سيدي ناجي من قرى الزاب الشرقي ولد في 1246هـ 1846م، حفظ القرآن ثم أكمل دراسته ببلدة الجريد التونسية، ثم انتقل إلى زاوية الهامل فأكرمه شيخها محمد بن القاسم وأصبح مدرسا بها تعصب للأشراف،

حسب تعبيره وقد وصفه بمختلف الأوصاف البذيئة وأطلق عليه أسماء الزنادقة ونحوهم مثل مسيلمة الكذاب وأبي جهل وابن سلول، وكان مدفوعا في ذلك كما قال من قبل الشيخ محمد بن القاسم الهاملي الشريف الحسني البوزيدي.[1]

ت) **الشيخ بن الموهوب**[2] : كان من المؤمنين بضرورة الأخذ من الحضارة الغربية معتمدا على براهين قوية مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لإقناع مواطنيه على أن ليس هنالك مانع شرعي من ذلك إذا كان القصد هو العلم لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها.[3]

ولعل وجوده كعضو بارز في نادي صالح باي[4] جعل محاضراته الأدبية والاجتماعية خير مثقف للعامة وإذا كان الشيخ المولود بن الموهوب هو الذي أعطاها نشاطاته الثقافية النفس

وألف "منار الأشراف" قفل عصاة الأشراف ومواليهم عن الأشراف، فأحدث ضجة ورأى فيه العلماء خروجا عن مبادئ الآلام على فردوا عليه بالحجة والدليل كما ناصر عاشور الطرقيين ومشايخهم في الجزائر والمغرب للمزيد انظر شعيب، أم الحواضر...ص332 وما بعدها

(1) – سعد الله، تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج7، ص332.

(2) – هو محمد المولود بن السعيد بن المدني بن العربي بن السعود، ولد سنة 1283هـ/1866م، ونشأ بقسنطينة تحت رعاية والده وبعد وفاة والده تكفل به أحد أصدقاء والده، حيث ساعده على متابعة دراسته، حيث أخذ العلم على العديد من المشايخ نذكر منهم، محمد الدارجي، عبد الإمام الشيخ عليش، ولازم لمدة طويلة دروس أستاذه عبد القادر المجاوي، كان مفتي المالكية– بقسنطينة، حارب البدع والآفات الاجتماعية توفي سنة 1930م، للمزيد انظر دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، المطبعة العربية دمشق، 1965، ص134. أنظر: محمد علي دبوز،نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة.

(3) – عبد المجيد بن عدة، الخطاب النهضوي في الجزائري، 1925–1954، أطروحة دكتوراه، الجزائر 2004، ص62.

(4) – يعد نادي صالح باي بقسنطينة من أبرز المراكز الثقافية في البلاد قبل أن يؤسس نادي الرقي بالعاصمة سنة 1927م، بما كان يقدمه من محاضرات ثقافية قيمة استقطبت جمهورا عريضا من الناس، تأسست سنة 1907، وكان على شكل جامعة شعبية، كان يضم ألف وسبعمائة عضو، وله فروع في العديد من المدن البلاد، اعتبرته الشهاب نواة الإصلاح للمجتمع الجزائري الصناعي والاقتصادي لو بقي سائرا على الخطط والمبادئ التي أسس عليها ولكن أغراض الدخلاء المفسدين

القوي، وكان بمثابة المقدمة الحقيقية للحركة الإصلاحية، فهو الذي هيأ للشيخ عبد الحميد بن باديس الجو الاجتماعي الصالح والعلمي والواسع، فخطا فيه الخطى الواسعة.[1]

أما جهوده التي بذلها من أجل النهوض بالتعليم المسجدي فتتمثل في تلك الدروس القيمة في الدين والعلم التي كان يلقيها بانتظام على مسامع الجمهور العريض من المسلمين بالجامع الكبير بقسنطينة وكان الهدف المنشود من وراء ذلك هو إحياء تعاليم الدين الإسلامي السمحة بتنقيته من شوائب البدع والخرافات والعمل على إصلاح المجتمع ولم شمله.[2]

هاجم الشيخ في دروسه التعصب المذهبي والجنسي والجهوي ويدعو إلى الأخوة الإسلامية ثائرا على البدع والخرافات التي أفسدت الدين وقتلت المسلمين، منددا بالأمراض النفسية كالحسد والحقد والبخل في المساهمة في المشاريع الخيرية، شديدا على الملحدين الذي يقبلهم الاستعمار في مدارسه متخذا منهم جنودا لمحاربة الإسلام والمسلمين.[3]

ودعا الشيخ ابن الموهوب الجزائريين إلى وجوب الاهتمام بالتعليم فقال مخاطبا إياهم"...نوروا عقولكم بالمعارف، واتركوا النوم أن اليوم ليس كأمس، لقد صارت المعرفة في سباق مع الزمن[4]، وبدل الانهماك في الملاهي المنتشرة هنا وهناك وأقبلوا على حلقات العلم إذ لا يمكن للبلد أن يسترجع قوته وهيبته وأنتم أبناؤه جاهلون بعيدون عن العلم.[5]

زحزحته حتى نسفته، للمزيد عن النادي انظر، سليمان الصيد، نفخ الأزهار عما في قسنطينة من أخبار، المطبعة الجزائرية، بوزريعة الجزائر، ص21.

(1) – دبوز، المرجع السابق، ج1، ص142.

(2)–pierre boyer, lévolution de l'algérie, Médian (Ancien Departement d 'Alger) de 1830–1956 Andrien Maison ,neure paris ,196 p. 175.

(3) – محمد علي دبوز، المرجع السابق ، ص139.

(4) –Belkacem saad allah, Figures I illustres 2 partie in El Moudjahid. 12 Oct 1988.

(5) – ابن الموهوب، ضرر المسلمين من أنفسهم، جريدة المغرب ع،5 (29–5–1903).

وحمل ابن الموهوب بشدة على الجمود والتخلف الذي كان عليه المسلمون داعيا إياهم إلى النهوض من خلال العمل ونبذ الكسل والتواكل "...فاتخاذ الأسباب من حرفة وتحصن وتداو وادخار وغيرها ليس بمناف للتوكل، وإنما اتخذ عادة الله عز وجل في ربطه للأسباب بمسبباتها وقد لا يحصل فالمراد بالتوكل استحضار التوحيد الحقيقي بشهود أن لا فاعل إلا الله تعالى كما قال ابن زكري على النصيحة ".[1]

ث) **الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة**[2] :يعد من علماء الجزائر العاملين، ومن المصلحين الأوائل الذين حاربوا البدع في الجزائر وسلكوا مسلك الشيخ محمد عبده في الإصلاح، أثنى عليه الشيخ رشيد رضا بقوله: "ومن خيار علماء الجزائر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة صاحب المصنفات".[3]

كان الشيخ ابن الخوجة متأثرا بالفكر الإصلاحي والتجديدي مستلهما روح الإصلاح من التأليف الإصلاحية التجديدية الحديثة وكان يرى في ذلك تأليفه القيمة، فقد استمد أفكاره من العلماء المجددين فأطلع على كتبهم وجرائدهم ومجلاتهم، فتشبع بآراء الأستاذ الإمام محمد عبده وأصبح من أنصار مذهبه بالجزائر.[4]

---

[1]– ابن الموهوب، مسامرة في نادي صالح باي، كوكب أفريقيا، ع 174 ،(1910/09/12).

[2]– هو محمد بن مصطفى بن الخوجة المشهور بالشيخ كمال ولد بمدينة الجزائر في 1381هـ/1865م وتلقى العلوم العربية منه عدة مشايخ منهم المفتي علي بن الحفاف والشيخ السعيد بن زكري مارس الصحافة بالمبشر منذ 1896 إلى 1901، مدرسا بجامع سفير منذ 1895 عين وكيلا لضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي توفي سنة 1915 اهتم بقضايا الإصلاح والتجديد وتأثر بأفكار الشيخ محمد عبده لعب دورا كبيرا في تنوير المجتمع وتثقيفه للمزيد انظر: دبوز، المرجع السابق، ص128.

[3] – رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدو، ج1، ط1، مطبعة المنار– القاهرة1931 ص371.

[4] – سعد الدين ابن أبي شنب، "النهضة العربية بالجزائر من النصف الأول من القرن 14 هـ" مجلة كلية الآداب، جامعة. الجزائر، العدد 1، الجزائر، 1964، ص52.

وكانت دروسه نارا على البدع والجمود والإلحاد[1] حيث كان أول من درس وخطب على المنابر ضد البدع والخرافات والمرابطية والطرقية الضالة[2]، وتلمس في الأعمال الفكرية التي ألفها أنه كان مؤمنا بالتجديد والاجتهاد، في الدين والحياة معا، حيث بادر إلى نشر كتاب "الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد "فرض" للشيخ السيوطي وهذا ينم عن نزعته الاجتهادية ومعارضة للتقليد الأعمى ومما يؤكد هذا الاتجاه لديه أنه كتب مصنف" مجموع مشتمل على القوانين مفيدة وتنظيمات سديدة مقدمة في الشريعة وملائمتها لكل زمان ومكان ومن بين الآراء التي يؤيدها ما أورده من قوله " لا ينكر تغيير الأحكام بتغير الأيام حاثا في هذه المقدمة الهامة إلى ضرورة الانتفاع من تجارب غير المسلمين.[3]

كما دعا في كتابه " الاكتراث في حقوق الإناث"[4] إلى وجوب تصحيح وضعية المرأة، حتى تقدر أداء وظيفتها التربوية والاجتماعية على أحسن وجه، وفي نظره أن تدهور العلاقات الزوجية التي وصلت إلى أحط الدرجات من غياب الاحترام المتبادل بين الطرفين الذي هو أساس السعادة الزوجية فعوض الوفاق والوئام نجد الشقاق والخلافات التي لا توجد لها حلول إلا باستعمال الغلظة والخشونة والقول السيئ القبيح "...إن جل نساءنا يتطاولن على رجالهن ويكلفنهم ما لا يطاق من الإخفاق والتبذير ومنهم من لا تحيي زوجها ولا ترحب به، ولا تبش في وجهه بل تعرض عنه ولا تجيب نداءه ولا تمتثل لأمره وفيهن من تشتمه وتدعو عليه مشافهة حتى اضطر بعضهم إلى تأديبهن بالضرب زيادة على بذل جهده في اللعن والسب.[5]

---

(1)- محمد دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، المطبعة العربية، الجزائر 1969 ، ص130.

(2) – المرجع نفسه، ص132.

(3) – عمار طالبي، آثار ابن باديس، ج1، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر 2011، ص36.

(4) – ابن الخوجة، الاكتراث في حقوق الاناث، وطبعه بفونطانة بالجزائر، سنة 1895، ص 63.

(5) – ابن الخوجة، المصدر السابق، ص 64.

ولا يستغرب ابن الخوجة هذه الحالة مادام السبب الذي جعل نساء الإفرنج يرفضن هذه المنزلة السامية في معاملة أزواجهن " إلى أنهن تغذين بلبان المعارف التالد فيها والطارف و بالعلم الذي هو أكمل مهذب وأحل مؤدب، وهو مقوم نفوس الأمم ومعدل الطباع والشيم، وهذا ما حرمن عنه نساء المسلمين حيث أصبحن عاجزات عن مجاراتهن في ميدان أو الموازنة معهن بميزان، وقد بلغن في الجهل الغاية القصوى ورغبن في هضم حقوق أزواجهن متن عمياء، ولهذا كان أغلب المتأهلين منا في عناء كبير وبلاء خطير و بهما عظم الشقاق وكثر الطلاق.[1]

ولعلاج هذه المسألة شدد المصلح على ضرورة الاهتمام بعلم الدين المرادف للتمدن إذ هو خير سبيل لتبديد الجهل وتحقيق الرضا الذي يتمثل كما تدل عليه الصورة التاريخية للإسلام في "العلم الواسع والشرف الشامخ والعز اليافع والثروة والسطوة العامة والفتح المبين والعمران والتمدن.[2]

وإن طلب العلم متوجب على كل المسلمين ذكورا وإناثا في مسائل المعاش والمعاذ لقوله صلى الله عليه وسلم" طلب العلم فريضة على كل مسلم" وأن يعرف عدة علوم منها، العقائد الدينية بأدلتها اليقينية كي لا يسقط في أحابيل الملحدين والدهريين".[3]

كما ثار ابن الخوجة على الجمود والتحجر الفكري حيث أبرز في رسالته القيمة "إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام دور المجددين في المجتمع وكيف يمكن لهم أن يقوموا بالدور الريادي في مجال إصلاحه والنهوض به فيعيدون إلى الحياة ما

---

(1) – محمد علي دبوز ،المرجع السابق، ص 128.

(2) – سعد الدين ابن أبي شنب، المرجع السابق، ص 35.

(3) – ابن الخوجة، المصدر السابق، ص 36.

أندرس فيه من قيم وتعاليم ويحذفون عنه ما هو زائد ومبتدع لا علاقة له بالأصل من غير مبالاة بالعلماء الغافلين الغوغائيين".[1]

وفي كتابه "اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب"[2] شن هجوما عنيفا على الذين يزعمون أن اللباس الغربي يتعارض والنصوص الشرعية وأنه حرام مستدلين على بقوله تعالى "قل أطيعوا الله والرسول" بل إن يجوز هذا اللباس الغربي ويحله مغضوب وملعون لعنا كثيرا".[3]

وقد رد ابن الخوجة على هذه الدعاوي مبينا زيغا وبطلانها وبعدها عن الحقيقة مستدلا في بأمثلة العقل والنقل فالحاصل عنده أن لا مانع من ارتداء الملابس الأوروبية للضرورة أو لفائدة أو لمصلحة ولا حرج عن ذلك من الناحية الشرعية إذ أن طبيعة المهن والحرف تحدد نوعية الملابس التي ترتدي عند مباشرة هذه المهن والحرف ولأنها قد تكون مناسبة لذلك وموافقه.[4]

ج) **الشيخ عبد الحليم بن سماية**[5] :كرس كل جهده لخدمة العلم والتعليم وأثر كثيرا بأفكاره النيرة في أوساط طلابه، واهتم ابن سماية زيادة على التدريس بالتأليف على غرار

---

(1) – ابن الخوجة، إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، دار المعرفة الدولية، الجزائر 2011، ص24.

(2) – ألفه ابن الخوجة، طبع بالجزائر سنة 1907، ص24.

(3) – ابن الخوجة، اللباب، المصدر السابق، ص72.

(4) – نفسه ص 77.

(5) – ولد الشيخ عبد الحليم بن سماية في الجزائر العاصمة سنة 1866 وتربى في أحضان والده علي بن سماية الذي عرف بثقافته الواسعة التي أخذها أثناء وجوده بمصر، وقد أدخل عبد الحليم الكتاب فحفظ القرآن الكريم وأتقن حفظه في وقت قصير، ثم عكف على مراجعة المصنفات فنال نصيبا وافرا من المعارف، واستفاد من شيوخ عصره استفادة كبيرة وليس من المستبعد أن يكون والده أحد مدرسيه كما يقول دبوز وعندما الثلاثين من عمره دخل التدريس عام 1896 بصحبة الشيخ عبد القادر المجاوي حيث درس أولا في المدرسة الثعالبية التي أفاد بها الطلاب كثيرا، كانت له في حياته مواقف وطنية فقد رفض علنا قانون التجنيد الإجباري مدعما رأيه= =بما جاء في كتب الشريعة ونصوص القرآن والسنة، يعد أوسع علماء عصره علما وثقافة وهو من المصلحين الجزائريين المعتنقين لمذهب محمد عبده والداعين له توفي في 4 جانفي 1933 بالعاصمة انظر: عبد الرحمن الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم

معاصريه وانفرد عنهم جميعا حين ألف في الفلسفة الإسلامية ونظرا لكونه من المتأثرين بدعوة الإمام محمد عبده نظرا للخصال العالية التي وجدها فيه فقد ذكر في إحدى مراسلاته ما يلي "... ولو كشفت من نفسك ما كشف لي منها، لعلمت مقدما ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب ولعرفت أنك ستكون أمام قومك تهديهم إن شاء الله سبيل الرشاد، وتصبرهم بما يوفر عليهم الحظين: حظ المعاش و حظ المعاد هذا هو أملي الذي أسأل تحقيقه.[1]

وأدرك ابن سماية أن نهضة المجتمع وخروجه من دائرة التخلف لا يمكن أن تتحقق وترى النور إلا إذا قمنا بحملة صادقة تستهدف محاربة الأمية وتشجيع العلم والعناية به وتصحيح الكثير من المفاهيم الخاطئة عند الأولياء الذين كانوا لا يولون عناية لتعليم أبنائهم وفي ذلك يقول "... و إنه لو انفق الناس على جلب أزهار العلم لوجدوا إليها سبيلا فيأمرون أولادهم بمخالطة أهل العلم، أو يأمرون أولادهم بطلب المدرسين أن يعلموهم ويأمرونهم بالاجتماع عليهم في أوقات الدروس في المساجد أو أنهم يأمرونهم بتعلم ولو مسألتين أو ثلاث كل يوم بالسؤال ممن يعلمها، ويوبخهم على إضاعة أوقاتهم فلو فعلوا ذلك لحملوهم بالتعود على السؤال ذوق العلم فيتوكد فيهم داعي الطلب من أنفسهم[2]، وينحني ابن سماية باللائمة على الآباء الذين لا يلاحظون ضعف مستوى أبنائهم الدراسي ولا يحركون ساكنا لمساعدتهم تاركين الحبل على الغارب غير مبالين بعواقب ما ترتب عن ذلك كأنهم غير مسئولين".... لكم نرى كثيرا من الناس يسمع ابنه وعمره 15 سنة وهو يقول ثلاثة مع عشر، ولا يهمه ذلك، فإن كان أبوه لا يأمره بالتخلي عن الجهل والتحلي بالفضل فمن يأمره بذلك والراعي مسؤول عن رعيته كما هو معلوم في الدين ..إلا وأن العقول لا تستنير ولا تكمل إلا بالعلم

بن سماية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، مارس 1973، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر. وأيضا دبوز: نهضة الجزائر، مرجع سابق، ص 106.

[1] – رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، المصدر السابق، ج 2، ص 617.

[2]– عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب، عدد4 (21-04-1903).

وأن العلم لا يحصل إلا بالتعلم ثم التعلم ثم التعلم في الصغر كالنقاش في الحجر والتعلم في الكبر كالنقاش على الماء".[1]

وحتى يمكن تدارك العجز والوصول إلى تحقيق نتائج إيجابية حث الأولياء بوجوب تخصيص حصص من أوقاتهم لمجالسة الأبناء ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي تعترضهم في الدراسة ".. فعلى كل عاقل أن يثقف عقول أولاده بالتعليم وأن لا يتكل على إرسالهم إلى من يعلمهم فقط بل يجعل لهم هو بنفسه حقا من الزمان، الذي يمكنه محادثتهم في محادثة العاقل للعاقل لا محادثة احتقار كما يفعله كثير من الكبار مع الصغار فإذن ذلك مميت لقرائحهم وموقف لتقدمهم فيبسط لهم ويشرح صدورهم لئلا يسأموه فيموت الانتفاع...".[2]

ونصح الأولياء بضرورة الابتعاد عن أسلوب التعنيف والزجر في التربية لأن نتائج ذلك تكون معكوسة "...ومن اتخذ مع أولاده كلمة أف واللمح لهم ينصف الطرف، والضرب بالعصا، عوضا وتكاد تنتظم في نوع الإنسان إذا عوملت بالرفقة واللينة..."[3] وعدا ابن سماية الإنسان المسلم إلى ضرورة القيام بالعمل ونبذ الكسل وعدم التعلل بالأسباب الراهنة التي تدفع بصاحبها إلى الابتعاد عن العمل وفي ذلك يقول عن الكسول "...وأناخ عليه العجز بكلكله وترك الحركة لطلب معاشه وربما لم يقم ليلا ولا نهارا من فراشه فإذا قيل له احترف قال ضاعت الحرف، وإذا قيل له تاجر قال كسدت الأسواق والعاقل إذا أمعن النظر في حال مثل هذا لا يحكم عليه إلا بأنه رجل غلب على عقله حب الراحة واستحسن أن يلحق بنوع الجماد الذي لا يتحرك.."[4]

---

(1) – محمد علي دبوز،المرجع السابق، ص.108.

(2) – أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية،ج2 ،ص ص 138. 139

(3) – عبد الحليم بن سماية،مصدر سابق، عدد03.

(4) – عبد الحليم بن سماية، القوة الجاذبية، جريدة المغرب عدد1، (10-04-1903).

أما إيمانه بالتضامن والوحدة الإسلامية فكان يعبر عن أصالة ساكنة في أعماقه وسارية في كيانه فقد " كان من أمة العلماء كان يسوءها الاختلاف في الحق بالباطل وشقاق المسلمين فيما لا يعود عليهم بطائل، يحذر ويحذر من فتنة الأمة في دينها إذ فتنتها أشد من قتلها"[1]

الأستاذ محمد بن أبي شنب[2]:نشر كثيرا من المصادر وجد مخطوطاتها في الخزائن العمومية أو الخزائن الخاصة، وتكمن من نفض الغبار عن الكثير من الكتب التراثية القيمة التي كانت في عالم الإهمال والنسيان وزيادة على ذلك قام ببحوث تتعلق بتاريخ المغرب والأندلس وصقلية علاوة على التراجم الكثيرة التي شارك بها في تأليف دائرة المعارف الإسلامية.[3]

---

[1] – مجلة التلميذ، ع 3/4 (1933) ص11.

[2] – هو محمد العربي بن محمد أبي شنب ولد سنة 1286هـ/1896م بفحص خارج مدينة المدية وتعرف بعين الذهب، وتربى في أحضان والديه ولما بلغ سن التمييز ألحقه والده بالمكتب القرآني فحفظ القرآن الكريم ثم راح يتعلم اللغة الفرنسية إلى أن تحصل على شهادته، ثم زاول دراسته بالثانوية ثم أكمل دراسته بمدرسة المعلمين ببوزريعة وتخرج أستاذ للغة الفرنسية، وعندما كان مدرسا بالعاصمة تعلم اللغة الإيطالية وأخذ دروسا قيمة في علوم البلاغة والمنطق والتوحيد على يد الأستاذ عبد الحليم بن سماية هذا الأخير الذي كثيرا ما يرجع إليه وفي ذلك يقول ابن سماية "ما علمت في حياتي كلها معلما يرجع إلى تلميذه غيري وإني اعترف له بالفضل والنبوغ، وتمكن بفضل جده واجتهاده أن يتضلع في علوم العربية وتراجم الرجال حتى صارت مقالاته حجة في ذلك وفي سنة 1898 عين أستاذا بالمدرسة الكتانية بقسنطينة خلفا لشيخها المجاوي عندما انتقل منها إلى المدرسة الثعالبية وفي سنة 1901 صار ابن شنب أستاذ بالثعالبية وقد ذاع صيته كعالم كبير واعترف بفضل الأئمة الأعلام وتقاطرت عليه المكاتبات من كبار العلماء ومشاهير الكتاب والأدباء، عين أستاذ بجامعة الجزائر بعد وفاة الأستاذ ريني باضية سنة 1924، توفي بالجزائر سنة 1929م للمزيد عنه أنظر، عبد الرحمن الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

[3] – الجيلاي، المرجع السابق Rachid Bencheneb une correspondance entre savants Maghrebins et orientaux au début du XX siècle. From Arabia XXX1 juillet 1984 pp 189-217.

وهو أهم شخصية خدمت اللغة العربية والثقافة الإسلامية في تاريخ الحضارة الإسلامية في المغرب الأوسط واتسم عمله بطابع علمي مما جعله ينتخب للتدريس بكلية بجامعة الجزائر والمجمع العلمي العربي بدمشق، لعب كبيرا في تعزيز الشخصية الوطنية وقد كتب في مجلة الشهاب بحثا ولما توفي، قال فيه ابن باديس: " لما عرفناه فقدناه".[1]

ح) **عمر بن قدور الجزائري**[2]:هنالك من يعتبره أول من نادى بتأسيس جمعية العلماء تحت اسم جماعة التعارف الإسلامي وأول من نطق بفكرة الوطنية[3]، عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي وكفاحه السياسي وطنيا ومغاربيا وعربيا وإسلاميا، وقد كانت الصحافة عنده من أبرز الوسائل التي أستطاع بواسطتها نشر فكرة الإصلاح والتجديد وفضح أعمال الاستعمار ومخططاته الجهنمية، هاجم كل دعوات التفرنج والإلحاد وكل أشكال الخرافات والبدع حرصا على الدعوة إلى كل ما من شأنه أن يعلي كلمة الدين ويرقى حياة المسلمين.[4]

وكان من أشد المعارضين لقانون التجنيد الإجباري وإدماج الجزائريين وتذويبهم في المجتمع الفرنسي" إننا قوم لنا قومية عروتها متينة وقيمتها ثمينة وإن أصيب أعضاؤها بغدر قصير المدة ويتقطع وتتحرك أعضاؤها بنشاط تام فما لنا من رغبة في الاندماج بفرنسا ولا بغيرها من الأجناس وما لنا من رغبة في نيل حقوق تجر علينا الويل والدمار إننا لا نريد من فرنسا

---

(1) –تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليمن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص109–110.

(2) –من رجال الإصلاح والوطنية الصادقة، يعد رائد الصحافة الجزائرية ولد بمدينة الجزائر سنة 1305هـ/1886م وبها نشأ وتعلم بالكتاب، ثم بالمدرسة الثعالبية التي لم يبق بها طويلا، أنشأ جريدة الفاروق 1913م، عني بأحوال العالم العربي الإسلامي وتعرض بسبب مواقفه الوطنية إلى القمع الإستعماري، توفي سنة 1932م للمزيد أنظر د/صالح خرفي، عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية الجزائري، مجلة الحياة الثقافية عدد 32 تونس ، 1984ن ص 38–39.

(3) – زهير إخرادن، الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ب.ت.ص .74.

(4) – صالح خرفي، المرجع السابق، ص 38.

أن تمن علينا بتمدنها وعدلها لأن لنا تمدنا وعدلا ذقناهما فصار كل شيء عندنا بعدها مرا وهل بعد ذوق العسل نذوق الحنظل".[1]

عرف عنه أنه من الذين جمعوا بين التوجه الإصلاحي والتوجه الصوفي، فالتيجانية يعتبرونه تجانيا بما ألفه من كتب في التصوف مثل "الإبداء والإعادة في مسلك طريق السعادة.[2]

كان عمر بن قدور من أقطاب الدعوة إلى جمع شتات المسلمين لذلك فتتسم مقالاته دائما بالنزعة الإسلامية الجماعية حتى عند حديثه عن أحوال الجزائر الخاصة ولا شك أنه كان يستلهم فكرته هذه من قراءاته الواسعة لتاريخنا العربي الإسلامي ولذلك دعا إلى تكوين جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا[3]، كما نجده متفاعلا مع أحداث العالم الإسلامي في أكثر من موطن فقد كتب عن أخطار الصهيونية وفاجعة الهجمة الإيطالية على طرابلس سنة 1911 و فرض الحماية الفرنسية على مراكش سنة 1912.[4]

خ) **عمر راسم**[5] :كان متأثرا بأفكار الأستاذ الإمام محمد عبده في مجال الإصلاح الديني والتربوي، ثائرا على مظاهر الخمول والكسل والانحلال الخلقي معارضا بكل قوة مسألة

---

(1) – صالح خرفي ، رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1985، ص92.

(2) – ديدي سعيد، مواقف نضالية لعلماء الطريقة التيجانية، ص27.

(3) – صالح خرفي، رحاب المغرب، المرجع السابق، ص70.

(4) –أنظر مواقف عمر بن قدور المغاربية والعربية والإسلامية، صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984، ومقال محمد ناصر، "عمر بن قدور رائد التضامن الإسلامي"، الأصالة عدد 58-59(1978).

(5) –هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد التيجاني، ولد سنة 1300هـ/1883م بمدينة الجزائر وتعلم بكتاتيبها ثم اعتمد على نفسه فتعلم العربية والفرنسية عرف منذ صباه بأفكاره الوطنية والإصلاحية، اعتمد على الصحافة في إيصال أفكاره المنشورة حيث أنشأ مجلة الجزائر الجزائر سنة 1908م وجريدة ذو الفقار سنة 1913م، تعرض للسجن أثناء الحرب العالمية الأولى بسبب مواقفه الوطنية توفي رحمه الله سنة 1959، أنظر محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، مجلة الثقافة عدد30-31 (1974).

التجنيد الإجباري بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة، كما كان من أبرز المنتبهين إلى أخطار اليهود ومطامعهم في فلسطين منذ وقت مبكر.[1]

5-الفكر الإصلاحي بالجزائر وعلاقته بالفكر السلفي

إن توجهات وأدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي حملت راية الإصلاح قد اختارت وأكدت أنها سلفية التوجه وهذا ما جاء في كتابات زعمائها بداية من الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الإبراهيمي والشيخ الطيب العقبي وغيرهم.

- **الشيخ عبد الحميد بن باديس:** صرح الشيخ عبد الحميد بن باديس في مواضع كثيرة من خطبه ومقالاته ورسائله على توجهه وتوجه جمعيته السلفي فهو يقول في رسالته: ((...القرآن هو كتاب الإسلام، السنة القولية والفعلية تفسير وبيان القرآن، سلوك السلف الصالح...))[2]

ويقول في كلمته التي ألقاها في حفل ختم القرآن الكريم بالجامع الأخضر بقسنطينة: (فإننا والحمد لله نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم، ونوجه نفوسهم إلى القرآن كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم.[3]

وشهد له بهذا التوجه السلفي رفيق دربه الشيخ البشير الإبراهيمي في كلمته التي ألقاها في حفل ختمه تفسير القرآن الكريم، فقال: (هذا هو اليوم الذي يختم فيه إمام سلفي تفسير كتاب الله تفسيرا سلفيا ليرجع المسلمون إلى فهمه فهما سلفيا...).[4]

وقال في مقال له حول الحفل نفسه: (وأراد الله فحقق للأستاذ أمنيته من ختم تفسير، وللأمة رجاءها في تسجيل هذه المفخرة للجزائر، ولأنصار السلفية غرضهم من تثبيت أركانهم بمدارسة كتاب الله كاملا...).[1]

---

(1) -أنظر محمد ناصر،عمر راسم المصلح الثائر،مجلة الثقافة عدد 34(1976)، صص70-71.

(2)- ابن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، دار البعث، ط1، سنة 1406هـ، ص17.

(3)-ابن باديس، (80/1).

(4)- ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، من منشورات وزارة الشؤون الدينية، ص467.

وقال في موضع آخر: (أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير القرآن الكريم درسا على الطريقة السلفية... ولا معنى لذلك كله إلا أن إحياء القرآن على الطريقة السلفية إحياء للأمة التي تدين لله به)[2]

وقال مثنيا عليه بعد وفاته بهذا التوجه: (باني النهضتين العلمية والفكرية بالجزائر وواضع أسسها على صخرة الحق، وإمام الحركة السلفية، ومنشئ مجلة "الشهاب" مرآة الإصلاح وسيف المصلحين، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدي المحمدي وعلى التفكير الصحيح، ومحيي العلم بدروسه الحية ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن، الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس أول مؤسس لنوادي العلم والأدب وجمعيات التربية والتعليم، رحمه الله ورضي عنه)[3] .

الشيخ البشير الإبراهيمي*:

صرح الشيخ في مواضع كثيرة عن وتوجهه السلفي وفخره به، ومن تصريحاته الدالة على تعظميه لهذا الاتجاه قوله في رده على الشيخ عبد الحي الكتاني: (لقد كان من مقتضى كون الرجل محدثا أن يكون سلفي العقيدة وقافا عند حدود الكتاب والسنة ويرى ما سواهما من

---

(1) – ابن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المرجع السابق، ص453.

(2)– نفسه، ص 15.

(3) – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي 1997 ص552.

* البشير الابراهيمي، محمد البشير الإبراهيمي ولد في سطيف في 14 جويلية 1889م، هاجر إلى المشرق العربي سنة 1911م، أتم دراسته العالية في المدينة المنورة ثم انتقل إلى دمشق وعين بها كأستاذ الأدب العربي، عاد إلى الجزائر سنة 1921م ، حسب الاتفاق الذي تم بينه وبين ابن باديس في وجوب نشر الإسلام ،والعربية وأصبح رئيسا للجمعية بعد وفاة ابن باديس أعتقل أثناء حوادث 8 ماي 1945م ، ثم شمله العفو العام ، توفي في 20 ماي 1965م من آثاره عيون البصائر، آثار محمد البشير الإبراهيمي بأجزائه وغيرها ،الدكتور محمد العبدة ،مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ،ص 19

وسواس الشياطين، وأن يكون مستقلا في الاستدلال لما يؤخذ ولما يترك من مسائل الدين، وقد تعالت همم المحدثين عن تقليد الأئمة المجتهدين، فكيف بالمبتدعة الدجالين، وعرفوا بالوقوف عند الآثار والعمل بها، لا يعدونها إلى قول غير المعصوم إلا في الاجتهادات المحضة التي لا نص فيها، ولكن المعروف عن هذا المحدث أنه قضى عمره في نصر الطرقية وضلالات الطرقيين ومحدثاتهم بالقول وبالفعل والسكوت، وأنه خصم لدود للسلفيين وحرب عوان على السلفية، وهل يرجى ممن نشأ في أحضان الطرقية، وفتح عينيه على ما فيها من مال وجاه وشهوات ميسرة ومخايل من الملك، وأن يكون سلفيا ولو سلسل الدنيا كلها بمسلسلاته؟).[1]

ثم وضح شروط التحقق بالسلفية بقوله : (إن السلفية نشأة وارتياض ودراسة فالنشأة أن ينشأ في بيئة أو بيت كل ما فيها يجري على السنة عملا لا قولا، والدراسة أن يدرس من القرآن والحديث الأصول الاعتقادية، ومن السيرة النبوية الجوانب الأخلاقية، ثم يروض نفسه بعد ذلك على الهدي المعتصر من تلك السيرة وممن جرى على صراطها من السلف).[2]

وصرح بهذا وفي رسالة وجهها إلى الملك سعود يقول فيها: (حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ملك المملكة العربية السعودية– الرياض.. يا صاحب الجلالة: مازلنا نعتقد أن جلالتكم أعلم الناس بالحركتين الإصلاحية السلفية، والثقافية العلمية العربية بالجزائر، وأعلم الناس بآثارهما الطيبة في الأمة الجزائرية، وإنكم أكبر أنصارهما والمقدرين لثمراتهما والعاملين على تغذيتها والمرجوين لاحتضانهما..).[3]

---

[1] – محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ،جمع و تقديم أحمد طالب الابراهيمي،ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت،1997، ص544.

[2] – المصدر نفسه ، ص ص545. 546

[3] – محمد البشير الابراهيمي، المصدر سابق ، ج5، ص51.

وفي رسالة وجهها إلى الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ جاء فيها (..أذكركم أن لكم بالجانب الغربي من وطن العروبة ومنابت الإسلام الأولى ومجرى سوابق المجاهدين الأولين لإخواننا في العروبة وهي رحم قوية، وفي الإسلام وهو سبب مرعي، وفي ذلك المعنى الخاص من الإسلام وهي السلفية التي جاهدتم وجاهد أسلافكم الأبرار في سبيل تثبيتها في أرض الله، وقد لقوا من عنت الاستعمار وجبروته ما أهمهم وأهم كل مسلم حقيقي يعلم أن الإسلام رحم شابكة بين بنيه أينما كانوا، وأقل واجباته النجدة في حينها والتناصر لوقته).[1]

- **الشيخ أبو يعلى الزواوي** :صرح هو الآخر بانتمائه لهذا التوجه، فمن تصريحاته قوله في مقاله الذي نشر في جريدة "الشهاب": (...وساعني كثيرا إذ فشلت في سعي في الصلح والهدنة والاتفاق على قواعد نجري عليها نحن معشر السلفيين) ثم أمضى هذا المقال الزواوي السلفي إمام مسجد سيدي رمضان.[2]

وقال: (ثم بقي أن أقول: أنه لا ينبغي بحال ونحن سلفيون إسلاميون شرعيون مقيدون بالقوانين الإلهية والدولية أن تكون أعمالنا من قبيل الرجم بالغيب أو التشفي والانتقام ممن عسى أن يكونوا برآء)، وقال في رسالته إلى الكاتب المغربي السلاوي الفاسي: (لأننا سلفيون دعاة الإصلاح العام في الدين وما ألصق به وفي الجنس وما هو فيه... ونخص–نحن السلفيون– بشيء أدق مما يكون، وما هو هذا الشيء؟ وهو التدقيق والتحقيق في الأقوال والأفعال، والحذر من الخطأ والخلط في القول والعمل).[3]

---

[1] – محمد البشير الابراهيمي، المصدر سابق ، ص221.

[2] – أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، قسنطينة، 1984،ط1،ج1، صص135–138.

[3]– نفسه، ص 67

وقال – مشيدا بطريقة السلف في العقيدة والتوحيد – : (إن خير طريقة في العقيدة التوحيدية طريقة السف التي هي إتباع ما ثبت عن الله ورسوله من غير كثرة التأويل والدخول في الأخذ والرد من الجدل في المتشابه وإيراد الشبه والرد عليها)[1]

وقال متبرئا من غير المنهج السلفي: (أما أنا ومن على شاكلتي من إخواني الكثيرين فلا شريعة لنا ولا دين ولا ديوان إلا الكتاب والسنة وما عليه محمد وأصحابه وعقيدة السلف الصالح أي فلا اعتزال ولا أشعري وذلك أن الأشاعرة تفرقوا واختلفوا أي المتقدمون منهم والمتأخرون، ووقعوا في ارتباك من التأويل والحيرة في مسائل يطول شرحها لم تصف بعد فعلام؟ وقل أمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر[2].

وعنده ذكره لأسباب تفرق المسلمين ذكر البعد عن المنهج السلفي، فقال: (إن كثرة التفريق والاختلاف في التعاليم الدينية مزق الأمة كل ممزق، وهذا مما أدركه كل مسلم جاهلا كان أو عالما، فلزم إذن عدم التفريق وذلك إنما يكون بتوحيد التعاليم قدما وحديثا وهذا أمر صعب ولكن على غير العاملين بحديث النجاة وهو قوله : (إلا واحدة وهي ما عليه أنا وأصحابي)[3] فعلام نغفل هذا أو نتعامى ونعمل بمائة مذهب وبألف ملة وطريقة).[4]

- **الشيخ العربي التبسي:**

صرح في مواضع كثيرة من مقالاته ورسائله بتوجهه السلفي، ومن ذلك قوله في رسالته: (بدعة الطرائق في الإسلام) :(وبعون الله سأجعل كل حجة من حجج الطرائق التي اشتهرت بها، وذاعت بيننا منفردة ببحث وأقيسها بعصر السلف. فإن وجد لها أصل بينهم (أي السلف

---

(1) – أبو يعلى الزواوي، الإسلام الصحيح، مطبعة المنار، مصر، سنة 1345هـ، ص14.

(2) – المرجع نفسه، ص94.

(3) – الترمذي، السنن، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي–بيروت، 1998م، 323/4.

(4) – أبو يعلى الزواوي، المرجع السابق، ص117.

الصالح) قلبناها وعملنا بها، وعززناها وما لم نجد له أصلا في أيامهم، وعرف بينهم اعتقدنا أنه بدعة محدثة).[1]

وقال: (نحن نعرض عملهم هذا ونقيسه بالهدى النبوي وعمل السلف، فذلك الدين، وما لم يعرف في تلك الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين، فإنكاره قربة، والاعتراف به بدعة)[2]

وقال في موضع آخر: (إن هذا الإرشاد الذي يجب القيام به تبليغا للدين نيابة عنه ز، يجب أن يكون مستمدا من أصول التشريع الإسلامي، التي هي الكتاب الحكيم، والسيرة النبوية، والسنة المطهرة، وهدي السلف الصالح، وفهم أئمة الإسلام، الذين يحكمون أصول الدين في أقوالهم وآرائهم ويقولون كلهم راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر، إشارة لقبره محكومة خاضعة لأدلة الدين.

فعلى هذه الأصول التي هي مصدر التشريع الإسلامي ينبغي الإرشاد الديني)[3]

- **الشيخ مبارك الميلي:**

كان الشيخ قد أعلن توجهه السلفي وانتصر له في مواضع كثيرة، ومن ذلك قوله في مقال له بعنوان (المصلحون والمرجفون): (من أين فهمتم إنكارنا الولاية الثابتة بالكتاب الذي دعوناكم ولا نزال ندعوكم إلى طرح ما يخالفه؟ وفي أي جملة رأيتم عدم الاعتراف بالكرامة وهي عقيدة السلف ونحن السلفيون نرجو أن نلقى الله كذلك)[4] وقال في (رسالة الشرك ومظاهره): (فنحن بالعقيدة السلفية قائلون ولما عليه الأشعري موافقون)[5]

---

[1]– العربي التبسي، بدعة الطرائق في الإسلام، د. ط، د. ت، ص9.

[2] – المرجع نفسه، ص10 .

[3] – أحمد عيساوي ((آثار الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي)) ، منارات من شهاب البصائر، ص 109.

[4] – جريدة المنتقد، العدد 14، ص 4 .

[5] – مبارك الميلي ،الشرك ومظاهره،ط3،دار البعث،قسنطينة،1982، ص26.

- **الشيخ الطيب العقبي*:**

قال عنه الشيخ أحمد حماني: (كان الشيخ العقبي في دروسه وخطبه ومقالاته ينهج نهج السلفيين في إحياء السنة وإماتة البدعة ويؤكد أن دعوتنا الإصلاحية قبل كل شيء وبعده هي دعوة دينية محضة ...وهي تتلخص في كلمتين: أن لا نعبد إلا الله وحده، وأن عبادتنا له إلا بما شرعه وجاء و جاء من عنده).[1]

* الطيب العقبي: الطيب ابن محمد بن إبراهيم العقبي، ولد في بلدة سيدي عقبه في شوال 1308هـ (1890م) هاجرت عائلته الى المدينة المنورة وهو ابن خمس أو ست سنوات وهناك تلقى تعليمه في الحرم النبوي الشريف حتى أصبح معلما فيه ، نفاه الأتراك لاتهامه بتأييد القومية العربية ، عينه الشريف حسين بعد عودته من المنفى رئيسا لتحرير جريدة القبلة ، عاد الى الجزائر عام 1920م، ليعمل في مجال الاصلاح بالخطابة أو الكتابة .الدكتور محمد العبدة ، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ، ص 27 .

[1] – الطيب العقبي: نهضة الجزائر اليوم ودعوتها الإصلاحية، السنة النبوية، العدد2 ، 17 أفريل 1933م، (الموافق ل 1351هـ). ص 13.

الفصل الثالث

أهم الطرق الصوفية المعاصرة لجمعية العلماء وأعلامها

- أهم رواد الإصلاح: طرقيون ومصلحون
- انعكاساتها الى المجتمع
- انعكاساتها على الحركة الوطنية
- موقف الإصلاحيين من الصوفية

أهم الطرق الصوفية المعاصرة لجمعية العلماء وأعلامها

تعتبر الطرق الصوفية من أهم مكونات المجتمع الجزائري لفترة طويلة من الزمن فالمؤرخون يتفقون على أنها بدأت في الانتشار في الجزائر، وكسب نفوذ اجتماعي لها فيها بل أحيانا تعدى إلى النفوذ السياسي ابتداء من القرن السادس العشر، ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر[1]، وهي بذلك تشكل جزءا مهما من تاريخ الجزائر الديني والثقافي والاجتماعي، بل والسياسي، ولهذا نجد المستعمر الفرنسي قد أولاها أهمية كبرى فأرشيفه يحتوي على تفاصيل كثيرة عن أعدادها وزواياها ومشايخها، بل حتى توجهاتها الروحية والفكرية.

لقد تعددت الطرق الصوفية في الجزائر مع دخول التصوف وتفاوتت هذه الطرق من حيث الأهمية والظهور، إذ هنالك طريقة قديمة الظهور وأخرى حديثة. كذلك نجد طرق أصيلة ظهرت في الجزائر وتفرعت فيها في خارجها أيضا هنالك العكس وهي تلك التي هي في الحقيقة فروع لأصل موجود خارج الجزائر، خاصة في المغرب الأقصى أو المشرق. كما نجد الطرق الكبيرة ذات الآلاف من الأتباع الذي يتوزعون على كامل البلاد وأخرى صغيرة محدودة الأتباع والمكان.[2]

الطريقة القادرية: تعتبر الطريقة القادرية من أقدم الطرق الصوفية على الإطلاق تأسيسا، وأقدمها ظهورا على مستوى العالم الإسلامي وبذلك تكون أيضا من أقدم الطرق ظهورا ووجودا في الجزائر على اعتبارها وجدت أرضا خصبة ساعدت على سرعة تغلغلها وانتشارها، تنسب إلى أبو صالح سيدي عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن يحي الزاهي بن

---

[1] – فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني دار الفن القرافيكي، باتنة، ط1، ص34 .

(2) علي مراد،الجركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر 1925-1940،ترجمة محمد حياتين،دار الحكمة،الجزائر،2007، ص83.

محمد بن داود بن موسى بن عبد الله المحطي بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت الرسول ص فهو الشريف حسني من جهة الأم[1] لكن هنالك من يقول أنه أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي الحسني[2]، عرف باسم الجيلاني، أو الكيلاني أو الجيلي وكلها نسبة إلى مكان ميلاده وهو الجيلان وهي مدينة يقال أنها تابعة لإقليم طبرستان بعراق العجم[3]، ورأي آخر يرى أنها في بلاد فارس[4].

وبهذا استطاع أن يجمع الشيخ عبد القادر الجيلاني بجميع العلوم خاصة والشرعية منها التي تساعده في وضع تعاليم طريقته التي سميت على اسمه فيما بعد، كما أخذ علم الطرقة وتعاليمها عن وضع تعاليم طريقته التي سميت على اسمه فيما بعد، كما أخذ أيضا علم الطرقة وتعاليمها عن شيخه حماد الدباس كما سلك على يده الفتح الرباني والفيض الرحماني.

يعتبر الشيخ عبد القادر الجيلاني عند المتصوفين سلطان الأولياء وقطب الأقطاب عضد الإسلام كما كان يلقبونه بمولى بغداد[5] وبهذا يعد أعظم الأولياء شهرة في الإسلام، إذ أجمع على عدالته وصلاحه حتى الذين عرف عنهم تحاملهم على الصوفية كابن قدامه الحنبلي المتوفى عام 620هـ فإنه يقول: لم اسمع عن أحد يحكي عنه من الكرامات أكثر مما يحكى عنه (المقصود هو عبد القادر الجيلاني) ولا رأيت أحد يعظمه الناس للدين أكثر منه"[6].

---

(1) -محمد بن بريكة، موسوعة الطرق الصوفية ج3، دار الحكمة الجزائر 2007، ص -ص10-11.

(2) خير الدين الزركلي، الأعلام-قاموس تراجم- ج4-ط2 (د.ت) (د. م)، ص17 .

(3) محمد بن بريكة، المرجع السابق، ص11.

(4) صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية-الطريقة القادرية-، المرجع السابق، ص28.

(5) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص42.

(6) – محمد بن بريكة، المرجع السابق، ص14.

وأعظم ما عرف عنه من الكرامات على الإطلاق هو استقامته على دين الله حسا ومعنى، ظاهرا وباطنا بحيث يصفو العبد مع الحق بلا كدر فينزل مقام العبودية المحض وكان هذا الشعار أساس طريقته[1].ولقد ترك الشيخ عبد القادر الجيلاني ثروة من الكتب والرسائل نذكر منها: الفتح الرباني، الغنيمة لطالب الحق، فتوح الغيب الفياضات الربانية[2].

- **تعاليم الطريقة القادرية:** من المعروف أن لكل طريقة صوفية تعليمها وإذا عارض الخاصة بها وضد أيضا ما نجد في الطريقة القادرية.

فالتصوف عند الجيلاني ليس أقوالا تقال ولكنه طريقة-في الجوع وقطع المألوفات- و المستحسنات والخصال التي ينبغي أن يأخذها الصوفي لنفسه هي ذاتها خصال الأنبياء عليهم السلام لذلك نجد أن التصوف الذي يؤثر الجيلاني هو ذلك التصوف الذي يمتاز بالصفاء من أدرات النفس والهوى وهو الصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخالق[3]

وقد جاء في الكتب الفرنسية أن زعماء القادرية كانوا يدعون إلى العلم والأخلاق وإلى الصبر والإتقان، أما الواجبات عند الطريقة القادرية فهي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شر الدنيا وأن تحب الناس وتخاف الله، كأن أولئك الزعماء قد أكد على أن تعاليم القادرية حتى امتداد الأفكار أخلاقية وفلسفية مشتركيه بينما وبين الطرق الصوفية الأخرى، حتى لكل التي استقلت عنها بقيت على صلة بها، ولذلك تمنع القادرية أتباعها من أن يجمع بينها وبين طريقة أخرى[4].

---

[1] – محمد بن بريكة، المرجع السابق، ص15.

[2] – مؤيد صلاح العقبي، المرجع السابق، ص143

[3] – عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية (أعلام التصوف، المفكرين والطرق الصوفية)، دار الرشاد العربية للطباعة والنشر، مصر،1992، ص 114

[4] – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص 43-44

أما عن دخول الطريقة إلى الجزائر فقد كان على يد الشيخ أبو مدين شعيب بن حسين[1] حيث التقى هذا الأخير بالشيخ عبد القادر الجيلاني في عرفات وتتلمذ ودرس على يده في مكة ثم عاد إلى الجزائر واستقر في بجاية أين تصدى للتعليم والتدريس والتربية والوعظ والإرشاد، وبث طريقته الصوفية القادرية، فأقبل عليه طلبة العلم من كل الأصقاع، لأن بجاية في هذه الفترة كانت عامرة و مزدهرة بالعلوم والمعارف والثقافة وكثر ورود الطلاب عليها من الآفاق البعيدة خاصة الأندلس وفاس ومراكش وتلمسان، وقد تتلمذ على يد الشيخ أبو مدين شعيب: محمد بن حماد الصنهاجي القلعي، عبد الحق الاشبيلي، الشيخ أبو علي المسيلي الملقب بابي حامد الصغير وعبد السلام بن مشيش، أما عن تعاليم الطريقة القادرية فقد ورثها إلى عدد من تلاميذه من أبرزهم: محي الدين بن عربي دفين دمشق، عبد السلام بن مشيش الذي يعد شيخ شيوخ الطريقة الشاذلية القادرية ومنه انتقلت إلى أبي الحسن الشاذلي[2].

كما كان قدوم إبراهيم بن عبد القادر الجيلاني من المشرق إلى المغرب الأقصى من العوامل التي ساعدت على نشر الطريقة القادرية في شرق البلاد وغربها بداية كانت في الأوراس مكان استقراره حيث أسس الزاوية القادرية في بلدية المنعة قد وصل حينها عدد الزوايا التي تخلد اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني إلى قرابة 200 زاوية[3].

أما في الغرب الجزائري بالضبط بالقرب من مدينة معسكر توجد زاوية القيطنة التي أسسها الشيخ مصطفى بن مختار الغريسي جد الأمير عبد القادر حوالي 1200هـ/1785م[4] حيث

---

(1) – ولد بإشبيلية سنة 500هـ، عاش 94 سنة بعضها بالأندلس بعضها في فاس وتلمسان وبجاية، توفي سنة 594هـ بتلمسان ودفن بها، صلاح مؤيد العقبي، مرجع سابق، ص143.

(2)– يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب ج1، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر 2004، ص440-441

(3) –صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص146

(4) –يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص442

درس وتفقه في غريس بضواحي مدينة معسكر وأخذ الطريقة القادرية على الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي ثم رجع زار حج وزار بغداد[1] جدد أخذ الطريقة ولبس الخرقة هناك على مقدم الشيخ عبد القادر الجيلاني تبرع من ماله الخاص لتوسيع ضريح الشيخ عبد القادر. وعندما عاد إلى الجزائر أسس قرية القيطنة وزاويته معهد بوادي الحمام عام 1206هـ /1791-1792م[2] وتصدى للتعليم التدريس وإعطاء ورد الطريقة، ووظف في زاويته علماء أجلاء أمثال شيخه عبد القادر المشرفي، أما عن أبرز تلامذته ومريدي طريقته فقد كان باي وهران المصلح والمجاهد محمد بن عثمان الكبير الذي لم يكن يرد له طلبا وكان أيضا يجمع بين الشريعة والحقيقة ويبحر في العلوم العربة الفقهية وعلم التصوف الحكمة وخلال عودة الشيخ مصطفى الغريسي من حجته الرابعة وافته المنية في برقة ودفن بعين غزالة قرب درنة كان ذلك سنة 1212هـ/1797-1798م[3] وما زال قبره معروفا إلى اليوم.

وقد تولى أمر الزاوية من بعد الشيخ الغريسي ولده محي الدين الذي كان من شيوخ العلم المشهود لهم الذي تولى أيضا ولده عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية ضد الفرنسيين وأصبح الشيخ محي الدين يلقن أوراد الطريقة القادرية للمريدين نشر العلم من الزاوية التي كانت عبارة عن معهد، بالإضافة إلى تلقين الرد ونشر العلم كانت الزاوية محط الزائرين والغرباء والفقراء وقد قيل أن الناس يتهافتون في النفقة عليها. بعد وفاة الشيخ محي الدين سنة 1250هـ تولى ولده محمد السعيد أمر الزاوية[4].

---

(1) -ومن الملاحظ أن بعض الحجاج الجزائريين من العلماء والصالحين كانوا يتوجهون بعد أداء فريضة الحج إلى بغداد لزيارة ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وتقديم الهدايا الثمينة إلى حراس الضريح وكانت تلك الزيارة عندهم جزءا مكملا للحج والرحلة من ذلك لا يصح أن يعودوا إلى بلادهم دون الموقف على ضريح مولى بغداد والتبرك به. صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص.167

(2)- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص442

(3) – نسيب محمد،زوايا العلم و القرآن بالجزائر،دار الفكر،الجزائر،دت، ص35.

(4)- أبو القاسم سعد الله، التاريخ الثقافي، المرجع السابق، ج4، ص514 .

من أهم شيوخ وأعلام الطريقة القادرية بالجزائر:

1- الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم:

يعتبر الشيخ محمد الهاشمي الشريف بن إبراهيم بن أحمد الذي ولد سنة 1853م في نفطة بتونس[1] من أكثر مشايخ الطريقة القادرية نشاطا، وقد تلقى تعليمه الديني على يد والده الذي كان شيخ الطريقة قادرية، واستمر في نضاله إلى أن توفي عام 1923م وهو دفين البياضة بالوادي.

وقد واجه في بداية تأسيسه للطريقة منافسة شديدة مع الزاوية التيجانية المجاورة له في البياضة، وكانت السلطات الفرنسية تزكي هذا التنافس، بل تثير النعرات والفتن بين الطريقتين-كما ذكرنا سابقا- ضمن سياسة (فرق تسد).

[1]- معظم زوايا الشرق الجزائري والجنوب ذات صلة بزاوية نفطة وكاف القادريتين، ومؤسس زاوية نفطة هو أبو بكر بن أحمد بن الشريف، وهو تلميذ الشيخ المنزلي(نسبة إلى منزل بوزلفة بتونس) وقد تطورت الزاوية بفضل جهود الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف النفطي حتى قال بعضهم أن تأثيره سنة 1897م وصل إلى غدامس وغات والجزائر وعين صالح وتوات وتيديكلت وله أتباع في بلاد الطوارق وعلى رأسهم الشيخ عابدين، وكان هذا الأخير هو مقدم الشيخ محمد بن إبراهيم وقد ترك إبراهيم أولادا تقاسموا بركة والدهم على النحو الآتي: الأكبر منهم وهو محمد تولي الزاوية الأم بنفطة وأسس الهاشمي زاوية في عميش بوادي سوف وأصبح نائبا لأخيه، ونشط الهاشمي تجنيد الأتباع ونشر الطريقة إلى أقصى الجنوب وربط علاقات مع السودان وغات. انظر: موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأته وتطورها (1900-1930)، رسالة ماجستير،2005، ص100.

2-الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي: وقد خلف والده في مشيخة الطريقة القادرية بعد وفاة أخيه، بعد توفر فيه الشرط الذي شرطه والده، فقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس، وكان أول الناجحين ضمن أقرانه وإخوانه إذ تحصل على شهادة التطويع في حياة والده بامتياز، وبذلك أصبح المؤهل الوحيد لمشيخة الزاوية باعتباره المتخرج الأول من جامع الزيتونة.

وقد سارت حياة الشيخ بصورة عادية لمدة 12 سنة، ولكنه بعد أن قام بأداء فريضة الحج سنة 1936، عاد إلى الجزائر أخذ يقترب من أفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي طفحت على سطح الأحداث الجزائرية خاصة بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي الجزائري العام شهر جوان 1936، وذهاب الوفد الإسلامي بمطالب الأمة الجزائرية إلى باريس لعرضها على الحكومة الفرنسية، وما تلا ذلك من أحداث[1]

الطريقة الشاذلية:

تعد الطريقة الشاذلية من الطرق الصوفية التي تميزت عن غيرها من الطرق بتعدد فروعها بمنطقة المغرب العربي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة.

تعد الطريقة الشاذلية إحدى الطرق الصوفية المعروفة وتنشر بشكل أساسي في مصر وتونس والجزائر فهي ترجع إلى المشيشية[2] التي ترجع بدورها إلى المدينية، التي هي فرع من القادرية الجنيدية، إذ يعتبر شعيب بن حسين الأندلسي، المعروف باب مدين هو مؤسس مدرسة التصوف نقلا عن عبد القادر الجيلاني أبي القاسم جنيد.

---

[1] – موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية، مرجع سابق، ص106.

[2] – وهي طريقة تنتسب إلى عبد السلام المشيشي المتوفي سنة 628هـ أحد تلامذة أبي مدين شعيب بن حسين التي ظهرت في المغرب الأقصى أيام الدولة الموحدية. أنظر: صلاح المؤيد العقبي، مرجع سابق، ص 143 .

وهي تنتسب إلى الشيخ أبو حسن علي بن عبد الله بن الجبار الشاذلي المولود سنة 593هـ في بلدة غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الأقصى، والشاذلي هو اسم الشهرة نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس التي هاجر إليها بعد أن غادر غزر وزم (قرية من إقليم جبال بالمغرب الأقصى). وكان الشاذلي يأخذ زينته عن كل مسجد، يتحلى دائما بالثياب الحسنة، ويعرض عن لبس زي الصوفية. كما كان يرب الخيل ويقول: "لا تسرف بتر الدنيا فتغشاك ظلمتها، أو تنحل أعضاؤك لها فترجع إلى معانقتها بعد الخروج منها"[1]

من خلال ما ذكر يتضح أن الشاذلي لم يكن من المتصوفين الزهاد المتقشفين بل كان من المحبين لتجديد الأناقة ويعط نفسه حقها في الترفيه، بدليل حبه لركوب الخيل الاحتفال في المواسم[2].

تتصف الطريقة الشاذلية بمجموعة من الأفكار والمعتقدات، وتتسم بنهج معين يجعلها تختلف في أسلوبها عن غيرها من الطرق الصوفية، فهي تقوم على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر في وحدانية الله وعلى اليمان في الأرض بحثا عن التطهر والتسامي، على إهمال الذات وقمعها في سبيل الله، وعلى القيام بالصلوات الواجبات الشرعية في كل الظروف وفي كل مكان لكي يعيش المريد في وحدة دائمة مع الله." كما أنها لا تؤمن بالخلوة وبالممارسات والطفرات، بل تهتم بالعلم الروحاني الذي يقود المريدين إلى العيش الدائم في ذات الله. وأن مذهبهم هو المساواة، كما يرفضون قبول الوظائف الإدارية"[3]، ومن بين كراماتهم المزعومة أن الذين يتبعون هذه الطريقة لا يدخلون النار[4].إن الانتساب للطريقة الشاذلية لا يتم إلا بالأخذ بمجموعة الشروط الأساسية، والتقيد بها يكون على أصل تتمثل في تعاليم هي :

---

(1) – عبد المنعم حنفي،الموسوعة الصوفية(أعلام التصوف و المفكرين)،دار الرشاد العربية للطباعة و النشر،مصر،1992،ص.73.

(2) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج4، ص66

(3) – نفسه، ص68

(4) – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص153

تقوى الله في السر والعلانية، أتباع السنة في الأقوال والأفعال، الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار، الرضا عن الله في القليل والكثير، الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء الأخذ بمجموعة أقسام هي: أخذ المصافحة التلقين والذكر، ولبس الخرقة الخاصة بهم، أخذ رواية أي قراء كتبهم من غير حل لمعاينتها، أخذ دراية، أي حل كتبهم لأدراك معانيها من غير عمل بها، أخذ تدريب وتهذيب وترقى فيه الخدمة بالمجاهدة والمشاهدة الفناء[1].

ظهورها في الجزائر: تعود الجذور الأولى لظهور الطريقة الشاذلية في الجزائر إلى عهد الموحدين، عن طريق أبو مدين الذي نزل بفاس ودرس بها، ثم اتجه إلى تلمسان التي لم يلقى تجاوبا من طرف أهلها في بادئ الأمر، ثم لقي فيها متسعا وتبجيلا بعد أن رأى فيه أهلها الصلاح، كما كانت له جهة في بجاية بعد عودته من الأندلس، هته الأخيرة التي لقي فيها ترحيبا وشهرة واسعة[2].

ومنذ أيام الموحدين عرفت الطرق الصوفية بصفة عامة والشاذلية بصفة خاصة انتشارا واسعا، فكانت الشاذلية في الجزائر تظهر في ربوع البلاد وتتفرع بداية من سنة 658هـ/1258م[3]، فتفرعت منها كل من:

الجازولية،الزروقية،اليوسفية،العيساوية،البكائية،الاحمدية(الكرزازية) الشيخية، الناصرية، الطيبية، الزيانية، الحنصالية، الحبيبية والمدنية بالإضافة إلى العروسية والبكرية. ويعود كل فرع إلى مؤسس تنسب إليه[4].

---

(1) – Coppolani (X), Depont(o) , op.cit.p447 .

(2) – الحسن أبو الحسن الجوهري:تعدد أسماء الطرق الصوفية،مجلة التصوف الاسلامي،العدد الأول،جانفي 1996،القاهرة،ص25 و أنظر أيضا Marcel Simian ,Les Confreries islamiques en Algerie, Alger,1910,p41

(3) – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 216.

(4)– Coppolani (X), Depont(o) , op.cit.,p445-446.

وعلى الرغم من الانتشار الذي عرفته الطريقة الشاذلية في الجزائر لم تبرز بشكل كبير إلا في فترة الاستعمار الفرنسي الذي برزت فيه بشكل قوي وكبير من خلال المعارضة والتوجه السياسي ضد السلطة الفرنسية.

الطريقة الرحمانية:

تنسب الطريقة الرحمانية إلى العالم الجزائري الشيخ محمد بن عبد الرحمان القشطولي الجرجري وهنالك من يدعونه بمحمد بن عبد الرحمان القشطولي الإدريسي الحسن الأزهري وولد في قرية بعلاوة من قبيلة آيت إسماعيل بجبال جرجرة بالجزائر 1127هـ[1].

تلقى تعليمه في زاوية الشيخ الصديق وأعراب في بلدة آيت براثن ثم ارتحل إلى مدينة الجزائر العاصمة سنة 1146هـ خرج قاصدا بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج في رحلة طويلة جدا استغرقت 37 سنة متصلة ابتدئها بتوقف في العاصمة المصرية القاهرة مدة غير قصيرة[2]، قد تتلمذ خلال تلك الفترة على يد مجموعة من كبار أعلام مصر من الفقهاء والمحدثين نذكر منهم علي بن احمد الصعيدي وسالم النفراوي وعمر الطحلاوي وحسن الجداوي العمروسي وأحمد الدريروي ومحمد بن سالم الحفناوي وعن هذا الأخير تلقى الشيخ محمد بن عبد الرحمان الطريقة الخلوتية أصبح فيما بعد من المبشرين بها الناشرين لها في الهند السودان بأمر من شيخه محمد بن سالم الخفناوي[3]، ثم رجع بعد هذا الجهاد الطويل المكلل

---

(1)– Octave Depont ,Xavier Coppolani,référence antécédent,p382-383.

أنظر أيضا: بن بريكة محمد البوزيدي ،التصوف الاسلامي ،دار المقرن للنشر و الطباعة و التوزيع، الجزائر ،2006، ص167.

(2) – يحي بوعزيز، أعلام الفكر و الثقافة في الجزائر المحروسة، ج1،دار الغرب الإسلامي، بيروت 1995، ص 203.

(3) – صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص156.

بالخلاص والتوفيق في الدعوة إلى الله تعالى إلى بلده الجزائر حيث نشر الطريقة الخلوتية التي سميت منذ أول أيامها في الجزائر باسم الطريقة الرحمانية[1].

في الجزائر كان له أثناء إقامته بالمشرق تلاميذ يتراسلون معه، ويعلمهم مبادئ الطريقة الخلوتية ومن تلاميذه الذين منحهم الإجازة أثناء إقامته في الجزائر بالقاسم بن محمد المعاتقي الذي رفعه إلى رتبة مقدم الطريقة والشيخ العابد بن الأعلى الشرسالي وقد أخذ أيضا عن الشيخ أحمد التيجاني، مؤسس الطريقة التيجانية[2].

عرفت الطريقة بالرحمانية الجامعة لجمعها مختلف تعاليم الطرق المعروفة من أسانيد وآداب وأوراد معبرة بذلك عن روح وأوراد الطرق كلها[3].

إن مناهج الطريقة الرحمانية هو التطبيق العلمي للشرع قولا وعملا وأخلاقا ذلك بإصلاح ظاهر السالك وباطنه ذلك بصحبة الشيخ الوارث المربي الذي لا يكتفي بتعليم مؤيده وموردينه بصورة نظرية بحتة وإنما يؤخذ بيده لتطبيق أحكام الشرع عمليا ثني عليه إذا أحسن ينبهه إذا زل يتفقده إذا غاب ويذكره إذا نسي يزكي قلبه إذا نسى، يحنو عليه يحبه محبة الوالد لولده قاصدا بذلك وجه الله تعالى بذلك يكتسب المؤيد الصفات الحميدة معرفة الله ويداوي عيب أفات نفسه[4].

وقد حملت الخلوتية في طياتها الكثير على التصوف فقد تحدثت عنه أهل الدائرة وأهل التصويف، ومراتب الغوث والقطب وحول ذلك مما يتعلق بأصول التصوف التي أصبحت بدورها أصولا للطريقة الرحمانية ويذهب بعض المؤرخين إلى أن طريق الذكر عند الرحمانيين

---

(1)–Coppolani (X), Depont(o) , op.cit.,384.

(2) – أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص507 .

(3)– G.p.j Andre: Contribution a" Létude veligieuses Musulmanes La maison des Livres ,Algre,p246.

(4) – نفسه، ص507.

قد تأثرت بالثقافة الهندية وهو أمر جعلهم يرون أن محمد بن عبد الرحمان قد استجاب فعلا لدعوة شيخه في الذهاب إلى الهند لأن أمر الشيخ يجب يطاع[1].

للطريقة الخلوتية الرحمانية الجامعة أركان سبعة هي: الحب، الامتثال، الذكر، الفكر الصمت، العزلة(الخلوة)، والصوم وأصول هذه الأركان في كتاب الله وسنة رسوله ص وسيرة آله وأصحابه والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين[2].

وقد كان للطريقة الرحمانية دورا هاما في نشر التعليم والدروس الصوفية بين الناس كما عملت على نشر الثقافة الإسلامية والحفاظ على مبادئ القرآن الكريم وبذلك الحفاظ على مقومات الشخصية العربية الإسلامية طلية عقود من الزمن كما ساهمت في إنشاء زوايا تابعة لها تقوم على إطعام المساكين وعابري السبيل كما لعبت دورا كبيرا في الفصل في بعض القضايا الاجتماعية، فض النزاع بين الأطراف المتنازعة وغيرها.

أهم المناطق التي انتشرت فيها الطريقة الرحمانية انتشارا كبيرا هي وسط وشرق وجنب الجزائر ويعد الفضل في ذلك إلى زاوية الشيخ مصطفى بن عزوز البرجي الرحمانية، وأكثر أتباع الرحمانية من الطبقات الشعبية الفقيرة من العمال وفلاحين تجار صغار وهي الفئات التي تستحمل دائما العبء الأكبر من التضحية في الأوقات الصعبة وهذا من أهم العوامل التي جعلت الطريقة الرحمانية تنتشر بسرعة في الوسط الجزائري وتحتل المكان البارز فيه[3].

وقد انتشرت الزوايا الرحمانية بانتشار الطريقة وعمت مختلف الولايات الجزائرية ومن أبرز الزوايا الرحمانية المعروفة الزاوية الأم التي ظلت تقوم برسالتها على أكمل وجه بفضل

---

(1) – عدنان حقي: الصوفية و التصوف ،ط2 ،ب د، دمشق،1992،ص82.

(2) – عبد المنعم القاسمي، لطريقة الخلوتية الرحمانية الأصول والآثار منذ ظهورها إلى غاية الحرب العالمية الأولى، رسالة دكتوراه ن جامعة الجزائر، 2008، ص239.

(3) – صلاح المؤيد العقبي، المرجع السابق، ص158.

شيوخها الذين نذكر منهم أحمد بن الطيب الرحموني وزاوية المجاهد الشيخ الحداد ببلدة صدوق والزاوية العثمانية بطولقة التي ظلت مركز إشعاع ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا وزاوية الشيخ عبد الحفيظ الحنقي الثائر في خنقة سيدي ناجي بنواحي بسكرة[1].

الطريقة العلاوية : وهي من أشهر الطرق الصوفية الجزائرية المعاصرة، ومن أكثرها علاقة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تنسب إلى الشيخ أبو العباس أحمد بن مصطفى بن عليوة المعروف بالعلاوي المستغانمي مولدا ونشأة، ولد بمستغانم عام 1869، وتوفي بها سنة 1934، تعلم مبادئ الكتابة والقرآن الكريم على يد والده الحاج مصطفى الذي كان معلما للقرآن الكريم ، بويع بعده بالخلافة على رأس الطريقة الدرقاوية بمستغانم ونواحيها، حوالي عام 1909، وخلال بداية العقد الثاني من القرن العشرين، أسس الطريقة العلاوية معلنا بذلك عن ميلاد طريقة روحية جديدة في أساليبها[2].

اشترى ابن عليوة مطبعة للزاوية، وأسس صحفا كانت تنشر نشاطه كما كانت تدافع عن الزاوية ضد مخالفيها ومن أشهر صحفه أسبوعية (لسان الدين) و(البلاغ الجزائري)، حيث كان لهما آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية، وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره وضد التجنيس ودافعت بشدة عن اللغة العربية.

وقد عمل الشيخ على إبراز الزاوية في شكل يتلاءم مع مستجدات العصر الحديث مع الحفاظ على دورها الروحي التربوي الروحي، فسارع إلى بناء زاوية جديدة تجمع جملة من المرافق من أجل تبليغ رسالته التربوية والاجتماعية كأقسام الدراسة والمطبعة والمخبزة، واستقطب إليها نخبة من العلماء في التفسير والحديث وأحكام الفقه واللغة العربية. ومن أهم مشائخها [3]:

---

(1) – صلاح المؤيد العقبي، المرجع السابق ،ص.160.

(2) L.Rinn: Op. cit ,p 382,et Coppolani (x) depont. Op. cit ,p213

(3)- عدة بن تونس: مؤلفاته ومآثره، شهادات كلية مستغانم، الجزائرص11.

1 – الحاج عدة بن تونس: هو الشيخ عدة بن تونس ابن (بن عودة) ولد بحي تجديت بمدينة مستغانم (الجزائر) عام 1898، تعلم وسلك في شبابه بالزاوية العلاوية الكبرى، على يد الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، الذي أذن له في الرحيل إلى الرحيل إلى جامع الزيتونة، فمكث هناك نحو العامين ثم عاد إلى مستغانم فلازم شيخه ملازمة مكنته من المعرفة التامة بأحوال الشيخ العلاوي ونشاطه الديني والروحي حتى وفاته 1934 بعد أن أوصى بالخلافة ورعاية شؤون الزاوية الكبرى للشيخ عدة بن تونس، فقام بمهام الطريقة العلاوية وفق المنهج الذي رسمه أستاذه أحسن قيام، حيث عمل على نشر الطريق والدعوة إلى الله، وأنشأ عددا من الزاويا في الجزائر وخارجها، من أجل التربية والتعليم، والتوجيه والإرشاد، ورغم الظروف القاسية التي شلت كل نشاط ديني واجتماعي، أثناء الحرب العالمية وبعدها[1].

من أهم ما قام من أعمال إصداره عدة جرائد منها: جريدة لسان الدين الثانية من 1937 إلى 1939 (حيث أصدرت جريدة لسان الدين الأولى في عهد الشيخ العلاوي)، ومجلة المرشد الشهرية باللغتين (العربية والفرنسية) من 1946 إلى 1952 للدفاع عن تعاليم الإسلام، وتبليغ مبادئه لغير المسلمين إلى جانب مجلة أحباب الإسلام الناطقة بالفرنسية التي أسسها لنفس الغرض[2]، إلى جانب ذلك قام الشيخ بإنشاء مؤسسة لإعادة تأهيل الشباب المنحرفين (1940) تحتوي على أربع ورشات للتكوين: الميكانيكا، النجارة، الطباعة والمخبزة.[3]

---

(1) – يحي بعيطيش: دراسات في الخطاب الصوفي عند أقطاب الطريقة العلوية،ط1،المطبعة العلاوية،2009، ص25.

(2) – مجلة لسان الدين،عدد53،السنة الثانية،30 ماي 1938و انظر أيضا مجلة المرشد،عدد16،مارس 1948

(3) –يحي بعيطيش،مرجع سابق،ص27.

من مؤلفات الشيخ: الروضة السنية في المآثر العلاوية، وتنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، وهي مجموع مقالاته الصحفية صدرت تحت هذا العنوان، والدرة البهية في أوراد البهية في أوراد وسند الطريقة العلاوية، ووقاية الذاكرين من غواية الغافلين، ومجالس التذكير في تهذيب الروح وتربية الضمير، وفك العقال عن تصرف الأفعال.

وقد أسهم في نشر معظم التراث المخطوط الذي خلفه الشيخ العلاوي، وأشرف بنفسه على تحقيقه وطبعه. ومن الجمعيات التي أسسها الشيخ: (جمعية الشبيبة العلاوية) و(جمعية التنوير)، و(جمعية أحباب الإسلام) التي تنشط حتى اليوم بأوربا ، توفي سنة 1952 وهو في الرابعة والخمسين، وعهد بالخلافة لولده الشيخ بن تونس محمد المهدي[1].

1-الشيخ محمد بن خليفة المدني:

ولد الشيخ محمد المدني بن خليفة بن حسين بن الحاج عمر خلف الله بقصيبة المديوني ولاية المنستير عام 1888، درس في جامع الزيتونة، ومن مشايخه فيها الشيخ محمد بن يوسف وشيخ الإسلام المالكي بلحسن النجار والعلامة محمد طاهر بن عاشور.

عندما حل الشيخ بن عليوة بتونس ليطبع له كتاب (المنح القدسية في شيخ المرشد المعين بالطريقة الصوفية) أعجب به الشيخ (محمد بن خليفة المدنين وأصر أن يسافر مع شيخه إلى الجزائر، وهنالك تفانى في خدمته وقربه وأدناه، حتى صار من أعز الخواص وقد اقتضى نظره إلى أن يوجهه إلى نشر الطريقة في 11 ذي الحجة 1329هـ، وبقي في خدمة شيخه نحو ثلاث سنوات استكتبه فيها لتأليف رسائله، ثم أجازه في تلقين الورد العام والاسم الخاص والمفرد، وتلقين أسرار التوحيد وأذنه في نشر الطريقة بالقطر التونسي.[2]

---

[1] – انظر ترجمته المفصلة عنه في كتاب: (الشيخ سيدي عدة بن تونس عبر مؤلفاته ومآثره وشهادات حية لمجموعة من الكتاب وبعض معاصريه من الاتباع والمحبين)، نشر جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية. مستغانم الجزائر، 2009، ص 12

[2] – العجيلي التليلي، مرجع السابق، ص98.

وقد ذكر الشيخ المدني صحبته للشيخ ابن عليوة، فقال: (أما اجتماعنا بالأستاذ رضي الله عنه وأرضاه فقد كان في أول زيارة تشرفت به حاضرة تونس في سنة 1328هـ من بعث على أكمل وصف، وكنت أظن أن الأستاذ كغيره من مشائخ زماننا المدعين ولكن ما لبثت بعد استماع تذكيره ولطيف تعبيره وصولة كلامه وسطوة معانيه وأفهامه أن قلت كما قال ابن عبد السلام مع الشاذلي: (هذا الكلام قريب العهد من رب العالمين))، فعند ذلك تشرفت بالتسليم عليه والمثول بين يديه، فلقنني ورد طريقته العام بطريق المصافحة، ثم لقنني الاسم المفرد وأذنني في ذكره بكيفية خاصة بعد أن أدخلني الخلوة، ولكن ما لبثت في الذكر زمنا يسيرا حتى فتح الله على عين قلبي فحصلت على الفتح المبين ببركة الأستاذ رضي الله عنه والمنة لله، وقد بقيت في خدمته بعد الذكر نحو ثلاث سنين متفرقة منها سنة متصلة استكتبني في تلك المدة لتآليفه ورسائله، فكنت أستفيد منه في كل وقت وحين من أسرار التوحيد ودقائق تفسيره في القرآن العظيم ورقائق شرحه للحديث الشريف،[1] وما سمعت منه مدة إقامتي عنده كلمة إلا فيما يعود بالنفع ظاهرا وباطنا، ثم أجازني في تلقين الورد العام والاسم المفرد الخاص لمن فيه أهلية للمزيد وتلقي أسرار التوحيد ففتح الله على كثير من الفقراء ببركة إذنه المبارك والله يزيدنا من فضله فإن الفضل بيده يؤتيه من يشاء من عباده وهو على كل شيء قدير) وقد امتثل الشيخ للإذن ونشر الطريق في عدة بقاع، وقضى 49 سنة في التذكير إلى أن توفي بأحد[2].

[1] – عبد الباقي مفتاح، أضواء على الطريقة التجانية، المرجع السابق، ص121.

[2] – علي الدخيل: التيجانية،دراسة لأهم عقائد التيجانية، الرياض،السعودية،2002، ص.34.

الفصل الرابع
الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر
1900-1945

1. الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر 1900-1945
2. سياسة نهب الثروات واستغلالها
3. أسس السياسة الاقتصادية الاستعمارية
4. خلفيات الصراع بين رجال الطرقية ورجال الإصلاح وبعض مظاهره

1- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر 1900-1945

الأوضاع الاقتصادية:

ارتبطت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر، على امتداد فترة الاحتلال الفرنسي، بطبيعة المنظومة الاقتصادية التي وضع أسسها الاستعمار، والتي تشكلت في ظل الظروف المختلفة التي عرفتها الجزائر لأكثر من قرن، من خلال معرفة مراحل نشأة الاقتصاد الاستعماري والعوامل المختلفة التي تحكمت في تبلور معالمه التي شكلت السياق العام لحياة الجزائريين، وكيف أصبح وضعهم ضمن هيكلة وقواعد، وتفاعلات الظروف التي أنتجها النظام الكولونيالي .[1]

كان الهيكل الاقتصادي قبل 1830، خاضعا لنظام علاقات الملكية الجماعية والتي تضم أراضي البايليك والعرش والأوقاف، وكان الاستغلال فيها يقوم على الطرق البدائية البسيطة في أراضي العرش، وعلى نظام العمل القسري والخماسة في أراضي البايليك، ومع بداية الاحتلال العسكري الذي أعقب الإنزال الكبير وتوقيع معاهدة 5 جويلية 1830، شرعت الإدارة الاستعمارية الجديدة في مباشرة سياسة تحطيم الهيكل الاقتصادي والاجتماعي الجزائري، فكان من السهل عليها أن تضع يدها على أراضي البايليك بصفتها أملاكا تابعة للدولة وبإمكانها الانتقال إلى حيازة السلطة الجديدة، ذلك أن الانتصار العسكري كان يعد بدوره انتصارا اقتصاديا فعقب سقوط العاصمة صرح وزير الحربية الفرنسية بأن الاحتفاظ بمدينة الجزائر يوفر لفرنسا مكانا واسعا لتصريف السكان وسوقا لمنتجاتها الصناعية وموردا لمنتجات بديلة أرضا ومناخا.[2]

---

(1) – مغدوري حسان، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية رسالة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 2014، ص20.

(2)– Marcel Ergretaut, Réalité De la Nation Algérienne, 2em Edition, Ed, Sociales Paris, 1961,P51.

كانت أراضي البايليك من أخصب الأراضي الزراعية، وكانت تقع ضمن المناطق السهلية قرب المدن الكبرى، وسمح الحسم المبكر والسريع في السيطرة على هذه الأراضي، بتحطيم نظام الدولة الجزائرية على المستويين، السياسي والاقتصادي، وفتح بذلك المجال أمام عملية تطبيق السياسة الزراعية الجديدة القائمة على توظيف الرأسمال من خلال توزيع هذه الأراضي على المهاجرين المستقدمين من مختلف أنحاء أوربا فالجزائر كانت حسب ما أعرب عنه دوطوكفيل، مسكونة، غير أنها لم تكن مملوءة بل أنها لم تكن حتى مملوكة وبذلك دشن عهد الشرعية لاستيطان العنصر الأوربي.[1]

في 10 جوان 1831 تم وضع كل أراضي البايليك تحت طائلة الحجز[2]، في حين قدمت الإدارة الاستعمارية المساعدات المالية والمرافقة الفنية في تهيئة الهياكل الارتكازية الاقتصادية في أعمال الري وشق الطرق واستصلاح الأراضي، وقد تمكنوا في وقت مبكر من وضع أيديهم على بعض العقارات الحضرية الجزائرية وحاولوا الاستحواذ على المزيد من الأراضي.[3]

لم تتردد فرنسا في مباشرة مشروع الإسكان للمهاجرين الجدد، وفتحت أفاقا واسعة للهجرة العارمة أمام الراغبين في المغامرة، فجيرارد ادعى وجود 12 مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة بالجزائر، وبإمكانها أن تفوق الحاجة المحلية بل انه قدر تسليم 2 هكتار لكل وافد جديد، وأنه بالإمكان تحقيق استقبال 8 مليون أوروبي.[4]

لقد خضعت بدورها أراضي العرش والأوقاف، إلى عملية استيلاء ممنهجة، لم تكن تخلوا من العنف، فقد قامت على الاضطهاد الاجتماعي والسيطرة العسكرية وعلى الجريمة كأسلوب،

---

(1) –أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص108.

(2) –Louis Rinn, Le Séquestre Et La Responsabilité Collective, A–jourdan, Alger, 1890,P21.

(3) –Ch .R.Ageron, Histoire De L'Algérie Contemporaine, Puf, Paris, 1964,P76.

(4) –الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ش، و، ن، ت، الجزائر ، 1972، ص36.

فعند وصول القائد العام للقوات الفرنسية في 9 أوت 1830 إلى مدينة الجزائر، خطب في الأوروبيين مؤكدا بأن القوة العسكرية التي يملك التصرف فيها، لا تعدو أن تكون وسيلة ثانوية، وأن تثبيت العروق لن يأتي إلا بالهجرة الأوروبية وحدها.[1]

وتأكد هذا الاتجاه عندما تولى بيجو الحكم في الجزائر، حينما اعتبر في ندائه للسكان سنة 1841، بأن الغزو بغير الاستيطان سيكون عقيما[2]، وهكذا بدأت ترتسم المعالم الأولى لقيام حقل اقتصادي جديد، يستند إلى السيطرة على الأرض وزرع العنصر الأوروبي، وكانت سلسلة المقاومات الشعبية التي عرفتها الجزائر طلية المرحلة الأولى الممتدة من 1830 إلى 1870، تعبيرا عن الخطر الذي بات يهدد الأرض والسكان، كان حلم قادة الاحتلال الأوائل منذ وقت مبكر جعل الجزائر أرضا فرنسية يسكنها الفرنسيون، لذلك كان الهجوم الرئيسي متوجها نحو أراضي العرش التي كانت تشكل أراضي زراعية ورعوية وأراضي غابية، وكانت تمثل ثلث الملكية الجزائرية، وقد كانت الوجهة الاقتصادية نموذجا عن نوع الاقتصاد الجماعي القائم على الشراكة في العقار، ومن الوجهة السياسية قلعة لمقاومة السيطرة الفرنسية.[3]

لقد كانت سلسلة القوانين التي سنت عقب الحوادث الكبرى خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تستهدف بشكل مباشر هدم البنية الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري.[4]

---

(1) –Ibid,P351.

(2) –Géneral Azan, Bugeaud et L'Algérie, Le Petit Parisien, P51.

(3) –Mohamed Chrif Sahli, Décoloniser L'histoire, Alger, Edition,Enap,P55

(4) –Abdellatif Benachenchou, Régime Des Terres Et Structures Agraires, Au Maghreb, Edition Populaire De L'armée Avril 1970, P55.

انتقلت الإدارة الاستعمارية في الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870 بمصادرة أراضي الأفراد، حيث تضمنت القرارات الصادرة ما بين 1844 و1846 حق الإدارة الاستعمارية بمصادرة الأراضي غير المزروعة، والتي لا يمكن لأصحابها إثبات وثائق الحيازة[1].

2- سياسة نهب الثروات واستغلالها:

استهدف توسيع استغلال ثروات الجزائر في مختلف مناطق تواجد الثروة ولذلك أولت عناية خاصة لشبكة المواصلات التي عرفت تطورا ملحوظا ابتداءا من 1872 ذلك أن طول شبكة الطرق قد بلغ على مشارف 1879، 9280 كلم كما عرفت الموانئ بدورها توسعا وظهر عهد تطوير السكك الحديدية منذ إنشاء أول خط سنة 1862، والذي كان يربط مدينة الجزائر بمدينة البليدة على مسافة 49 كلم ليصل خطوط الشبكة سنة 1892ن إلى 2292كلم[2] وإلى 5250 كلم 1927 لتغطي بذلك المناطق الفلاحية في تل الوهراني، والهضاب العليا الشرقية، وناحية قسنطينة وتربط جنوبا بين تقرت في الجنوب الشرقي، وبشار في الجنوب الغربي، وأضحت شبكة السكك الحديدية مسخرة لنقل ثروات الجنوب، من تمور وحلفاء وفحم، وقد بلغ حجم البضائع التي تم نقلها سنة 1927، بحوالي 4 مليون طن سنة كما تحولت أداة في تحريك نشاط أصحاب رؤوس الأموال والمستوطنين[3].

لقد صاحب التطور الصناعي الذي عرفته فرنسا قبل 1850 تأثيرات على استغلال ثروات الجزائر من خلال البحث عن المعادن ونقلها باتجاه فرنسا وبدأت تتضح معالم هذه السياسة في ارتفاع حجم الواردات من الحديد والنحاس والرصاص والرخام والتي بلغت في ستينات القرن التاسع عشر حوالي 14.5 بقيمة بلغت 80 مليون فرنكن وتزايدت طلبات أعمال

---

(1)–Ch.A.Julien, Histoire De L'Algérie Contemporaine, 1827-1871. Puf, Paris, 1964 ,P240, 241.

(2)– Djilali Sari, Insurrection De 1881-1882,Sned,Alger,1981 ,P56.

(3) –صالح عباد، مرجع سابق، ص97.

البحث والتنقيب لتصل إلى 2109 رخصة استغلال مابين 1897-1902 في عمالة قسنطينة وحدها[1] وكانت حمى الاستغلال تفسرها الأرباح التي كان يجنيها الرأسماليون حيث بلغ الربح الصافي عن الطن في حقل الفوسفات بمنجم الكويف بعنابة، إلى 40 فرنك سنة 1922 و كانت السيطرة على الأرض في إطار سلسلة المصادرات التي طالت الأملاك الجماعية والفردية للجزائريين واستقدام العناصر الأوربية التي حظيت بملكية الأراضي ومن مساعدات الاستغلال المادية، ومغامرات التجار والرأسماليين الذي استفادت من تحفيز النظام الجمركي وقيام الشركات والمؤسسات المالية باستغلال الصفقات و دعم الاستيطان وتوسيع المنشآت القاعدية ضمن مسار تكثيف الاستغلال، قد أفضى في النهاية إلى إرساء الأسس التي قام عليها القطاع الاقتصادي الأوربي، الذي ربط الجزائر بمنظومة الاستغلال الفرنسية، وجعل منها مصدر الثروة الخام في احتياجاتها التنموية، وسوقا رائجة لمنتجاتها المصنعة والمواد المفقودة محليا.[2]

لقد اتضحت معالم هذا النظام في نهاية الحرب العالمية الأولى باعتماده على التجهيز والتقنية الحديثة، ومن خلال تهيئة الموانئ ومد السكك الحديدية والطرق البرية والسدود، وأصبح يحوز على قطاع زراعي حديث وصناعة استخراجية وبعض الصناعات التحويلية وقطاعات النقل والبناء والتجارة.

كان القطاع الاقتصادي المحلي يقوم الاستغلال الزراعي وتربية الثروة الحيوانية وكان إنتاجه متأثرا بالظروف المناخية[3] ورغم مساهمته في توفير المعيشة لأغلب السكان الجزائريين ومساهمة محاصيله في إنعاش النشاط التجاري، فإن الاستعمار الفرنسي عمل على إعاقة تطوره، ومن خلال حصره ضمن المساحات الزراعية التي كانت تعاني خصوبة التربة

(1) – صالح عباد، مرجع سابق، ص 98.

(2) –مغدوري حسان، مرجع سابق، ص 34.

(3)–René Gallissot, L'économie De L'afrique Du Nord, (Que Sais-Je), Puf, Paris,1969,P31.

وتعقيدات السطح وقلة المياه، بعدما تم الإجهاز على أجود الأراضي الزراعية وتوطين السكان الأوروبيين، وإقرار سلسلة التشريعات العقارية الدخيلة على التقاليد وقواعد ملكية الأراضي عند المسلمين، والتي كانت تساهم في تقليص ونهب ملكيات الجزائريين، فضلا عن عمليات الحجز التي طالت أملاك القبائل التي تصدت للاستعمار.[1]

لقد كانت إدارة الاحتلال ترى في تطوير اقتصاد الأهالي تهديدا لوجودها[2] لذلك أبقت دوره بعيدا عن الارتباط بأروقة الاقتصاد الحديث، من حيث علاقاته بالمؤسسات المالية ومساهمته في التجارة الخارجية، وارتباطه بالآليات العرض والطلب التي تقررها قواعد التجارة في الأسواق، وإنهاكه من خلال سياسة الضرائب التي بلغت 45% من مجموع الموارد الضريبية في الجزائر.[3]

3- أسس السياسة الاقتصادية الاستعمارية

كان الجنرال بيجو أول من أعلن عن الوجهة الاقتصادية للجزائر، عندما شرع في إقناع الأوروبيين بالهجرة إليها، وتنفيذ سياسة الاستيطان الفعلي، وقال معبرا عن خياره ((إن بحاجة إلى عمال وفلاحين لهذه الأرض))[4] وقد سارت السياسة الاستعمارية خلال طيلة القرن 19 والقرن20، في اتجاه كرس الاستيطان، وضمن بذلك سيطرة الكولون على أجود الأراضي الزراعية، وقد لعب العامل السياسي دورا أساسيا في سير هذا النظام ودعمه والدفاع عنه،

(1) –Ageron, Op.Cit, P19.

(2) – (P) Berthault, Les Caractéristiques De L'économie Rural Nord Africaine, Imp, Reunnie,Casablanca,1931,P9.

(3) –Ch, R,Ageron, Les Algériens Musulmans Et La France, T1,(1871–1919),Puf,Paris,P49.

(4) –Jacques, Breil, Etude De Démographie Quantitative, Rapport Du H.C.C.Tome 2,La Population En Algérie, Decument Française 1ere Edition, Imprimerie, Nationale,Paris,France,1957,P25.

ذلك أن الدولة هي التي تولت مهمة انتزاع الأراضي وتوزيعها على الأوروبيين، وهي التي كانت تمده بالقروض وبالمساعدات.[1]

تشكل وفق هذا المسار، نمطا اقتصاديا يقوم في الأساس على الاستغلال الزراعي، غير أنه كان يتقسم من الناحية العملية إلى إقطاعيين مختلفين، من حيث الطبيعة والأهداف، فكان القطاع الأهلي معيشيا، يفتقد لشروط الإمكانيات العصرية ويرتكز على زراعة الحبوب وتربية الثروة الحيوانية، في حين كان القطاع الكولونيالي يحتكر أجود الأراضي الزراعية ويقوم على الإمكانيات الحديثة ويستفيد من رؤوس الأموال وقد ركز على زراعة الكروم والخضروات والفواكه وبعض النباتات الصناعية كالتبغ والقطن[2] بلغ حجم الأراضي الزراعية التي كانت بحوزة الجزائريين سنة 1929 ب9.2 مليون في مقابل 3.5 مليون هكتار كانت بيد الأوروبيين، وكان حجم أراضي الدولة (الدومين)، 5 مليون، وكانت الأملاك البلدية تغطي 4.2 مليون هكتار، حيث كانت 3.2 مليون منها، عبارة عن مساحات رعي.

لقد كانت الأراضي الغابية التابعة للدولة تمتد على مساحة 3 مليون هكتار في حين كانت 1.4 مليون هكتار يتشكل من أراضي الرعي والأراضي الصخرية وغيرها.

كان الجزائريون أكبر المنتجين للقمح، حيث كانوا يستغلون 2.3 مليون هكتار من بين 3 مليون هكتار، وهي مخصصة لإنتاج الشعير من أجل ضمان أعلاف الحيوان وجزء منها للقمح الصلب، الذي كان يعطي الدقيق والعجائن،وكان الأوروبيون قد وضعوا أيديهم على إنتاج القمح اللين والشوفان[3] من النوع الجيد، في نواحي سيدي بلعباس والسرسو وسطيف،

---

(1) –محمد حربية ،الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص88.

(2) –Pierre Darmon, Un Siècle De Passions Algériennes Une Histoire De L'algérie Coloniale, 1830-1840, Fayard.2009,P641.

(3)– Lexique Agricole, Français-Arabe, Centre National Pédagogique Agricole, Alger,1982,P43.

وكانت جودة القمح اللين الجزائري تضاهي أحسن أنواع القمح في أوربا وأمريكا بفضل قيمتها الغذائية.[1]

كان المتوسط السنوي للحبوب يقدر مابين 15 إلى 20 مليون قنطار، وهو ما يعادل من الناحية النظرية 2 قنطار للساكن الواحد، ورغم قلة خصوبة الأراضي الزراعة وبدائية الإمكانيات التي لم تعرف تطورا طلية العهد الاستعماري، فإن إنتاج الجزائريين كان أقل بقليل من إنتاج الفرنسيين، فقد كان معدل إنتاج الجزائريين مابين 7 إلى 8 قنطار، في حين كان معدل إنتاج الفرنسيين ما بين 9 إلى 10 قنطار على الرغم من أفضلية الإمكانيات التي يتمتع بها المستوطنون في المجال الزراعي.[2]

لقد كان الجزائريون أكبر منتجي الحبوب والزيوت وأكبر المربين للثروة الحيوانية غير أن الجفاف والظروف الصعبة التي كانوا يزاولون فيها نشاطهم وضغط إدارة الاحتلال جعل أتعابهم بدون نتائج فعالة، وكان الأوروبيون يملكون في المقابل أقل من 10/1 من القطعان الحيوانية.[3]

بلغ عدد أشجار الزيتون في الجزائر حوالي 7 مليون شجرة سنة 1930ن كان يملك منها الجزائريون 4 مليون، وقد بلغ متوسط الإنتاج السنوي حوالي 340.000 هكتل، وبغض النظر عن هذه الصورة الظاهرية، فإن القطاع يئن تحت وطأة الأزمة ذلك أن حجم الاستيراد فاق حجم التصدير، إلا أن طرق العناية المتبعة، واستخلاص المحصول لم يكن مواكبا للأساليب العصرية، كما أن إنتاج المنطقة لم يكن يستهوي اهتمام الأوروبيين، وكانت القدرة

---

(1) –Darmon, Op,Cit,643.

(2) –مغدوري حسان، مرجع سابق، ص37.

(3)– Darmon, Pierre, Un Siècle De Passions Algériennes Une Histoire De L'Algérie Coloniale,1380–1940, Fayard,2009,PP,G43–G44.

التنافسية لزيوت مرسيليا وانتعاش سوق الزيوت المدارية، نساهم بدورها في تعقيد قيمة الصادرات.[1]

كان الفرنسيون يتبجحون بمحاولة تجاربهم من خلال إدخال أنواع من الأبقار الأوروبية والأمريكية، منتقدين في ذلك صغر حجم سلالة بقرة قالمة، وقلة وزنها الذي لا يتعدى 250 كلغ.[2]

كان الخروف يمثل الثروة الأساسية في منطقة السهوب، وقد حافظ على توازن الإنتاج بشكل مستمر فمن 6733 رأس سنة 1920 إلى 4670 رأس سنة 1931 إلى 6416 رأس 1936[3]، غير أن تربية قطعان الأبقار عرفت تذبابا في المردود فقد كان الإنتاج في سنة 1888 في حدود 10 مليون رأس، غير أنه انخفض إلى 5 مليون رأس، بعد فترة الجفاف الذي عرفتها الجزائر، سنوات 1920-1922 و 1924-1926 لكنه سرعان ما استعاد عافيته قليلا ببلوغه 7 ملايين، وإذا كانت هذه الثروة قد مثلت جوهر حياة المناطق السهبية، فإنها كانت من جهة أخرى مهددة بالإفلاس، حيث أنها كانت تفتقد لشروط الحماية كوفرة المستودعات، وكانت عرضة لقساوة المناخ من جفاف وبرودة وصقيع[4]، فقد كانت بعد أسابيع من تساقط الثلوج كافية لحصد أعداد هامة منها، هذا إلى جانب التأثير السلبي لتوسع

(1) -E-F, Gautier, L'évolution De L'Algérie De 1830 a 1930, Cahiers Du Centenaire De L'Algérie ,S,I,N ,D. Paris,1930,P69.

(2) -Gautier, E-F, L'évolution De L'Algérie De 1830-1930 Cahiers Du Centenaire De L'Algérie, S,I,N,D, Paris, 1930, P60.

(3) -Bulletin Technique D'information,N-143 Juillet-Aout 1959.

(4) -Smail Mohamed Aspects De L'aménagement de La Steppe Algérienne cas De La W.Djelfa, thèse Du Doctorat, N.E, U.E.R. De Géographie Paul Valery Montpelier 3. P20.

الاستيطان وابتلاع مساحة المراعي وكذا السيطرة على الغابات في ظل القوانين الصارمة لإدارة الاحتلال.[1].

لقد عرفت الثروة الحيوانية الرئيسية من مواشي وماعز وأبقار وجمال تراجعا مستمرا منذ 1901 إلى 1940[2]، وقد كانت حالة الاستقرار التي شدت البدو الرحل بسبب توسع الاستيطان على حساب المساحات الزراعية والمساحات الرعوية.

لقد كان إضراب عمال الموانئ سنة 1919 وسنة 1920 الأبرز خلال هذه الفترة، حينما قرروا عدم شحن الخمور والبيض والأسماك، والتحق بهم رجال السكك الحديدية، ولم يكن بود الحكومة العامة وقتها إلا اتخاذ إجراءات ردعية لإنقاذ الموقف، فعمدت إلى معاقبة المضربين بالفصل والتوقيف، والإحالة على الحاكم داعية إياهم بالتجمع ضمن رابطات مدنية تحل محل المضربين، ولما لم يكن ذلك ممكنا لحل الأزمة، دعت الميكانيكيين والسائقين التابعين للبحرية الوطنية، وقد بلغ الحد ببعض رؤساء البلديات إلى دعوة التجار لمنع بيع السلع للمضربين وعائلاتهم ولم يتردد الجياع من أخذ مكان المضربين.[3]

لقد حاولت الحكومة تنظيم النقابات المهنية بصفة شرعية ولكنها لم تكن بالمقابل ترضى أن تتحول هذه الهيئات إلى جمعيات سياسية تستغل إضرابات القطاع العمومي لتحويل أهدافها نحو انقلاب اجتماعي ولذلك تم مراجعة الأجور بعد فترة من الوقت.[4]

---

(1) –Op.Cit, P65.

(2)– 10 APOM.1192, CHEAM, M.Calcat, Comment/Résoudre En Algérie L'équation Démographie–Ressources, 22 Juillet1946.P19.

(3) –Nouschi, André, L'Algérie Contemporaine, Paris, P.U.F, France, 1979, P59.

(4) –Ch.R.Ageron, Histoire De L'Algérie Contemporaine, Paris, P.U.F, France, 1979, P59.

لقد تأثر القطاع الزراعي بمشاكل مضاعفة، فالحرب الأولى كانت قد استوعبت أعداد غفيرة من الجزائريين المجندين، وتركت ندرة في اليد العاملة في حين لم تكن الأجور تساعد على طلب العمل، ولم يكن تصريف المنتجات قد عاد إلى وضعه الطبيعي، ففي ربيع 1919 لم يكن تسويق الحبوب للموسم المنصرم قد انتهى وكانت الاحتياجات العسكرية في المغرب قد استخدمت كل وسائل النقل المتوفرة وأصبح تجديد العتاد الفلاحي الذي استنزف أثناء الحرب، يتطلب ميزانية معتبرة من أجل تجديده، كما تم هجر بعض الأراضي التابعة للكولون، بعدما قضوا أصحابها أثناء الحرب، كما لم يكن يكونوا مهيئين نفسيا للعودة للعمل، رغم تسهيلات القروض التي وضعتها الإدارة تحت تصرف قدماء المحاربين، وقد أثر ذلك على وتيرة توسع الاستيطان الذي عرف توقفا محسوسا، وهكذا لم تكن سنوات 1920-1925 مشجعة على العودة للعمل.[1]

تأثيرات الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 على الوضع في الجزائر

عرفت الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1919 إلى 1939 تحولات هامة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي، حيث ارتبط بعضها بالحرب الأولى، في حين تأثرت الجزائر كبقية دول العالم بالأزمة الاقتصادية العالمية 1929، وأزمة التضخم التي أصابت النظام المالي في فرنسا لتنتقل تداعياتها إلى الجزائر، وقد تركت تراجعا قويا في قيمة الفرنك الفرنسي، لاسيما في سنة 1928، حيث استمر الفرنك في التهاوي حتى فقد 91.5% من قيمته مع مطلع سنة 1939، مقارنة على ما كان عليه سنة 1914.

لقد خلف هذا التراجع في قيمة الفرنك ارتفاعا حادا في الأسعار، وأثر على قدوة الأجور التي بقيت عاجزة عن مواكبة هذا النسق الذي استمر إلى غاية 1929، حيث خسرت الأجور

(1)– Nouschi, Op.Cit, P49.

القارة كل إمكانية للعيش، في حين زادت إرباح أولئك الذين استطاعوا تنمية دخلهم وفق مستوى الأسعار.

لقد زادت الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 من تراجع قيمة الأسعار بشكل كاسح بحيث بلغ العجز ما بين 30 % إلى 40% سنة 1935، مقارنة بسنة 1926، وقد مس هذا الوضع المنتجات الفلاحية على وجه الخصوص، وإن كان قد بدا في التحسن بعد 1936، إلا أنه ظل مع ذلك، بعيدا عن مستواه الذي كان عليه سنة 1926 وتسبب في أزمة قوية على الصعيد الاجتماعي تحمل فيها الجزائريون المسلمون عبئها الثقيل.[1]

لقد استمر تدهور الوضع الاقتصادي في الجزائر إلى غاية سنة 1925، وقد تأثر في ذلك بسلسلة المحاصيل الزراعية الهزيلة التي سجلتها الفترة، والتي رتبت ارتفاعا كبيرا في الأسعار، وانعكس ذلك في عجز الأجور الثابتة، وفي محاولة احتجاجات العمال والموظفين الذين بدءوا يطالبون بتسوية الأجور وفق سقف الأسعار، حيث بلغ عدد الإضرابات ما بين 1919-1920 حوالي 121 إضراب في الجزائر.[2]

لقد كانت أزمة 1920-1921 شبيهة بتلك التي عرفتها الجزائر سنوات 1866-1870 فقد سجلت سنة 1917-1918 إنتاج 7.1 مليون قنطار من القمح الصلب ولم تتجاوز السنة الموالية 4.7 مليون قنطار، لتنتهي بأسوأ إنتاج 3.2 مليون قنطار سنة 1919-1920، ولم يتجاوز إنتاج الأهالي من الشعير 2.7 مليون قنطار خلال هذه الفترة، من مجموع 7.5

(1) –André Nouschi L'Algérie Amère 1914-1994, Fondation De La Maison Des Sciences De L'homme, Paris, 1995.P41.

(2)– Nora Benallègue-Chaouia, Algérie Mouvement Ouvrier Et Question Nationale 1919-1954, Opu, 2010,P83.

مليون قنطار، ولم تكن أراضي الرعي أقل نصيبا من تأثيرات الأزمة، حيث احرق الجفاف مساحات المراعي ولم تكن تعد قطعان الماشية تجد ما يحفظ لها البقاء[1].

لقد صرح المستشار العام عن أهالي منطقة الشلف، بأن معظم الفلاحين لم يستطيعوا حصد منتجوهم ذلك أن حقول القمح قد جفت تحت الأقدام، ولم يعد لديهم سوى فرصة اكتساحها بقطعانهم الجياع، حيث انعدمت المراعي وأبيد القطعان وأصبح الأهالي مجبرين على بيع مواشيهم بأثمان بخسة، كما لم يعد بإمكان عدد كبير من الرعاة والخماسين العمل عند الفلاحين، وقد تحولوا برفقة عائلاتهم إلى التسول، وتسبب الوضع في هجرة عارمة لهؤلاء المتسولين وهم شبه عراة، بعدما فقدوا مساعدة الدواوير التي نزحوا منها، ولجئوا إلى المدينة يتضرعون من أجل تلقي المساعدة العمومية، ومع اقتراب فترة الشتاء، أنهك معظم الأهالي من طول الحرمان، وهم يموتون تحت أعين رفقائهم المنكوبين.[2]

لقد استمرت الأزمة في سنوات 1922-1923 بأكثر حدة من 1919-1920 وتسبب في إنهاك المدخرات الهزيلة للفلاحين ومصادر التعاونيات الأهلية للحيطة التي لم تكن في مستوى مجابهة الوضع، وقد زاد العجز المالي من تفاقم الوضعية التي سببتها الحرب والتي رهنت المستقبل الاقتصادي للجزائر، وتوالت شكاوي الكولون على اللجنة البرلمانية التي زارت الجزائر سنة 1923.[3]

في 4 أوت 1926 صدر قانون العقار الجديد الذي يسهل التوغل في أراضي العرش والذي أجهز على هذه الأراضي، ساهم الممثلون في البرلمان والمجالس المحلية وكذا الإجراءات

---

(1) Ibid,P84.

(2)– Op.Cit,P50.

(3) –Nouschi, Op.Cit, P50.

الإدارية المكثفة من تجاوز الأزمة من خلال تركيز الملكيات في يد كبار المستوطنين واستمرت هذه الحركة وفق نسق قوي وواضح إلى غاية 1930.[1]

في سنة 1924 شرعت إدارة الاحتلال في اعتماد سياسة المشاريع الكبرى لاسيما في مجال الري الفلاحي، فمن بين 160 مليون فرنك تم تخصيص 427 مليون فرنك لهذا القطاع، في محاولة لمحاولة الجفاف في بعض المناطق الزراعية المحاذية للأودية والتي كان معظمها بيد الكولون، وقد ساهم توسع الاستيطان من جهته في تطور زراعة الحبوب والكروم، وعرف إنتاج الخمور انتعاشا مذهلا إذ قفز رقم الإنتاج من 8.041.276 مليون هكتل سنة 1927 إلى 11.748.441 مليون هكتل سنة 1930، وهو ما يعادل حجم التطور الذي عرفه خلال كل الفترة الممتدة ما بين 1900-1921[2].

لقد كانت هذه الأزمات تمهيدا لأعنف أزمة عرفها العالم، ورمت بتداعياتها على الوضع الاقتصادي في الجزائر وكشفت الاختلال الذي كانت تعاني منه السياسة الاقتصادية الاستعمارية في الجزائر.

لقد كان القطاع الصناعي يشغل حوالي 90.000 عامل سنة 1936، وكان من بينهم 45000 من الجزائريين الأهالي، وكانت المراكز الصناعية الرئيسية تشكل تجمعات بمحاذاة الموانئ، ولم تكن تتمتع بنفس حجم و قوة المؤسسات الأوروبية، ذلك أنها كانت بأبعاد صغيرة، ولم يكن يتعدى عدد المشتغلين بها 10 أشخاص في المعدل كما كان نشاطها غالبا ما يأخذ طابعا هامشيا، ارتبط بالقطاع الزراعي كمصانع زيت الزيتون ومصانع الجعة،التي

[1]– Ibid,P51.

[2]– Annuaire Statistique De L'Algérie, (1927-1930).

لم تكن تشترط أيدي عاملة متخصصة لذلك كانت الأجور التي تمنحها للعمال أقل بكثير من المستوى الطبيعي.[1]

لقد احتكر العمال الأوروبيون كافة مراكز القرار ومناصب النفوذ، في حين كان معظم العمال الأهالي يشتغلون بالأعمال الوضيعة، كمساعدين في نطاق شكل من التميز العنصري الاقتصادي، الذي ظل يكرس الفلسفة الاستعمارية الكلاسيكية القائمة على التمييز العرقي والتي تجذرت في ممارسات المعمرين.

لقد كان بإمكان العمال الأوروبيين تشكيل إطار قوي لحركة نقابية فعالة، غير أنهم كانوا في الغالب يعزفون عن ذلك، فالاستعمار قد قضى على الرابطات المهنية التي كانت في العهد العثماني منذ 1868، ولم يعد للنقابات سوى دورا متواضعا فإلى غاية 1933 لم يتجاوز عدد المنخرطين في النقابات المهنية حوالي 10.000 منخرط، ولم يكن من بينهم سوى 1000 جزائري، مقسمين على 150 نقابة، حيث كانت "النقابة العامة للعمال" (CGT)، تمثل الصدارة من حيث عدد الفروع النقابية وكانت التجمعات المسيحية والتنظيمات المستقلة من جهة أخرى، لا تجلب نحوها سوى عدد قليل من الناس، بل نادرا ما تجد العمال الأوروبيين الذي يبادرون للقيام بدور نقابي فعال والالتزام بتطبيق مبادئ العمل النقابي في الجزائر، وفق ما جرت عليه تقاليد القواعد التي تنظم الحياة العمالية الفرنسية.[2]

لقد بقى العمال الجزائريون في معظمهم غير منظمين، وكانت المحاولات النقابية التي قادها عمال ميناء وهران، قد عكست هذا الإشكال الذي أضيف إلى جملة المشاكل الناجمة عن

(1) –Nouschi, Op.Cit, P62.

(2)– Ibid. Nouschi, Op.Cit, P62

الأزمة، والتي بسببها تعطل عمل المناجم والمؤسسات الصناعية وتسببت في إثارة سلسلة الاحتجاجات التي قاده الجزائريون لعل أهمها كان في منجم الكويف سنة 1937.[1]

لقد ارتبط قيام النظام الاستعماري من حيث المبدأ، بفلسفة عنصرية كانت تخول سيطرة العنصر الأوروبي على مقاليد الحكم، وتدبير الشؤون الاقتصادية، كما أن الأسس التي قام عليها هذا النظام قد قضت على دور العنصر الجزائري في نطاق العملية الإنتاجية التي تقتضيها قواعد الاقتصاد الحديث وأدت هذه الأزمة الاقتصادية بتأثيراتها المالية إلى خنق الحركية التي كان يتمتع بها النشاط الاقتصادي الكولونيالي لتنتقل أعبائها إلى العنصر الجزائري المحلي الذي بات في نطاق حياته الاقتصادية مظهرا للإفلاس، وفي حيويته الديموغرافية مثارا للخوف من المستقبل، وأضحت الحلول السياسية التي كان يتحدث عنه الحكام العامون، جرعات مسكنة للذين كانوا مازالوا يعلقون أمالا على العدالة والمساواة المفقودين.[2]

الأوضاع الاجتماعية

شكل النظام الاقتصادي الاستعماري في الظل الصراع المصيري على الأرض تحولات عميقة في حياة المجتمع الجزائري، تجلت مظاهرها الكبرى في التفاوت الديموغرافي بين العنصر الأوروبي والعنصر الجزائري، والتوتر الاجتماعي الذي لازم العلاقة بينهما في مجال الحياة اليومية، والذي أخذ انحرافا خطيرا بعد احتفال فرنسا بالذكرى المئوية للاحتلال سنة 1930، حينما أراد القائمون على إحياء الذكرى، عرض صورة الجزائر التي كانت في

(1) -مغدوري حسان، مرجع سابق، ص37.

(2) -مغدوري حسان، مرجع سابق ، ص93.

نظرتهم، أجمل المستعمرات الفرنسية لكنها كانت ما تزال مجهولة عند من سكان المترو بول.[1]

هاهو إنجاز فرنسا ! يقول احدهم: ((لقد حملت النظام إلى أرض كانت تسودها الفوضى، وحملت معها روح التطور والنجاح حينما كان ثمة جهل دفين، وحملت معها البحبوبة المادية والصحة، حينما لم يكن هناك سوى أرياف تهيم في الجهل ومستنقعات وبائية، ولذلك فإنه من الطبيعي أن يكون لفرنسا مشروعية تقديم عرض للعالم، عن كل ما تحقق خلال مائة سنة من الاحتلال)).[2]

لم تعرف الوضعية الاقتصادية الاستعمارية الاستقرار منذ الحرب العالمية الأولى وزادت الأزمة الاقتصادية التي بدأت أعبائها تقع على حياة الملايين من الجزائريين رهن وضع اقتصادي بات يهدد المصالح الاقتصادية للأوروبيين، في الداخل وفي الخارج، وينغص حياة الملايين الذين كانوا يحاولون إنعاشه، بالقدر الذي كان هو يزيدهم بؤسا وشقاء.

لقد تركت الحرب العالمية الأولى أثارا ديموغرافية هامة على الصعيد الاجتماعي فقد تم تجنيد 155.000 من الفرنسيين الأوروبيين و 173.000 من الجزائريين في سن مابين 18 و 45 سنة، وتم تسخير 119.000 من العمال الذين تم تشغيلهم في مصانع المترو بول، وفي باقي أنشطة الفلاحة بفرنسا.[3]

---

(1) –Octave Depont, L'Algérie Du Centenaire L'œuvre Française De Libération, De Conquête Morale Et D'évolution Sociale Des Indigènes Les Berbéres En France La représentation Parlementaire Des Indigènes. Préface De M. Pierre Codin ,Imp, Cadoret, 1928.P2.

(2) –Jean Mélia, Centenaire De La conquête De L'Algérie Les Réfromes IndigèneS, Paris (XVI), P1-4.

(3) –Jean-Claude Vatin, L'Algérie Politique Histoire Et Société, Edition Nouvelle, P,F,N,S,P. 1983,P286.

لقد فقد فرنسا 22.000 من أبنائها وحوالي 25.000 من الجزائريين، وقد كانت أعلى نسبة من الخسائر لدى سكان المدن الأوروبيين في حين كانت هذه الصورة تأخذ وضعا معاكسا لدى الجزائريين الذين كان معظمهم من سكان الأرياف، وقد كانت أكبر فئة مفقودة من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين 18و40 سنة وهي الفئات النشيطة التي افتقدها سوق العمل وضاعت من حسابات التنمية الاقتصادية في المستقبل، وقد شكلت هذه الخسائر من جانب أخر خطرا على استقرار الزيادة السكانية، ذلك أنها قلصت من عدد المواليد الذين بدا انخفاضهم يلاحظ في صفوف الأوروبيين بشكل محسوس.[1]

لم يكن الوضع الديموغرافي عند الجزائريين أحسن حال منه لدى الأوربيين، فقد كان معدل عدد المواليد في حدود 125.000 نسمة قبل الحرب، لكنه سرعان ما انخفض إلى 111.000 سنة 1914، ثم إلى 97.000 سنتي 1915 و1916، ثم إلى 105000 سنة 1917 ف 104000 سنة 1918 و 102000 سنة 1919 وبذلك فقد الجزائريون 134.000 طفل وهو ما يعني أن عدد الخسائر قد تخطى في المجموع، ما يعادل سنة من المواليد، ففي 1918، تجاوز العجز في المواليد عدد الوفيات، وقد مس ذلك الجزائريين والأوروبيين معا، حيث بلغ العجز 1133 شخص لدى الجزائريين، وبلغ 20.984 لدى الأوروبيين وهكذا خلقت الحرب خسائر وخلفت معها ذعرا لدى الجزائريين[2].

ساءت أحوال الجزائريين الاجتماعية بعد ما استعملت السلطات الاستدمارية كل الأساليب الدنيئة من أجل الاستحواذ على المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية التي وجدتها في

(1) –Cantier , Op,Cit, P63.

(2) –Cantier Jacques, L'Algérie Sous Le Régime De Vichy, Paris 2002, P63.

الجزائر، وتوجيهها لخدمة المصالح الفرنسية والأوروبية سعيا منها لتحقيق مشروعها الاستيطاني.[1]

وكان من نتائج الاحتلال الفرنسي أن المجتمع الجزائري قد تغيرت طبيعته وتأثر الفرد بمؤثرات جديدة، فالجزائري أصبح لا يخرج من داره إلا وهو ذليل وأصبح محجوبا كالمرأة ذلك أن الشارع فيه حضارة أخرى مغايرة لحضارة الفرنسيين[2]، وأصبح الجزائري غريبا في وطنه ومجتمعه فحوصر في الأحياء الشعبية الضيقة وحرم الاختلاط والاحتكاك بالمستوطنين، ووصف أحد الجزائريين تلك الظاهرة العنصرية التي سنها الاستدمار بقوله: "وقلما كان الجزائري أثناء تجواله داخل المدينة يتعدى بخطواته حدا معينا، وكانت إدارة البريد (المركزي حاليا) هي الحد بين الحياة الجزائرية والحياة الفرنسية.[3]

أصبح الأهالي يعيشون حالة من الفوضى فلم تعد هنالك سلطة تدبر شؤونهم كما كانت في السابق قبل دخول الفرنسيين فإن العائلات ذات النفوذ في الوسط الأهلي هي التي كانت تقوم مقام السلطة الحاكمة قد قل دورها إن لم يختف كلية.[4]

كماقام الاستدمار بتحطيم أركان المجتمع الجزائري سواء كانت القبلية أو الهيئات وتحول معظم السكان (القيادية التي تعتمد على الأصل والمال أو الزعامة الدينية)[5] إلى مزارعين

---

(1) – بن عدة، المرجع السابق، ص 16.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998 ص 297-298.

(3) –أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في حركة الوطنية الجزائرية، ط1، دار هومة، الجزائر 2007، ص113.

(4) –شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: سليم المنجي وآخرون، ط2، (ش.و.ن.ت، الجزائر، 1976) ص 44 .

(5) –العقاد، المرجع السابق، ص116.

في مزارع المعمرين وعمالا في خدمة الرأسمالية الفرنسية والأوروبية، إذ كتب أحد الفرنسيين: "لقد حطمنا بعض القبائل القوية التي كانت لها مكانة في البلاد عن طريق القوات العسكرية، وبعض الأهالي صودرت أملاكهم كما عملنا على تكسير شوكة بعض العائلات ذات السمعة والشهرة."[1]

وهو ما ذهب إليه مالك بن نبي حينما ذكر ما وصلت إليه بعض العائلات المشهورة في قسنطينة فقال: "لم يبق وجود لعائلة بشتارزي، أما عائلة صالح باي لأنها في نزوح إلى تونس، وأما أغنياء ابن العقون فلم يبق منهم سوى فئة صغيرة".[2]

كما أن سياسة القهر الاجتماعي التي تعرض لها أهالي العاصمة زادت من سوء أوضاعهم الاجتماعية كانتشار البطالة وارتفاع نسبة الإجرام، وتفشي الآفات الاجتماعية، وغلاء المعيشة، وزيادة المجاعة حتى وصف أحد الجزائريين هذه الظاهرة بقوله: "ونبهني إلى ما رأيت بعين رأسي هذه الأعوام من الزيادة في ارتفاع الأسعار وغلاء الأقوات حتى بلغ رطل البصل المكروه مائة فرنك، كما رأيت صبيانا ذكورا وإناثا لا يتجاوزون أربعا أو خمسا من أعمارهم يتقاطرون و يتزاحمون على سلل وصناديق الزبل وسقط المتاع يلتقطون من تلك الصناديق فتات الموائد للإقتات..".[3]

وكانت نتيجة هذا التدهور والتغير الناتج عن القهر الاجتماعي أن أصيب المجتمع بالركود والخمول، وتدهورت حالة السكان، وأنتشر في أوساطهم القفز والجهل، و أصبحت مئات الآلاف من العائلات ترتزق من أراضي غير خصبة تعيش في حالات مأساوية حتى وإن كانت هنالك أراضي جد خطبة، فإن شدة التركز السكاني فيها (خاصة العاصمة) لا يكفي

---

(1) –عباس فرحات، المصدر السابق، ص 130.

(2) –مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن– الطالب–ط1 ،دار الفكر، بيروت، 1969، ص10.

(3) –مريوش، الطيب العقبي،المرجع السابق، ص 114.

لسد حاجيات كل السكان من الإنتاج، الأمر الذي جعل (المجاعة تفتك بالمعوزين غير القادرين على توفير قوتهم اليومي.[1]

وفي هذا الصدد يقول فرحات عباس: "ستة ملايين من السكان لم يبقى في أيديهم سوى أراضي جرداء قاحلة، وبلغ الثلثان من هؤلاء السكان من الجوع والبؤس والفاقة مبلغها، جردت القبائل الغنية والقوية من خيراتها، لأن أراضيهم وممتلكاتهم أصبحت نهبة الناهب، ولم يبق في وسع العربي الذي أصبح غريبا في أرض الأجداد إلا أن يكون خادما للمعمر.[2]

لقد كانت سياسة النهب والسلب والتفقير المنتهجة من قبل السلطات الاستدمارية تستهدف الشعب الجزائري، بناء على الاعتقاد الذي كان سائدا عندها أن الشعب خاصة وأن الوضعية (الجزائري مآله الزوال بحكم القانون القائل "البقاء للأصلح") الديمغرافية المتدهورة التي كان عليها، كانت تدعم لديهم هذا الاعتقاد[3]، من انحلال خلقي كان سائدا آنذاك، وتجسدت الرجولة في شارب الخمر وقاطع الطريق وانتشرت ظاهرة الزنا والدعارة، بتشجيع من فرنسا التي فتحت الأبواب لها، واعتبرت كل من يتصدى لمومس جانيا، ويحاكم أمام العدالة لأنه اعتدى على الحرية !! وأصبح المار في شوارع العاصمة لا يسمع إلا ما يسوؤه من البغايا وهن متبرجات، ووصفت جريدة النجاح تلك الظاهرة المخلة بالحياء، بعد أن وظف الاستدمار المرأة والجنس لتحطيم مقومات الأمة الجزائرية المسلمة بقولها: "بغيات يتخطفن الشباب ويسلبن عقولهم ويأكلن أموالهم ولا مجير لهم ولا ناصر لهم لأن المرأة حرة في نفسها تفعل ببيتها ما تشاء."[4]

---

(1) –أجيرون، المصدر السابق، ص101.

(2) – عباس فرحات، المصدر السابق، ص112.

(3) – بن عدة، المرجع السابق، ص17.

(4) – مريوش، المرجع السابق، ص114.

وقد ترتب عن ظاهرة الزنا نتائج سلبية على الشباب الجزائري، ولم تكتف الإدارة الاستدمارية بفتح بيوت الدعارة للعاهرات وسط الأحياء الشعبية فقط، بل فتحت لهن الأبواب بجوار المساجد وداست على حرمات المسلمين ومقدساتهم، وكتبت جريدة لسان الدين في وصف هذه الظاهرة اللاأخلاقية: " أما الدعارة فقد نشرتها فرنسا كالوباء في كل حي دون مراعاة لحرمة الأوساط العائلية الشريفة، ولا احترام لقدسية الأماكن الطاهرة، حتى بات جامع سيدي رمضان تحيط به بيوت العاهرات إحاطة السوار بالمعصم. "كما يصور لنا أحد رجال الإصلاح–الشيخ الطيب العقبي– الحالة التي أصبح عليها الشارع الجزائري في منتصف العشرينيات قائلا[1]:

حيثما تلتفت تجد قمرا يزهو شمسا بديعة الإشراق

وجميلا تلا جميلا ومعشوقا غدا في جماعة العشاق

وهكذا هي الجزائر فانظر فاتنات وفاتن في الزقاق

والجدير بالذكر أن الأوضاع الاجتماعية في الجزائر لم تبق على حالها بل ظهرت بودار حركة إصلاحية جديدة بها، تمثلت في نشاط العلماء (علماء الإصلاح) فظهرت الصحوة وبرز الوعي الوطني والقومي اللذين هما أساس النهضة.[2]

4- خلفيات الصراع بين رجال الطرقية و رجال الإصلاح و بعض مظاهره

لم يحارب رجال الإصلاح التصوف بما هو تصوف، بل نجد في أول الأمر من تحالف معها والعمل برفقتها كالشيخ ابن باديس الذي دافع عنهم أحيانا وكان لا يرى من الحكمة أو من الدين محاربتها، واستمر يعمل على ضوء هذه القناعة حتى بعد اتصاله بزميله الأول

(1) –مريوش، المرجع السابق، ص 115.

(2) –رمضان محمد الصالح وعبد القادر فضيل، إمام الجزائر عبد الحميد بن باديس، دار الأمة الجزائر، 1998، ص 16.

البشير الإبراهيمي سنة 1924م لتأسيس جمعية الإخاء العلمي[1] وظهور فئة إصلاحية تهاجم العلماء التقليدين ورؤساء الزوايا والطرق الصوفية فهاجموا ممارسات بعض الطرقيين عصرهم في البدع التي ارتكبوها باسم التصوف وتواصلوا إلى تكفيرهم ووصفهم بالردة عن الدين الإسلامي.

وانحصر الصراع بين المصلحين والطرقيين في البدء الأمر في شرق الجزائر (عمالة قسنطينة)، ويبدو أن هذا الصراع لم يكن متكافئا لافتقار الطرقية إلى مدافعين أقوياء يتفقون في وجه علماء الإصلاح وكان الصراع يشتد كلما امتدت الدعوة الإصلاحية إلى الوسط الجزائر وغربها وخاصة من طرف الطريقة العليوية والتيجانية.

1-4 مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء والطرقيين

1-1-4 - إنكار بدع الطرقية

يعتبر المصلحون أن الطرق الصوفية هي بدعة لم يعرفها السلف، فانتقد الشيخ عبد الحميد بن باديس الصوفية من حيث ممارستهم التعبدية والتي نجم عنها أفات متعددة تعدت أثارها الحياة الاجتماعية، مما جعله يتصدى لهم، والقيام بواجبه الديني فقد كانت هذه المهمة

[1] – يقول الشيخ الإبراهيمي زارني الأخ ابن باديس وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي، وأخبرني بموجب الزيارة في أول جلسة أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم الإخاء العلمي مركزها العام بمدينة قسنطينة، تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم وتقارب بين مناحيهم في= =التعليم والتفكير...وعهد إلي أن أضع قانونها الأساسي فوضعته في ليلة وقرأته عليه في صباحها فاغتبط به أيما غبطة وودعني راجعا إلى قسنطينة بعد أن اتفقنا باديا على أن أعضاء الإدارة وأن يكون كلهم من مدينة قسنطينة ثم حدثت حوادث عطلت المشروع للمزيد أنظر: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص52.

من المهام الأساسية لرئيس الجمعية، فحارب كل الآفات الاجتماعية من ناحية وكل ما يفسد عقول الناس ويضيع عليهم أموالهم من ناحية أخرى.[1]

وقد اتخذ ابن باديس في تحقيق غايته بصفة عامة وغاية رجال الإصلاح بصفة خاصة أسلوبا لا يتسم بالعنف في مواجهة الطرقيين وأتباعهم فقد كان حريصا على وحدة الأمة بقدر طاقته[2]، وعلى تحويل هذه الطاقات للعمل والجهاد ضد الاحتلال الفرنسي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى وهي الأهم فلم يكون أسلوب الشدة أو العنف المنهج المثالي للإصلاح عند ابن باديس ورفاقه، بل الوعظ والإرشاد بالهداية القرآنية فهي أنجح دواء، وتصلح ما أفسده الطرقيين في النفوس العامة من ناحية أخرى.[3]

لم يكن ابن باديس في دروسه بعيد عن التصوف لا عن المسائل المتعلقة به والتي يثيرها بعض المستمعين إليهم، فكانت أكثر الأسئلة المثارة خلال دروسه حول مشروعية التصوف وعن الولاية والكرامة والتوسل، كما سئل عن العبادة الصحيحة أيهما أكمل العبادة مع رجاء الثواب وخوف العقاب أم العبادة بدونها؟ وهي عبادة الصوفية في عصره وفي سبيلها.

4-1-2 - نقد التنظيم الهيكلي للطريقة.

لقد هاجم رجال الإصلاح الترتيبات داخل الطرق الصوفية التي بنت العلاقات الدينية على أساس هرمي فانتقد البشير الإبراهيمي هذا الترتيب وأخذ على عاتقه مقاومة هذه الانحرافات، فخاض في ذلك صولات معلومة وجولات شهيرة فانتقد ابن عليوة وطريقته في توصيل فقرائه إل معرفة الله، حيث قصروا من طريق وقد كانت من قبل طويلة زاعمين أن

---

(1) – ابن باديس، المصدر السابق، ج3، ص546 .

(2) – المصدر نفسه ،ج2، ص – ص155–157

(3) –أحمد محمود الجزار، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، دار المعارف الإسكندرية مصر، 1999م، ص80

طبيعة العصر تقتضي النزول بمراحل الاختلاء الروحي من شهور إلى ثلاثة أيام، بل في بعض الطرق إلى ليلة واحدة فحسب، فكاتبهم يسألهم "كيف نقصوا من مدة الخلوة ولم ينقصوا من مدة الخدمة، كيف نقحوا مراحل التربية الخلوية لمعرفة الله بثلاثة أيام تتبعها أشهر وأعوام في انقطاع لخدمة الشيخ في سقي الشجر ورعي البقر وحصاد الزرع وبناء الدور، مع الاعتراف باسم الفقير والاقتصار على أكل الشعير.[1]

وكان الشيخ لا يتردد في شن الحرب ومبادلة الطرق العداوة، طالما لم يتوبوا إلى الرشد ولم يلتزموا بسبيل السيرة النبوية التي هي جادة الإسلام.

ولم يستثني من يدافعون عن هذه الطرق ويتعصبون لها من بعض العلماء فأطلق الشيخ العنان لقلمه لمحاربة الطرقية وأعوانها.[2]

أما الشيخ الطيب العقبي فلقد بدأ حركة إصلاحية جديدة استهدف من خلالها استرجاع مبادئ وقيم الدين الإسلامي، وتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب والضلالات من خلال جريدة الإصلاح والشهاب[3]، وقلبهما جريدة المنتقد[4]، فشن حملة قوية ضد المترابطين

---

(1) –البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مقتطفات من تصدير نشرة جمعية علماء المسلمين الجزائريين، ط1، مكتبة وتسجيلات الغرباء الأثرية الجزائر 2008،ص38

(2) –لقد انتقد البشير الإبراهيمي الطرق وسماهم الدجاجلة كم انتقد من أطلق عليهم بالعارف بالله وهم العليوية فرد عليهم: لقد عرفنا الكثير من هؤلاء (العرافين بالله) فلم نعرفهم إلا حمرا ناهقة، الإبراهيمي: الطرق الصوفية، ص39

(3) –جريدة الشهاب ظهرت بعد تعطيل الإدارة الفرنسية لجريدة المنتقد، وهي جريدة أسبوعية لمؤسسها ابن باديس، برز عددها الأول بتاريخ 12 نوفمبر 1925، وتعرضت لأزمات مالية كادت أن توقفها، تحولت فيما بعد إلى مجلة شهرية راقية ، توقفت الشهاب في أوت 1939 للمزيد أنظر: محمد ناصر: الصحف الجزائرية من 1847–1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980، ص58

(4) –جريدة المنتقد جريدة أسبوعية صدرت بقسنطينة بتاريخ 2 جويلية 1925 لصاحبها ابن باديس الذي أسند إدارتها لأحمد بوشمال كانت تدعو إلى الإصلاح الديني ومحاربة البدع والشعوذة وذلك ما أثار

ورجال الطرقية، وأهل الشرك الذين عملوا على تنويم الفكر الجزائري، وإبعاده عن صوابه وعن الشريعة السمحة، ولم يجد أمامه سوى الهجوم والكشف عن خطط ونوايا رجال الطرق المتعاونة مع سياسة الاستعمار[1]، ومما لا شك فيه أن الاتجاه الطرقي يمثل المظهر الروحاني للحركة الاستعمارية ومتعاونة معه عن رضا وطوعية، والذي أصبح يشكل حجر عثرة في وجه التطور بل أصبحت كل محاولة إصلاحية تلقى مقاومة عنيفة منهم خوفا على مصالحهم وأصبحوا يرغمون الشعب على السيطرة الاستعمارية والخضوع لها بدعوى أولى الأمر[2].

ومن ثم فإن صيحة العقبي ليست دعوة ذاتية أو شخصية مبينة على اجتهادات خاصة، بل هي دعوة الإسلام كما جاء بها الوحي المقدس كتابا وسنة لذلك لم يهاجم في يوم من الأيام الأعمال الخيرية التي تقوم بها بعض أصحاب الزوايا[3] بل تصدى للذين يستغلون فطرة الشعب بعد أن نصبوا له القباب وتكالبوا على جمع الأموال وتحقيق الرغبات الخاصة فتم كشفهم بقوله:

أولئك عباد الدراهم ويلهم وسيمحقهم ربي وأموالهم محقا[4]

رجال الطرقية ورجال الدين الرسميين فأخذوا يسعون بالوشاية لدى السلطات الفرنسية ضدها، حتى عطلت بأمر حكومي بتاريخ 29 نوفمبر 1925 للمزيد انظر:

Ihedden Zahir ; Histoire de presse indigène en Algérie, des origines jusqu'en 1930, Entreprise national du livre Alger,1986,p38

[1] – أحمد مريوش، الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية،ص71.

[2] – أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر،ط2، دار الكتاب الجزائر، د ت، ص352 .

[3] – مريوش، المرجع السابق،ص71.

[4] – صالح خرفي، صفحات من الجزائر دراسات ومقالات من 1962-1972، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1973، ص286.

كما حارب فيهم الأخلاق الفاسدة من الفجور والاختلاط في الولائم ومبدأ الخضوع للشيخ حتى أصبح شيخ الطريقة أكبر مكانة في نفس السواد المغفل من الله.

ولم تقتصر جهود رجال الإصلاح في محاربة انحرافات الطرقية على هؤلاء الشيوخ بل كان عمل موحدا شارك فيه الجميع بالقلم واللسان[1]، فلقد ألف أبو يعلى الزواوي كتابه الإسلام الصحيح وكتب مبارك الميلي كتابه الذي حارب فيه ضلالات الطرقية سماه رسالة الشرك ومظاهره كما ، كما ساهمت صحف الجمعية في دحر معتقدات الطرقية، وبفضل جهاد واجتهاد العلماء المنظم، استطاعت جمعية العلماء محاصرة الطرقية وأضاليلها "فخمدت نيران أهل الزردة، وزالت عن البلاد حمى الدراويش وتخلصت منها الجماهير، بعد أن ظلت طوال خمسة قرون ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير، ومع الخرافات والأوهام.[2]

3-1-4 - نقد النزعة الاستغلالية لدى مشايخ الطرق

يتهم العلماء مشايخ الطرقية بأنهم ابتدعوا عادات الزيارات والهدايا، وبذلك استجلبوا لأنفسهم، وسخروا لمصالحهم الخاصة بعض العادات الاجتماعية والاقتصادية مثل التويزة فكان حق الشيخ قبل الزوجة والأولاد، والآباء والأجداد، وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير.[3]

---

[1] –رد العقبي عندما طلب المناظرة وتحديد النقاط المراد الجدل فيها فقال: (وأي نقطة تريدون منا تعينها لكم والعلم كله عندكم في نقطة واحدة وهل الكون إلا نقطة...) الشهاب العدد 100 السنة الثالثة 8 ذي الحجة 1345 الموافق 9 جوان 1927م

[2] –مالك بن نبي ، شروط النهضة، ط3، دار الفكر بيروت لبنان، 1423هـ–2002م،ص28

[3] –سجل مؤتمر، ص34

4-1-4 - نقد الطرقية للحركة الإصلاحية

رفضت الطرقية دعوة العلماء فكتب البوديلمي كتاب اسماه ((إماطة اللثام عما نشا في الحضارة التلمسانية من الشكوك والأوهام)) وهذا الكتاب كان موجه إلى الشيخ الإبراهيمي يطلبه الإجابة عن عدة مسائل تناولها البشير الإبراهيمي بدروسه بتلمسان.[1]

كما نقدوا التعاليم التي جاء بها العلماء، كمنع زيارة الأضرحة والمقابر وقراءة البردة أثناء السير في الجنازة واتهموا العلماء بتشويه الإسلام وإدخالهم تعديلات على القرآن والسنة ورفض دعوة العلماء المطالبة بفصل الشؤون الدينية عن الدولة، وتسليم المساجد والأوقاف لجمعية دينية وطنية، وتعبر مجلة المرشد لسان الطريقة العليوية عن هذا الرفض بقولها "فإنه ولا شك ولا ريب أن الأحباس الجزائرية إذا تجردت عن الحكومة فلا تقوم بأكثر مما يقوم به غيرها...وعليه فمن الحكمة والسداد أن تبقى الأحباس بيد الحكومة.

جاء في مجلة المرشد أيضا: "إن صلواتنا وعقائدنا بخلاف الشيخ الإبراهيمي فهو زيادة على أنه يريد أن يحتكر علينا أموال الأحباس ويتصرف فيها كما يريد، فهو يهوى أن يحتكر معها أيضا عقيدة الأمة وصلواتها، وشاهدنا على ما ذكرناه، فهو لا يستعمل معلما بمدرسته

---

[1] –من المسائل التي طلب الشيخ البوديلمي من الشيخ الإبراهيمي نذكر بعضها:
مخالفتك للإجماع بقولك: أن آدم لم يخرج بل أخرج من عدن باليمن
- حكمك على أبوي النبي صلى الله عليه وسلم بالنار
- تشريك المتوسلين بالأنبياء والأولياء الصالحين
- تكفيرك للزائرين للقبور بدعوى أنهم يعبدون من دون الله
- تحليلك القليل من الربا
- إنكارك لكرامة الأولياء ومعجزات الأنبياء. لقد وجه إلى الشيخ البشير الإبراهيمي ثلاثة وعشرين سؤالا وشرط عليه أن نقبل الجواب في العبادات إلا بما قرره مالك وأتباعه ولا نقبل الجواب في العقائد إلا بما قرره الأشعري وأتباعه= =للمزيد انظر ابن العقون: المصدر السابق، ص 228

الإصلاحية إلا إذا كان على العقيدة الوهابية والمشرب الإصلاحي من لعن الصالحين وتسفيه عقيدتهم."[1]

نشرت جريدة لسان الدين[2] مقالا ترد فيه على دعوة البشير الإبراهيمي تحت عنوان "ويل للأمة التلمسانية من الأعرج والفكر الأعرج" بإمضاء طرقي وكان شديد اللهجة "من شر الأفراد الذي ابتلى بهم الإسلام والمسلمون في قطرنا الجزائري هو داعية الضلال بتلمسان ذلك الأفاك الأثيم.. ـ يقصد الشيخ الإبراهيمي فرق بها جمع المسلمين وشتت شمل المؤمنين وأثار العداوة والبغضاء.....لا نلومك لأن دينك دين الماسونية الصهيونية الإسرائيلية فهنيئا لك به وحدك لنا ديننا ولك دينك".[3]

أما جريدة المعيار كانت أشد لهجة حيث جاء في افتتاحية الجريدة مقالا طويل يكيل أوصاف السباب والشتم حيث يقول صاحب الافتتاحية ((...وإن لنا للذة في كل تضحية نقدمها لأننا نعتقد أننا بعلمنا نطهر الوطن الجزائري وصحافته النزيهة ومعاهدتها العلمية من القذر الذي مازال الخونة الأبالسة و المهذارون والمنافقون والمطرودون والسخفاء والديوثون والموصومون بكل عار، أن يلطخوا به كل ما يستوجب الاحترام والتقديس...)).[4] كما رفضت الطرقية

---

(1) –أحمد الخطيب، المرجع السابق،ص185

(2) –جريدة لسان الدين تأسست في الفاتح من جانفي 1923 لمديرها الحسن بن عبد العزيز ومحررها مصطفى الحافظ وهي جريدة دينية اجتماعية سياسية تصدر أسبوعيا بالعاصمة وهي تعبر عن لسان الطريقة العليوية وتوقفت بعد صدور حوالي 12 عدد، وفي سنة 1937 عاد إلى الظهور من بالعاصمة ثم تحولت إلى مستغانم بعد أن أصبح امتيازها قادة بوجلال بدلا من الحاج عدة بن يونس واستمرت حتى قيام الحرب العالمية الثانية. انظر: محمد ناصر: المرجع السابق، ص 51. وكذلك آيت عجلت: صحف التصوف الجزائرية من 1920م–1995م، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1422هـ–2001م، 51 وما بعدها

(3) –عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، ص290 وما بعدها

(4) –جريدة المعيار، العدد الأول،السنة الأولى،20شعبان1351هـ– 1932/12/18.نقلا عن ابن العقون،

دعوة العلماء لتعليم الفتاة تعليما عصريا، واعتبرت أن تعليمها يسئ إلى سلوكها، وكل ما يمكن آن تتعلمه هو بعض الآيات القرآنية، ثم يوجهن نحو بيوتهن للقيام بالأشغال المنزلية.[1]

5- موقف الإدارة الفرنسية من الطرفين

لقد تعاملت سلطات الاحتلال مع طرفين بطريقة متباينة فتعاملت مع الجمعية منذ تأسيسها تعاملا بادرا وضعيفا لم تقرأ حساباتها المستقبلية المطلوبة، خاصة بعد السيطرة رواد الإصلاح على رئاسة الجمعية ومكتبها الإداري، وبعثها اللغة العربية وتجديد العاطفة الدينية الصادقة..لأنها كانت تعتبر كغيرها من الجمعيات الدينية الأخرى، في نظره.فاعتمدت الليونة والترغيب لكسب رئيسها الإمام ابن باديس وكسب أعضائها من ورائه، في صمت ومن غير إحداث أي ضجيج منبه، وفاضح ومؤلم. وهو الأسلوب الذي طبقته في معظم الأوقات مع الجمعيات التي سبقت جمعية العلماء. حتى إذا لم ينجح هذا معه ومعها، عمدت إلى الترهيب والترغيب والتنكيل والمضايقات وفرض إجراءات تعسفية في حق الجمعية ورجالها، وأعمالها ونشاطاتها المختلفة وفروعها.[2]

فبعد تأسيس الجمعية رسميا، وبروز خطها الإصلاحي الجهادي، استدعى الوالي العام "ميرانت" بقسنطينة الإمام ابن باديس ووالده مصطفى بن باديس وعرض على الشيخ أن يختار لنفسه أية وظيفة يرغب فيها مفتي أكبر.. أو قاضي قضاة مثل على شرط واحد هو أن يتخلى عن رئاسة جمعية العلماء، قائلا له:" يا شيخ أترك عنك هذا العار أخرج من هذه الحشومة، ودع هذه الجماعة المسكينة التي جمعها عدو فرنسا بالنادي، فليس هؤلاء الرجال

المرجع السابق، ص272

(1) -أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص185

(2) محمد الطاهر فضلاء:دعائم النهضة الوطنية الجزائرية،ط1،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،1998 ، ص.102-104.

رجالك، وليست هذه الحثالة من الطلبة ممن يفتخر العالم بالانتساب لهم، أو أن يكون رئيسا عليهم "وأمام هذا الاقتراح تأجج شعور الإمام ضد الوالي، وحاول الرد عليه، لو لا وقوف والده وبكائه وإلحاحه بقبول العرض بسبب أن الأسرة مقبلة على الإفلاس وأن بقبوله تعلن الحكومة الفرنسية استعدادها لعملية الإنقاذ، بإضافة مساعدة مالية قصد تحسين الأوضاع الفلاحية والاقتصادية.[1] واقتضت حكمة الإمام ابن باديس، أن طلب فرصة قصيرة للتفكير والاستخارة حتى الصباح الموالي.. وخرج الإمام من دار الولاية العامة، متأثرا منفعلا باكيا مدركا السر الإلهي في يتم الرسول صلى الله عليه وسلم منذ صباه الأول، يقول "اليوم فقط عرفت السر، وعرفت معه كيف يكون الابتلاء بالنعمة وبالنقمة معا، وبالخير والشر معا وصدق الله القائل" (□ □ ى ى ي ي □ □ □ □ □ □ □ □)[2]

وفي اليوم الموالي كتب الإمام ابن باديس جوابه إلى "ميرانت" قال له فيه:" اقتل أسيرك يا ميرانت، أما أنا فمانع جاري !اقتل يا ميرانت مصطفى بن باديس، واقتل معه عبد الحميد بن باديس، واقض على كل أسرة ابن باديس، إن منحك الله هذه القدرة، ولكنك لن تصل أبدا إلى قتل جمعية العلماء بيدي، [3]لأن جمعية العلماء ليست جمعية عبد الحميد بن باديس، وإنما هي جمعية الأمة الجزائرية المسلمة. وما أنا فيها إلا واحد، أتصرف باسم الأمة كلها. ومحال أن أتصرف تصرفا أو أقف موقفا يكون فيه قتل الجمعية على يدي. أقول هذا وحسبي الله ونعم الوكيل". ولما لم ينجح أسلوب الترغيب وإظهار الود والليونة الشكليين مع الإمام ابن باديس ولم يفلح المدح والإطراء من عزيمته، تغيرت سياسة السلطات الاستعمارية وتمادت في أسلوبها الترهيبي بشتى ومختلف الطرق والأساليب، وحاولت تفجير الجمعية من الداخل، واحتوائها وتحريفها عن مسارها ومنهجها الإصلاحي الجهادي، إذ حركت أعوانها

---

(1) –ابن العقون، المرجع السابق، ج3،ص156

(2)– الأنبياء:35.

(3) –محمد الطاهر فضلاء، دعائم النهضة الوطنية الجزائرية،ط1، دار البعث قسنطينة، الجزائر 1968م،ص102–104

من الطرقيين، وذلك عند إعادة انتخاب المجلس الإداري في سنتها الثانية في 22 ماي 1933م[1].

لقد كان هؤلاء الطرقيين وأصحاب بعض الزوايا من العلويين، الشاذليين والقادريين ضمن الأصناف الذين ضمتهم الجمعية عند تأسيسها، كما ذكر من قبل ولكن " ما كان من تلك الجماعات، إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر، وأسرت لها الكيد في الباطن"، وداومت على حضور جلساتها ودوراتها "لا خدمة لغايتها، ولا إعانة لإداراتها، ولكن عينا عليها فاجرة، تبلغ وتشي إلى إدارة الأمور الأهلية".[2] وذلك لأن إدارة الاستعمار هي التي حرضت الطرقيين على سلوك هذا المسلك والقيام بهذا العمل، مخوفة إياهم من الجمعية التي ستقطع عنهم الزيارات وإراداتها المالية، فتتوقف عليها رفاهيتهم، ويقوم على أساس نفوذهم.

فأسسوا جمعية علماء السنة الجزائريين (التي تأسست رسميا في 15 سبتمبر 1932م) وضمت إليها رؤساء الزوايا، والموظفين الدينيين المرسمين في الإدارة الحكومية. وقد هيئ الاستعمار لهم كل ما يحتاجون إليه، وعين على رئاسة الجمعية الجديدة "المولود بن الصديق الحافظي" الذي كان –من قبل– يهيئه ويعده "ليخلف ابن باديس في رئاسة الجمعية إذا تحقق لهم تفجيرها وتحريفها مستغلين في ذلك حبه وتهالكه على الشهرة والرئاسة".[3]

ورخصت لهم الإدارة إصدار الصحف وجرائد تمثل اتجاههم، وتنطق باسمهم وتبلغ خطابهم، فتأسست كل من "الإخلاص" أصدرها تجمع الزوايا في 1932/12/14م تحت إشراف رئيس المولود بن الصديق الحافظي[4]، و"المعيار" صدرت في 1932/12/18م مديرها هراس

---

(1) –سجل مؤتمر جمعية العلماء، ص.58 .

(2) –مبارك الميلي، المصدر السابق، ص268 .

(3) –أحمد حماني، المرجع السابق، ص320 .

(4) –ولد الشيخ المولود الحافظي عام 1302هـ–1870م في قرية بن حافظ بني ورثيلان ولاية سطيف حاليا،درس في مسقط رأسه وحفظ القرآن الكريم مبكرا وأتقن اللغة العربية والفقه =والحساب كمل دخل

مصطفى هي امتداد للإخلاص و"البلاغ" كانت من قبل ،واتخذت هذه المنابر الإعلامية وسائل وقنوات لمهاجمة العلماء عامة، والإمام ابن باديس خاصة، فردت عليهم الحركة الإصلاحية بتأسيس "الجحيم"[1] للرد على بلاغ الطرقيين" ولكن الإدارة بادرت بإغلاقها بعد نحو شهر فقط عن بروزها.

المدرسة الرسمية لتعلم اللغة الفرنسية. رحل إلى تونس قبل الحرب بالزاوية بسبب التحاق الشيخ الحافظي بهيئة التدريس فيها، وأحدث تغييرات حسنة في طريقة التدريس وأدخل فن الأدب والرياضيات ضمن برامج الزاوية، ثم انتقل الشيخ الحافظي إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن الحملاوي بالعثمانية خلال الحرب العالمية الأولى لمواصلة طلب العلم، التحق بجامع الزيتونة ثم رحل إلى مصر والتحق بالأزهر الشريف ودرس علوم الشريعة، أصول الدين، التفسير، الحديث، الفلسفة، اللغة، الأدب، الرياضيات والفلك التي تفوق فيها وكان نادرة زمانه في الميدان. تحصل على شهادة العالمية ثم عاد إلى أرض الوطن في 1918، ليخدمه بعلمه فتجند في صفوف المناضلين بالفكر والقلم، ففتح داره لطلبة العلم، فنشر العلم وغرس الروح الوطنية في نفوس طلبته، وبعد سنوات قضاها في التدريس في بيته انتقل إلى زاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي بجرجرة فتضاعف عدد طلبة العلم غرب مدينة قسنطينة حيث أسندت إليه مهمة التعليم فيها وأحدث تحسينات في برامجها أيضا وفي هيئة تسييرها، وبعد مدة عاد مرة أخرى إلى المعهد اليلولي سنة 1947م ومما أحدثه الشيخ الحافظي الاحتفال بالمناسبات الدينية ليربي طلبته على الخطابة والكتابة في هذه المناسبات، وأحيانا كان يكتب تمثيليات دينية ليمثلوها في هذه المناسبات وهذا يدل على الوعي والحس الفني لدي الشيخ الحافظي. انظر: مولاي عبد القادر: أقطاب الإصلاح في منطقة القبائل، أطروحة لنيل الدكتوراه جامعة الجزائر 2007م، ص166

ومما أحدثه الشيخ الحافظي الاحتفال بالمناسبات الدينية ليربي طلبته على الخطابة والكتابة في هذه المناسبات، وأحيانا كان يكتب تمثيليات دينية ليمثلوها في هذه المناسبات وهذا يدل على الوعي والحس الفني لدي الشيخ الحافظي. انظر: مولاي عبد القادر: أقطاب الإصلاح في منطقة القبائل، أطروحة لنيل الدكتوراه جامعة الجزائر 2007م، ص166

[1] –إن جريدة الجحيم كانت تطبع في مطبعة بن باديس ليلا بقسنطينة دون علمه. وأن العمال يقومون بذلك خارج أوقات عملهم، وفي سرية تامة لأن الشرط الأساسي بينهم وبين أصحاب الجريدة هو أن لا يعلم الإمام بذلك (ويبدو للباحث المتأني أنه من الصعوبة أن يخفى عن= =بن باديس ذلك، وهو معروف بذكائه وحنكته السياسية البارعة وقدرته التنظيمية الفائقة، وبصفة عامة فقد اطلعنا كما أشرنا

نظرا لمحتواها ولغتها، فإنها لم تعلن عن مصدريها، ولا عن مطبعتها. وبحثت الداخلية عن طابعيها، حتى توصلت إلى اسم المطبعة، وقدمتها للمحاكمة وغرمتها"[1] وإثر هذه الحملة أصدرت جمعية العلماء المسلمين صحيفة باسم "السنة النبوية المحمدية" في 3 أفريل 1933م (جريدة أسبوعية يشرف عليها الإمام ابن باديس، ويرأس تحريرها الأستاذان الطيب العقبي والسعيد الزاهري)".[2]

ولعل الدافع الحقيقي لإبراز هذه الجريدة ولإصدارها هو الوقوف بحزم أمام النشاط المعادي للعلماء الذي تمارسه جمعية السنة المنشقة عن جمعية العلماء المسلمين، وليس أدل على نية حركة ابن باديس هذه من اتخاذها اسما لها "السنة النبوية" وهو "تعريض واضح لمن أطلقوا. على أنفسهم علماء السنة، وهو يسيرون في ركاب الاستعمار".[3] والذين سعوا لديه من أجل إيقافها عن الصدور فما كان من رجال السلطة، إلا أن أرسلوا الشرطة صبيحة أول جويلية

سابقا على الأعداد الكاملة لهذه الصحيفة النادرة التي لم تتجاوز سبعة أعداد، صدر أولها يوم 30 مارس 1933 آخر عدد يوم ماي 1933 وهو العدد السابع. انظر محمد الأخضر عبد القادر السائحي: قراءة جديدة في جريدة الجحيم صحيفة "المجاهد الأسبوعي" العدد:1666 بتاريخ 10 جويلية 1992، ص20 وانظر كذلك ابن العقون: المصدر السابق، ص266 .

(1) –أحمد حماني، المرجع السابق، ص321 .

(2) –ولد محمد السعيد الزاهري عام 1899/1317، في ليانة قرب بسكرة في الجزائر، وحفظ القرآن فيها، واستكمل دراسته الابتدائية على مشايخ الأسرة الزاهرية، ثم قصد الشيخ عبد الحميد بن باديس (لينهل العلم على يديه، فأقام في مدرسته أربعة عشر شهرا، يصفها بقوله: (أقمت عنده بمدرسته زهاء 14 شهرن رأيت فيها من العلم العريض والإطلاع المحيط، واللسان العربي المبين، فما شعرت إلا وقد خلت في دور القراءة من جديد، لا عهد لي من قبل). ثم انتقل للدراسة في جامع الزيتونة بتونس، ذاك بالإضافة إلى ذلك منبع النهضة الأدبية والعلمية. انظر: رغداء محمد أديب زيدان: محمد السعيد الزاهري وكتابه الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير، مجلة التراث العربي–مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب) دمشق العدد 106 السنة السابعة والعشرون – تموز 2007– جمادى الآخرة 1428 هـ، ص 113.

(3) –محمد ناصر، المرجع السابق، ص131.

من سنة 1933م لحجز الأعداد الموجودة منها في السوق وبالتالي توقف صدورها ثم تم إصدار جريدة "الشريعة المحمدية" في 7 جويلية 1933م تحت إشراف نفس هيئة جريدة السنة ونلمس في افتتاحية عددها الأول التي كتبها الإمام ابن باديس، نوعا من التعلق بالجمهورية الفرنسية –آنذاك– وقد يكون هذا الموقف مناورة سياسية يهدف من ورائها ضرب المتربصين بالجمعية، بعد أن حققوا بعضا من أهدافهم الخبيثة حين صدر قرار منع العلماء من الوعظ والإرشاد في المساجد في 16 فيفري 1932م وتعطيل جريدتهم ولسان حالهم بدون موجب قانوني[1].

ورغم هذا الخط صودرت الجريدة في 28 أوت 1933م، بعد حوالي شهر ونصف من صدورها، وعلى إثرها صدرت جريدة الصراط السوي بتاريخ 11 سبتمبر 1933م، ولكنها عطلت هي أيضا في بداية جانفي 1934م. ووصل الأمر بالإدارة في سرعة تعطيل الجرائد إلى "أن الحاكم العام قد أصدر مرة أمرا استباديا بتعطيل كل صحيفة، تصدرها جمعية العلماء مسبقا قبل ظهورها".[2]

وأمام هذا التضييق على جمعية العلماء المسلمين، فسحت الإدارة الفرنسية المجال واسعا لجمعية علماء السنة، لممارسة نشاطها في الميدان، مع كل التسهيلات لمنافسة جمعية العلماء المسلمين ومحاصرة نشاطها، ورغم سعيهم الحثيث في الميدان، وفي المساجد الرسمية، ورغم المساعدات التي كانت الإدارة تغدق بها عليهم، كان مآل هذه الجمعية بالفشل الذريع في محاربة ومواجهة جمعية العلماء "وابتداءا من ماي 1933م، حدثت القطيعة

[1] –الورثلاني، المصدر السابق، ص126.

[2] –حماني، المرجع السابق، ص321.

النهائية بين جمعية العلماء والطرقيين. وتوقفت جريدة "الإخلاص" عن الصدور في ديسمبر 1933م، ومن قبلها "المعيار" في أوائل جوان 1933م[1].

إلا أن الطرقيين وإدارة الاحتلال لم يهنوا بمحاولة إخضاع ابن باديس، ومحاولة تفجير جمعية العلماء المسلمين والاستيلاء عليها، وعزلها بالانشقاق عليها وتشويه صورة علمائها فحسب، بل عمدت علاوة على ذلك إلى إنشاء جمعيات دينية مختلفة، "كالتي أنشأتها في تبسة باسم الجمعية الدينية الإسلامية ووضعت على رأسها معمرا يدير شؤونها، ويوجه أهدافها الخادمة لأغراضها، ولبث الدعاية الكاذبة في عقول العامة من الناس، ومن جملة ما كانت تروجه، أن العلماء المصلحين ينكرون وجود الأولياء، وقد جاؤوا بدين جديد، ومنذ أن ظهرت الدعوة الإصلاحية، انقطعت البركة، وأمسك الله عنا المطر "، ورغم كل هذه المضايقات والإجراءات التعسفية لم تثني من إرادة العلماء وعلى رأسهم الإمام ابن باديس في مواصلة نشاطهم[2].

فبعد تعويض المستشرق "مرانت" بالمستشرق "ميو"، أعادت جمعية العلماء المسلمين في عهده طلبها الرخصة القانونية لإصدار جريدة تكون لسان حالها. فوعدها بالنظر في طلبها وبعد مدة ليست بالقصيرة أذنت الإدارة الاستعمارية للعلماء بإصدار جريدة البصائر في 27 ديسمبر 1935م".[3]

وقد عمدت إلى خطة ذكية مزدوجة ظاهرها مسالمة الحكومة الفرنسية وإظهار الثقة، لكونها حكومة ديمقراطية يسيرها رجال ينتمون إلى الجبهة الشعبية.[4] وباطنها عداوة متحكمة

---

(1) –علي مراد، المرجع السابق، ص174.

(2) –عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص157–158.

(3) –أسبوعية برئاسة الشيخ الطيب العقبي، والسعيد الزاهري، وصاحب الامتياز فيها الشيخ محمد خير الدين

(4) –آثار ابن باديس،ج3،ص117 .

وشديدة للموظفين الرسميين، ورجال الطرق والأحزاب المعادية لجمعية العلماء المسلمين. قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية علمت السلطات الفرنسية إلى مصادرة جرائد الجمعية وفرض الإقامة الجبرية على أعضائها.

6- موقف الطرفين من السياسة الاستعمارية.

لقد لعبت بعض الطرق الصوفية دورا في محاربة الاستعمار والدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية مثل الطريقة الرحمانية والقادرية والسنوسية فكانت مؤسسات اجتماعية خيرية وتعليمية، وخزائن للكتب والتراث ومعاقل لتحصين الرجال وتمرينهم ومقارعة المعتدين، إلا أن البعض الأخر تعاون مع الإدارة الاستعمارية، أثناء المقاومة الشعبية أو خلال نصف الأول من القرن العشرين وأصدروا فتوى عدم جواز مقاومة الشر ومغالبتهم لأن الله زعمهم أقام العباد فيما أراد. بل استمرت في خدمة المستعمر الفرنسي وتأييده، على لسان أحد شيوخ الطرقية والذي سمى فيه أعداء فرنسا من المجاهدين السنة بالأراذل والأوباش الذين ينكرون الجميل[1]، وقال عن فرنسا: أنها حملت عنا ما يثقل كواهلنا من أعباء الملك والسيادة، وحملت الأمن والثروة والرخاء والسعادة، ثم يفتخر بأن جده قد امتنع أن يقبل ألد أعداء فرنسا، ثم عدد أعمال أهل طريقته في سبيل خدمة فرنسا، مما جعل هذه الأخيرة تساعد وتساهم في انتشارها والقيام بتنشيط الدعوة إلى الطرق الصوفية[2]، وهذا ما أكده الرئيس الفرنسي موريس دولافوس بقوله: لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في إفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهما وانتظاما من الطرق الوثنية ولم تقتصر مناصرة النصارى في الجزائر على بعض رجال": الطرقية بل هنالك طرق كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار وكانت تستمد وجودها من فرنسا. بل

---

(1) –التليلي لعجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية (1931–1939)، مج2، منشورات كلية الأدب بمنوبة تونس، 1992 ص 123.

(2) –عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة 1830–1900، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص..232 .

هنالك فيما يخص الحركة الإصلاحية، فرغم تأكيد الجمعية منذ تأسيسها على بعدها عن الشؤون السياسية وإنما هي جمعة دينية تسعى إلى إصلاح الديني والخلقي للشعب الجزائري وهم بذلك يحددون ذواتهم في هذه الجمعية كرجال دين يكرهون العمل السياسي سواء كان هذا من باب القناعة الشخصية، أو من باب الحيطة والحذر والمهارة التكتيكية[1].

وقد أشار علماء الجمعية بأن السياسة غريبة عن حركتهم وبأنهم هم أنفسهم لا ينشدون سوى إصلاح دين و أخلاق المسلمين الجزائريين، وجاء تأكيد على هذه الصفة في قانونها الأساسي أنه "لا يسوغ لهذه الجمعية بأي حال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المسائل السياسية[2]، وقد جاء التأكيد على لسان رجالتها" وربما الأخذ بنصيحة محمد عبده.[3]

لم تكن هذه التأكيدات إلا تظاهرات وتحفظات من قبل أعضاء الجمعية حتى لا تكون تحت سيطرة الاستعمار زلم تكن بذلك أن تتخلى عن جانب من جوانب الإصلاح، فإنها كانت تدرك أن الإصلاح الفعال الذي يجب أن يتحقق في الجزائر لا يجب أن يقتصر على جانب دون آخر وإنما يحب أن يكون شاملا لكل جوانب الحياة والإصلاح في حقيقته قد يبدأ بالثقافة أو الدين أو المجتمع ولكنه في نهاية الأمر يعطي كل مظاهر الحياة في مجتمع بما

---

(1) –عمر فروخ، الاستعمار الفرنسي في أفريقيا، ديوان المطبوعات الجامعية 2007، ص53

(2) –محمود قاسم، المرجع السابق، ص104

(3) –محمد عبده ولد محمد عبده بن حسن خير الله سنة 1849م في قرية محلة نصر بمركز شبراخيت في محافظة البحيرة في مصر، من أم مصرية وأب مصري تركماني الأصل في سنة 1866م التحق بالجامع الأزهر، وفي سنة 1877 حصل على الشهادة العالمية، وفي 1879 عمل مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم وفي سنة 1882 اشترك في ثورة عرابي ضد الانجليز، وبعد فشل الثورة حكم عليه بالسجن ثم نفي إلى بيروت لمدة ثلاث سنوات، وسافر بدعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس سنة 1884م، وأسس صحيفة العروة الوثقى وفي سنة 1885 غادر باريس إلى بيروت، وذات العام أسس جمعية سرية بذات الاسم، العروة الوثقى وللمزيد انظر: أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ط3 مكتبة النهضة العصرية، مصر 1971،ص322 .

في ذلك السياسة[1] وجمعية العلماء ترى أن عالم الدين إذا لم يكن عالما بالسياسة ولا عاملا لها، فليس بعالم وإذا تخلى عالم ديني عن السياسة فمن يصرفها ويديرها فإنها ستنتقل طبعا للجهال.[2]

1-6 موقف الطرفين من التجنيس والإدماج

حارب جمعية العلماء سياسية الاندماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس ونازلت أنصار الحمس ودعاته المقاويل حتى قهرتهم وأخرستهم وقطعت الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة في يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب"[3]، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيده وتعطيلا لسحره، وأثبتت بتلك المواقف الجريئة للجزائر إسلاميتها وحاربت العنصرية التي كان الاستعمار بتغذيها، ويعدها من أمضى أسلحته، لقطع أوصال الأمة فقطعت دابرها، وأثبتت لذلك للجزائر قوميتها العربية. وحاربت أخر ما حاربت لائحة السابع من مارس سنة [4] 1944 بشدة وقوة، وشنعت بها في دروسها وخطبها، وبينت للأمة الدسائس التي تنطوي عليها اللائحة وأنها وسيلة شيطانية إلى الاندماج جاء بها خيبة الوسائل التي تقدمتها.

---

(1) –أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق ،الحركة الوطنية ج2،ص88 .

(2) –بن رحال زبير، عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية (1889–1940)، دار الهدى الجزائر 1997، ص 64 .

(3) –لقد اعتبر ابن باديس الأشخاص المتجنسون بالجنسية الفرنسية كفارا لا يجوز الزواج منهم أو تزوجيهم من النساء الجزائريات غير المتجنسات ولا صلاة عليهم، ولا دفنهم في مقابر المسلمين (أنظر فتوى جمعية العلماء في التجنيس في جريدة البصائر عدد95 السنة الثالثة أكتوبر 1938)

(4) –كانت اللائحة صبغة جديد لمشروع بلوم فيوليت الذي يعترف لنخبة من الجزائريين بحق المواطنة مع احتفاظهم بالأحوال الشخصية الإسلامية: للمزيد انظر سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص273 .

وكتب الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي منددا بسياسة التجنيس قائلا: "إن فرنسا تعمل جهدها لإبادتنا، وإدماجنا، ومحونا، من الحياة كشعب ذي خاصيات، وأمة ذات ميزة، وإنه لمن العجيب حقا أن تريد فرنسا بتجنيسها، محو إنساني كامل، في وقت تمنع فيه القوانين الدولية إبادة أنواع الحيوانات والطيور".

ثم يقول: "إن الله خلق العباد ليكونوا عبيدا له، لا عبيدا لمخلوق آخر، وذلك فإننا لا نسلم في كرامتنا، ولا نتهاون في الخطر الذي يهدد جنسنا وديننا، والله معنا والقوانين العادلة الحكيمة تؤيدنا، وسنخرج بحول الله من الذل إلى العز، ومن الهمجية إلى المدنية، ومن النار إلى الجنة".[1] أما الطرقية فرغم آراءها الصريحة لبعض رجالاتها في تأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية ورفضتها التجنس والإدماج، حيث استنكر الشيخ المولود الحافظي محاولة إرغام المسلمين الجزائريين على التجنس.[2]

إلا أن هنالك من الصحف الطرقية من دافعت عن الطرقيين المتجنسين واصفة إياهم بفرنسيين المخلصين، وتستشهد بما قاله بعض هؤلاء: "إذا كنا أصبحنا فرنسيين فقد أراد الله ذلك، وهو على كل شيء قدير. فإذا أراد الله يكسح الفرنسيين من هذه البلاد فعل، وكان ذلك عليه أمرا يسيرا.. ولكنه كما ترون يمدهم بالقوة، وهي مظهر قدرته الإلهية، فلنحمد الله ولنخضع لإرادته.[3]

---

(1) – العربي التبسي، مقالات في الدعوة، ص56 .

(2) – جريدة البلاغ الجزائري عدد 1354.6.3هـ، 1935.9.6م. نقلا عن محمد الصالح آيت عجلت: صحف التصوف الجزائرية،ص 93

(3) –جريدة الربيليكان 1938/06/22 نقلا عن مجلة الشهاب،ج7، م14.

ويقول آخر: " وأعملوا أن هذه الدولة (أي فرنسا) رحمة من الرحمن، تحث على نشر العلوم وإصلاح ما فسد وقمع أهل البهتان، فلا يمكننا أن نتجاسر، فنلقي العداوة في قلوب حكومتنا، بل نبذل جهدنا في الطاعة والشكر لها، ولمنافعها العظيمة".[1]

ويقول ابن باديس عنهم إن حياتهم لا تكون إلا مع فرنسا الأمر الذي يعني تأييدهم لسياسة الاندماج معها ولقد عبر أحد النواب من الصوفية عن موقفه فقال: (...انه فتش عن القومية الجزائرية في بطون التاريخ فلم يجد لها أثر، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر، وأخبر أشرقت عليه أنوار فإذا به يصيح فرنسا هي أنا حقا...)[2] وهكذا رأي بعض الصوفية الطرقية في سياسة فرنسا شيئا لا غبار عليه، وقبلوا سياسة الاندماج مع فرنسا فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفة فتشت عليك بالله وجدت روحي أنا الله واليوم يقول:

فتشت عليك يا فرنسا وجدت نفسي أنا فرنسا

2-6 سياسة الفرنسة

لقد سعت جمعية العلماء إلى محاربة هذه السياسة بإحياء العروبة بكل ما تحويه من حضارة وثقافة ولغة وقرآن كريم، فكانت العربية سدا حائلا في تحقيق فرنسا لسياستها، والمتمثلة في الفرنسة والتغريب.

ويقول الشيخ ابن باديس في التقرير الأدبي لجمعية التربية والتعليم بخصوص مكانة اللغة العربية "... لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأعز والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين،اللغة العربية ، لغة الدين، لغة القومية، إنها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا،

---

[1] –هو دواجي عبد القادر إمام ومدرس بمسجد شرشال. انظر مجلة الثقافة: السنة الأولى، العدد 6. مطبعة بولعيد، الجزائر، نوفمبر 1972، ص33

[2] –ابن باديس، المصدر السابق،ج1،ص 308

وهي وحدها المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، وكتب في جريدة البصائر تحت عنوان الله للإسلام، والعروبة في الجزائر[1].

أما الطرقية فرغم دفاعها عن اللغة العربية إلا أن السواد الأعظم من الطرق الدينية والزوايا التي اتسمت آنذاك بخمول وجهل ودروشة شيوخها واستغلالهم لمريدهم، وإليهم ينسب عموما تراجع الثقافة العربية الإسلامية، وتفشي ظاهرة الاستسلام والاتكال بل حاربت مدارس الجمعية واتهمت الحركة الإصلاحية بمحاولة إضعاف سمعة فرنسا وتصديهم للزوايا العريقة التي تمثل الإسلام الصحيح.[2]

وطالبوا من الحاكم العام اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لإسكات من يدعو إلى الشقاق وإغلاق كافة الأصوات المعادية لفرنسا إلى الأبد.[3]

ولقد حظيت هذه الطرق بمكانة واسعة عند الإدارة الفرنسية خاصة الطريقة العليوية، وشيخها مصطفى بن عليوة الذي اعتبره أحد الفرنسيين بأنه من فلاسفة العصر واعتبره مرابطا عصريا ويرى أبو القاسم سعد الله أن سبب الانتشار الكبير للطريقة العليوية ربما يعود إلى تحالفها مع الإدارة الاستعمارية لأن الاستعمار يملك سلاح تقييدها أو تحريرها، فالطريقة التي توالي الإدارة وتجاملها وتقدم لها عربون الطاعة والإخلاص، فهي في هذه الحالة تفعل ما تشاء بل تجد الدعم المادي والمعنوي وهذا ما ينطبق على الطريقة العليوية التي تلقت تأييدا ظاهرا وباطنا من طرف فرنسا.[4]

---

(1) –عبد القادر فضيل، محمد صالح رمضان: المرجع السابق، ص88

(2) – أبوالقاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص128

(3) –محمد القرصو، الطرقيون يتصدون لانتشار الإصلاح في عمالة وهران (1931–1935)، الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، منشورات وزارة المجاهدين 2007، ص 214

(4) –سعد الله، المرجع السابق، ص128.

3-6 موقف الطرفين من فصل الدين عن الدولة الفرنسية

أدركت الحركة الإصلاحية بأنه لا يمكن المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية طالما إن مساجد المسلمين وأوقافهم تستغلهم الحكومة الفرنسية، جاءت مطالبها بتطبيق قانون فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية وقد تمثل هذا المطلب بالتحديد في ما يلي[1]:

1-تحرير المساجد برفع يد الحكومة عنها

2- تحرير الأوقاف الإسلامية بإرجاعها إلى المسلمين

3-تحرير القضاء الإسلامي برفع جميع القيود عنه

4-تحرير العبادات من حج وصوم بإبعاد عن شؤونهم.[2]

وكان تركيز الجمعية على هذه العناصر الدينية بالخصوص، لكونها تعتبر المكونات الأساسية للدين الإسلامي، التي وجدت فيها الحكومة الفرنسية غايتها واتخذتها كمدخل لتشويه الإسلام من خلال الأحكام الخاصة بها.[3]

لقد جعلت الجمعية هذه المطلب من ضمن المطالب الرئيسية التي تقدمت بها في المؤتمر الإسلامي المنعقد في العاصمة الجزائرية في شهر جوان 1936.

لهذا سعت جمعية العلماء إلى تحرير الإسلام من يد الحكومة الاستعمارية وكف يدها عنه من خلال تحقيق العدل بين الأديان وتطبيق قانون الفصل على الدين الإسلامي، كما طبق على الديانات الأخرى، ويظهر هذا بوضوح في قول البشير الإبراهيمي: "إن الأديان في الوطن ثلاثة، فمن الواجب أن تعامل معاملة واحدة، وأن المسلمين ومعابدهم أكثر عددا فمن

---

(1) -عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص 234.

(2) -الإبراهيمي، آثار الإبراهيمي، ص53.

(3) -عبد الكريم بوصفصاف، المرجع السابق، ص234.

الإنصاف أن يكون هم القاعدة في المعاملة والأصل في وضع الأحكام، ومادام دينهم مستعمرا فمن العدل أن يكون الدينان مستعمران أيضا".[1]

أما بعض الطرقيين فكان موقفهم من فصل الدين الإسلامي عن الدولة الفرنسية هو رفض الفكرة جملة وتفصيلا، وسعوا بكل جهدهم الوقوف في وجه هذا المشروع لأنهم رأوا فيه ضربا لمصالحهم، وطالبوا من الدولة الوقوف في وجه المشروع ورجالاته، وجندوا وأعوانهم والأئمة الرسميين ونظموا دروسا لعامة الناس استهدفوا فيها العلماء وتعاليمهم ومشاريعهم الإصلاحية ومن بين هذه الدروس.

ذلك الذي القي بسيدي بلعباس، أشرف عليه نائب المدينة كمال رحال، وألقى الدرس ابن كابو شيخ الزاوية الدرقاوية والإمام الرسمي للمدينة، ولإعطاء الدرس الطابع الرسمي حضره الشخصيات السياسية الأهلية والدينية، أما الدرس فكان حول أهمية تعليم البنين والبنات القراءة والكتابة، وبعدها عرج المحاضر على "الشبهات المزعومة التي أصابت الإسلام" وخص العلماء بالجزء الأوفر من هجماته فحذر مستمعيه من العلماء الذين منعوا المسلمين من زيارة المقابر والصلاة وراء الميت ودعاهم إلى محاربتهم، لأنهم حرفوا القرآن والسنة وبعثوا القلق في نفوس المسلمين.[2]

واتخذت معارضة الطرقيين لمشروع فصل الدين عن الدولة الفرنسية شكلا جديدا تماشيا مع تسارع الأحداث وتفاقم الخطر عليهم، فوجهوا للحاكم العام بالجزائر العاصمة رسالة مطولة مؤرخة وممضاة من طرف خمسة عشر شخصا يتوزعون حسب انتماءاتهم السياسية والدينية على النحو التالي:

- سبع نواب بلديين من بينهم شيخ الطريقة الدرقاوية

---

[1] –الإبراهيمي، ج4، ص333 .

[2] –القورصو، مرجع سابق، ص224.

- خمس مقدمين يمثلون الزوايا التالية: الزاوية القادرية، الزاوية الدرقاوية، الزاوية الطيبية، الزاوية التيجانية والزاوية العيساوية
- ثلاث شخصيات محلية

تضمنت هذه الرسالة بعد تجديد عبارات الولاء والإخلاص والحب لفرنسا قدموا لمحة عن

الأوضاع الخطيرة التي تتعرض لها أوساط الأهالي نتيجة ظهور موجة وطنية معادية لفرنسا تتزعمها مجموعة من المثقفين الأهليين الشبان، هدف هؤلاء الشبان هو إضعاف سمعة فرنسا بتصديهم للزوايا العريقة، طالبين من الحاكم العام اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لاجتثاث كل جراثيم الشقاق وإطفاء كافة براثين الدعاية المعادية لفرنسا.[1]

والحصول على المزيد من التأييد المعنوي والسياسي من طرف السلطات للوقوف في وجه المصلحين.

كما طالب بعض النواب الطرقيين من الوالي العام التعامل مع هذه الجمعية معاملة قاسية التي أخذت على كاهلها نشر المذهب الوهابي، فنحن أولا مالكيون وثانيا منذ قرن والأمة الإسلامية متمتعة بحريتها ودينها وعاكفة على دروس علمائها ولم تحدث فيها غوغاء ولا ثارت فيها فتنة عمياء مثل هذه الفتنة.[2]

وكان بعض الصوفية يحضرون الصلوات الدينية الكنيسية والإنشاد الديني وقداس الجنائز أو الزواج والدعاء لحكومة فرنسا المباركة.[3]

---

[1] – القورصو، مرجع سابق، ص 223.

[2] –الشريعة النبوية المحمدية، اعتداءات النواب الجاهلين، ع5، أوت 1933

[3] –سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص.348

7- موقف الطرفين من أحداث السياسة الكبرى في الوطن

1.7 موقف الطرفين من مجازر 8 ماي 1945

إن جمعية العلماء المسلمين لم تكن بعيدة عن مجمل التطورات التي أفرزتها أحداث الحرب العالمية الثانية، فبعد النكسة التي أصابت فرنسا وتقهقرها أمام الألمان.

فإن مواقف الجمعية تجاه فرنسا ظلت صامدة، وواضحة سواء مع حكومة الماريشال بيتان أو حكومة ديغول في لندن وحتى فرنسا فيما بعد، حيث أن ديغول زار الجزائر بهدف كسب عطف الجزائريين وحتى المعمرين، والتي ضمنها في مرسوم 07 مارس 1944م، الذي لم يضف من شأنه جديدا بين الجزائريين لذلك رفضته جمعية العلماء المسلمين، وحافظت على توازنها ومكانتها بين الجزائريين والتعايش مع الأحزاب الوطنية، وهذا من خلال مواقفها المذكورة أنفا تجاه السياسة الفرنسية[1].

ومهما يكن من أمر فإن الجبهة الوطنية الموحدة التي انضمت إليها جمعية العلماء بزعامة الإبراهيمي، قد عقدت اجتماعا هما يوم 06 ماي 1945م على حد قول الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته، بمخزن السيد محمد علي عباس التركي، بحضور كل من فرحات عباس والإبراهيمي ومحمد خير الدين والمدني نفسه، من أجل بحث الأوضاع المستجدة بعد استسلام الألمان في الحرب، وقد تقرر خلال هذا الاجتماع إيفاد وفد إلى كل من تونس والمغرب من أجل توحيد مطالبهما.[2]

---

(1) –حاول هذا المرسوم إفراغ نص البيان من محتواه الحقيقي وجاءت فيه نقطة وهي الأهم متمثلة في منح الجنسية لحوالي 61000م من المسلمين الجزائريين للمزيد انظر: مومن العمري : الحركة الثورية في الجزائر (1926–1954)، دار الطليعة قسنطينة الجزائر 2003م، ص57.

(2) – عبد المجيد بن عدة:الخطاب النهضوي في الجزائر،مرجع سابق،ص72. و انظر أيضا فايد بشير،الشيخ البشير الابراهيمي و دوره في القضية الوطنية،رسالة ما جستير،قسنطينة،1999–2000، ص.100.

وبعد الأحداث والمجازر الدموية التي عرفتها مختلف أنحاء الجزائر وخاصة أحداث 7 ماي 1945 والتي قتلت فيها الشرطة الفرنسية الكثير من المتظاهرين، وفي هذه الأثناء ترأس الإبراهيمي اجتماعا للجنة الوطنية الموحدة بمركز حركة أحباب البيان والحرية في مدينة الجزائر والذي أصدروا بيان تنديد بأعمال الشرطة الفرنسية بلهجة شديدة.[1]

وفي اليوم الثامن من ماي 1945م، قامت قوات الجيش الفرنسي المدعمة بغلاة المعمرين 1945 م في سطيف وخراطة وقالمة بشكل خاص، بارتكاب جرائم يندى لها جبين البشرية جمعاء والتي فاقت في وحشيتها أي تصور ضد أبرياء عزل يطالبون من فرنسا التي كانوا إلى جانبها في الحرب بالأرواح والأموال، أن تفي بوعودها وتنظر إلى مطالبهم بعين الود والاحترام، لكن أين موقع فرنسا من الوفاء بالوعد واحترام العهود؟ ومكافئة من يضحي في سبيلها؟ وقد كان وقع الصدمة على الجزائريين عنيفا[2].

فكان رد رجالات الجمعية وخاصة رئيسها الإبراهيمي، الذي انتفض انتفاضة كبرى بقلمه السيال الترجمان الوفي لتلك الثورة التي امتلكت نفسه، إذ وصف ما إرتكبته فرنسا من مجازر في حق الأبرياء وإحراق لقراهم، وإتلاف ممتلكاتهم أعمالا لو شهدها فرعون لتبرأ منها وأفتخر بعدم ارتكابه لها[3]، وكل ذلك جزءا لجميل الجزائريين الذين لبوا نداء النجدة والاستغاثة، فقاتلوا مع فرنسا وساهموا بقسط وافر في تحريرها من الغزاة الألمان تاركين ورائهم أهلهم وأبنائهم تحت رحمة الجوع والفاقة والمرض، وتشريد الأهل وانتهاك الأعراض واغتصاب الأموال[4] وقد اعتبر الإبراهيمي تلك المجازر وصمة عار ستبقى تلطخ جبين الحضارة الفرنسية مهما طال الزمن، وعبر عن ذلك بقوله: "أما والله لو أن تاريخ فرنسا كتب بأقلام من

---

(1) –أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص121

(2) –عامر رخيلة: 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية،د م ج، 1975،ص 72

(3) –آثار الإبراهيمي، ج3، ص336

(4) –البشير الإبراهيمي، ذكرى 8 ماي، البصائر ع 35، أوت 1948

نور وبمداد من عصارة الشمس في لوح منحوت من صفحة القمر، ثم قرظه عشاقها المتيمون باللؤلؤ المنثور بدل القرض المشعور، والشعر المنثور ثم كتب آخره هذا الفصل المخزي بعنوان "مذابح سطيف وقالمة وخراطة" لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كله أنه وصف ما بعده وصف يعكس الجرح العميق الذي تركته مجازر 8 ماي 1945م في نفسية البشير الإبراهيمي[1].

أما الطرقية لم تحرك ساكنا ولم تقم جرائدها التي كانت موجودة آنذاك كجريدة البلاغ من إصدار ولو بيان رغم أنها كانت لها موقف المؤيد للقوات الفرنسية المدعمة بقوات الحلفاء ضد الألمان وأنصارها وكانت لها مقالات عدائية صريحة للنازية واعتبرتها دكتاتورية وعنصرية وظالمة.....إلا أنها لم تبد حتى تأسف على دماء المواطنين الجزائريين العزل التي راح ضحية العنف والظلم والاستبداد ، ولا نجد للصحيفة أي تعرض لتلك الأحداث فتجاهلتها ولم يكن لها موقف أو تعليق بشأنها، وهذا مما يدل على الجبن والخوف من الانتقام ودليل واضح على إحكام السلطات الاستعمارية على كل صغيرة أو كبيرة تنشرها البلاغ وعلى رجالاتها والذين كانوا معظمهم طرقيين فبذلك كان موقف بعض الطرقية وصحفها من أحداث 8 ماي 1945م موقفا سلبيا.[2]

[1] –بشير فايد، الشيخ البشير الإبراهيمي، ودوره في القضية الوطنية (1920–1965)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة قسنطينة 1999–2000، ص 100.

[2] –آيت علجت، المرجع السابق، ص .101 .

الفصل الخامس
القوانين الفرنسية في مواجهة المد الإصلاحي

- الصراع ضد الطرقيين والموظفين المدنيين الرسميين

-قرار رينيه

-قرار شوطان

-الأوضاع في الجزائر عشية قيام الحرب العالمية الثانية

-رفض العلماء تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية

1- الصراع ضد الطرقيين والموظفين المدنيين الرسميين

من المعروف أن أتباع الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية* وغيرها لعبوا دورا هاما في محاربة الاستعمار منذ بداية الاحتلال وحتى أوائل القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشري الميلادي) ولكن الاستعمار ما فتئ يحاول التقرب من هذه الطرق للسيطرة عليها وتماما وكانت وسيلته في ذلك شراؤهم بالمال والمناصب من قواد وأغوات وباشاوات[1] وغير ذلك حتى إذا بدأت حركة الإصلاح الديني في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي) وجدت من هؤلاء عداء كبيرا وفي الذي عانى الشعب الجزائري كله من حالة اقتصادية سيئة جدا كان الطرقيون في بحبوحة من العيش، فكان الانضمام إلى معسكر الإصلاح يعني التنازل عن كل الامتيازات وعن رفد العيش، وقد أوضح ذلك أحد الشيوخ الزوايا وهو عبد القادر القاسمي بن بلقاسم شيخ زاوية الهامل قرب بوسعادة (ولاية الجزائر) في رسالة بعثها إلى الحاكم العام في الجزائر يقول فيها: "إن السبب لهذا العداء الغير متوقع والذي لا مبرر له هو حسد هؤلاء العلماء لقادة الزوايا لأنهم لا ينعمون بالحياة الثرية ولأنهم لا ينالون الاحترام والتقديس في كل مكان، ونقترح فتح مدارس عربية ليجد هؤلاء العلماء وظائف لهم يتعايشون منها.."[2]

بالطبع لم يكن هذا السبب هو الذي من أجله حارب العلماء الطرقية رغم أن العلماء كانوا يطالبون بإصلاح أحوال الشعب الجزائري الاقتصادية، لكنهم بالإضافة لذلك كانوا يحاولون إنقاذ الأمة من الخرافات والدجل والسير على ركاب الاستعمار من أجل لقمة العيش، وقد صرح العلماء في كتاباتهم بأسباب الخلاف فجاء في سجل المؤتمر الخامس للجمعية:" وأصبحت مقاليد العامة والدهماء – وهم معظم الأمة المحمدية – في أيديهم انظر في أي سبيل صرفوها أنهم بعد أن أفسدوا فطرتها وأماتوا ما فرسه الإسلام من فضيلة (هكذا)(فضيلة) وفككوا كل ما حكم بينهما من روابط أخوة وراضوها على الذل والمهانة

*–الأمير عبد القادر الجزائري والمقراني والحداد وبوعمامة وأولاد سيدي الشيخ ولالا فاطمة وغيرهم.

[1] – عبد القادر خليفي :سياسة التنصير،مرجع سابق،و أيضا مازن صلاح مطبقاني:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية1931–1939،ص.130.

[2]– Kassimi Abdel Kader Ben Cheikh Belkacem Cheikh a la Zaoui du Hamel , Bou Saada à Monsieur le Gouverneur Général de L'Algérie, Alger le 7 Sept. 1936

والخضوع وسدوا عليها منافذ النور فاستقامت لهم على ذلك، فرقوها فرقا وتسموها إلى مناطق نفوذ يتزاحمون على استغلالها واستعمارها وأغروا بينها العداوة والتضريب والبغضاء[1] .

كما ألف الشيخ مبارك الميلي كتابا بعنوان "رسالة الشرك ومظاهره" أوضح فيه مصائب الطرقيين فيما يلي بعض منها:

1-التوسط بين الله وعباده في قبول التوبة.

2-الترفع عن التكاليف الشرعية والترخيص لأتباعهم في إتباع الشهوات وأهوائهم.

3-بث الجمود في الناس وتلقيح غفلتهم ثم حثهم على زيارتهم والرحلة إليهم لاستدرار أموالهم .

4-الاعتماد في دينهم على الخرافات والمنامات[2].

ومما يلفت النظر أن الحرب التي أعلنها العلماء ضد الطرقية إنما كانت موجهة للاستعمار الذي كان يؤيد الطرقية ضد حركة الإصلاح، يشير إلى ذلك أحد المؤرخين بقوله: " فالطرقيون الذي حاربهم العلماء هددوا بواسطة امتيازاتهم العائلية أن يكونوا سندا للإدارة التي طالبوا منها حمايتهم" [3] ويردد هذا القول أجرون " أصبحت كلمة مرابطين تدل على الجهل والتخلف وكذلك أصبحت تعني المؤيدين للاحتلال والإدارة الفرنسية"[4] ويؤكد ذلك ما جاء في تقرير مركز الإعلام والدراسات بقسنطينة في شهر جمادى الثانية 1358هـ (يونيه 1939م) انه عندما بدأ الصراع بين الطرقيين والعلماء، كان صراعا لا هوادة فيه ولا رحمة ليس فقط لأن الطرقيين مبتدعون في الدين بل لأنهم متهمون بالإخلاص في تعاونهم مع فرنسا وذلك يخالف العقيدة الإسلامية ومخالف أيضا لأفكار الجامعة الإسلامية[5]. ويذكر التقرير نفسه أن الطرقيين كانوا حتى عام 1351هـ (1932م) - وهي السنة التي بدأ فيها

---

(1)- سجل مؤتمر جمعية العلماء، مرجع سابق،126.

(2) - مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، (الطبعة الثالثة، قسنطينة، دار البعث 1402-1982م،ص273-281.

(3)- Mohfoud Kaddache, Histoire Du Nationalisme Algèrienne, op,cit.,P338.

(4)- Ageron, Histoire D'Algérie op,cit.,P332.

(5) - S.P.I.D.C.- AGG 10H88

التحالف بين النخبة والعلماء – يسيطرون على تسعة أعشار مقاعد المجالس المحلية على كل المستويات وأربعة أخماس المناصب القيادية وثلثي الوظائف في الإدارة الفرنسية[1].

وقد اعترف محمد سعيد الزاهري بتأييد فرنسا للطرقيين حيث يقول " قد كنت أكتسب ضد الطرقيين بقوة وشدة حينما كانت الإدارة تتولاهم برعايتها وكفالتها وتسندهم بالنفوذ والنقود أما اليوم فليس من الرجولة ولا من الإيمان أن أحاربهم بعد أن تخلت عنهم الرجعية الإدارية وأصبحت تسند وتتولى برعايتها وكفالتها قوما آخرين"[2]. وتأتي أهمية شهادة الزاهري أنه كان من العلماء الذين ساهموا في إنشاء جمعية العلماء وكان عضوا نشطا فيها حيث رأس تحرير صحفها الأولى مع العقبي (السنة والشريعة والصراط) ولكنه انحرف فيما بعد وأصبح يؤيد الطرقية والشيوعية أيضا.

وقبل أن ندرس مراحل الصراع بين الطرقية ومؤيديهم من الموظفين الرسميين من علماء الإصلاح نورد ما ذكرته الوثائق الفرنسية عن الطرقية، ففي تقرير أعده مركز الإعلام والدراسات بقسنطينة نجد ما يلي:

"كان الطرقيون يهدفون في البداية إلى تجميع الأتباع حول رجل زاهد ولكن سرعان ما تحول هذا الهدف إلى التشبه بالديانات الأخرى كالجماعات التي يقدس فيها راهب معين (شيخ طريقة أو مرابط) والذي حل محل عبادة الله الواحد[3].

---

(1) – S.P.I.D.C.– AGG 10H88

(2) –البصائر العدد 114 في 20 ربيع الأول 1357هـ– 20 مايو 1938م نقلا عن الوفاق العدد 6 (دون تاريخ).

وتشير إحدى الوثائق الفرنسية أن الزاهري أصبح مناضلا شيوعيا وتولى تحرير الصفحة الإسلامية في جريدة وهران الجمهورية Oran Republican ومن ثم تحالف مع الطرقية لمحاربة الإصلاح. وهذه الوثيقة هي: .Préfecture D'Oran

Center d'information et d'études No. 82: Note sur le block Des Organisations Musulmanes De Tlemcen. Oran le 12 Juin 1937 (09H46).

(3)–S.P.I.D.C AGG 10H88[15]

« Destines a grouper primitivement les élèves, les parents oules amis de tel (Saint homme), les conférées n'ont pas Trade a deviner, suivant en cela l'example de ce qu'on observe dans les autres religions des associations ou le culte du « Murbout » remplaça

وفي تقرير آخر لنفس المركز يذكر أن الطرقيين أرادوا زرع بذور الفتنة بإدخالهم بدعا جديدة غير مقبولة مثل عبادة الأمكنة والأشخاص وغير ذلك من الخرافات[1] ويقول تقرير ثالث أن الطرقية تعني الجهل والتأخر وموالاة الاحتلال والإدارة[2]. وقد ذكر أحد المؤرخين المعاصرين للفترة المدروسة أن الحكومة الفرنسية تمكنت من استجلاب الطرقية إلى جانبها فتمدها بالمساعدات وتحميلها، فكان من الطبيعي في نظر العلماء أن تصبح خدمة الطرقية خدمة للأجنبي ودعائمه[3].

من الصعب الفصل بين الطرقية والموظفين الدينيين الرسميين لأنهم عملوا معا على محاربة الإصلاح ، وأول هذه المواقف كان بمناسبة الاحتفالات بذكرى مرور عام على الاحتلال الفرنسي للجزائر عندما تقد غلام الله محمد شيخ زاوية سيدي عدة* " مقترحا الإبقاء على سيطرة فرنسا على الشؤون الدينية الإسلامية بالرغم من أن القانون الفرنسي في 1325هـ (27 سبتمبر 1907م) ينص على فصل الدين عن الدولة وقد كانت مبررات غلام الله أن هذا القانون لا ينطبق على الإسلام كما ينطبق على المسيحية واليهودية اللتين كانتا ديانة الدولة من قبل، كما أن الإسلام "يرتبط بالمسلمين ماديا واقتصادية ملازما لحركاتهم وسكناتهم لا ينفك عنه إلا من خرج وتجنس بغير جنسيته"[4].

وفي نفس المناسبة وقف مفتي قسنطينة المولود ابن الموهوب أما رئيس الجمهورية قاسطون دوميرق في 8 ذي الحجة 1348هـ (7 ماي 1930م) يقول:" سيدي رئيس الجمهورية أتشرف بأن أقدم لكم بالنيابة عن أصحاب الوظائف الدينية تحياتي الاحترامية فهذه عواطف أملاها على الدين الإسلامي الذي فرض على معتنقيه الانقياد لكل حكومة

---

progressivement ce lui qui déviant resservie a « Allah Saul .

(1) -L.O.A.R AGG 16747

(2)- L'Année Indigène Algérienne 1937 Vue du département d'Alger 1937(10H88[19])

(3) –جوليان، أفريقيا الشمالية تسير، ص27

*غلام الله محمد بالإضافة إلى أنه كان شيخ زاوية فقد كان عضوا في النيابات العامة الجزائرية وعضوا بالمجلس العمومي والمجلس البلدي بتيارت وزاوية "سيدي عدة" قريبة من تيارت بولاية وهران عندئذ

(4)– النجاح، عدد 869 في 7 رمضان 1348هـ– 6فبراير 1930م

** رئيسة الجمهورية الفرنسي الذي شهد الاحتفالات المئوية عام 1931م.

تحترم عقائدهم وعوائدهم وإخلاصهم. ويمضي قائلا "فأشهد أن الحكومة الفرنسية قائمة غاية القيام بتلك المأمورية ومن هذه الوجهة يجب على المسلمين أن يمدوها بما يستطيعون من إعانة ومساعدة "ثم يصف شعور المسلمين حول زيارة الرئيس الجمهورية فيقول "فلذلك استطيرت الأمة المسلمة فرحا وسرورا لما زارها أول موظفي الجمهورية بمناسبة الاحتفال المئاوي (المئوي)، مئة سنة استيلاء ! مائة سنة جهودا مثمرة[1]."

مضت السنة الأولى من حياة الجمعية دون صراع كبير بين المصلحين والطرقيين أو الموظفين الرسميين حتى إذا حل موعد الاجتماع العمومي في 17 محرم 1351هـ الموافق ل1932/05/23م لانتخاب المجلس الإداري الجديد حدثت خلافات كانت نتيجتها خروج الطرقيين من الجمعية لأنهم بناءا على مصادر الجمعية فشلوا في السيطرة على المجلس الإداري وتفاصيل ذلك ما أورده أحمد حماني في كتابه "صراع بين السنة والبدعة" يقول فيه: "ولما حان موعد انعقاد الاجتماع السنوي العام – في السنة الثانية وفي يتجدد أعضاء المجلس الإداري بانتخاب من الأعضاء العاملين أخذت مؤامرة تدبر لأحداث انقلاب لطرد العلماء المصلحين من الجمعية .....

وكان من فصول المؤامرة أن يكون الانقلاب بواسطة الانتخابات ولا ينتخب من الأعضاء حسب القانون –إلا من كان يملك بطاقة عضو عامل– وهو من يصدق عليه لقب "عالم" في الجزائر –وقد تكفل العلويين بسد هذه ال..لمة وإغراق الاجتماع بسيل من هؤلاء "العلماء" وأخذ السيد عمر إسماعيل يوزع بطاقات العضوية هذه العضوية على كل مرشح لها يقدم إليه، ولا يشترط إلا لحية مرسلة وسبحة طويلة وقد يكون معهما– معلقا بالجنب (بوسعادي ماضي)* "[2].

---

[1] –الشهاب ، ج12م10 شعبان 1353هـ – نوفمبر 1934م والحقيقة أنه لا غرابة في قيام الشهاب بنشر خطبة المولود بن الموهوب أمام رئيس الجمهورية حتى بعد مرور عدة سنوات عليها فقد كانت صحف الإصلاح تراقب الموظفين الرسميين والطرقيين وتنشر كل ما يصد عنهم فتعلق عليه أحيانا وأحيانا تتركه بدون تعليق.

*–البوسعادي نوع من الخناجر يستعمل للقتل.

[2] –أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة ،مرجع سابق ، ص،ص320–321، هذا في الواقع تلخيص صادق لما كتبه ابن باديس في الشهاب ج8م8 في ربيع الثاني 1351هـ–أغسطس1932م.

كذلك أصدر مؤسسو "جمعية علماء السنة" بيانا بتوقيع عمر إسماعيل ذكروا فيه أن رجال الإصلاح هم الذين بدأوا العداوة بينهم وبين الطرقيين وأنهم تآمروا على الاستئثار بالجمعية وإخراج الطرقيين منها ورد كذلك على اتهامات علماء الإصلاح[1].

ويبدو أن استمرار الطرقية يشكلون العنصر الأساسي في "جمعية علماء السنة" وما عرف من صلتهم بالإدارة الفرنسية مما ورد ذكره أو سيأتي ذكره فيما بعد يدعونا إلى الاستنتاج أن علماء الإصلاح لم يريدوا أن يفرطوا في سيطرتهم على الجمعية وحسبما يبدو بيان ابن باديس أن اللائحة الداخلية والقانون الأساسي كانا في جانب علماء الإصلاح من حيث تحديد من هو العالم الذي يحق له أن يكون عفوا عملاء

وهكذا خرج الطرقيون من الجمعية يؤيدهم بعض علماء الدين الموظفين لدى الإدارة لتأسيس جمعية مناهضة لجمعية العلماء هي "جمعية علماء السنة"[2] والتي أخذت على عاتقها محاربة جمعية العلماء فأصدرت صحيفة "الإخلاص" في رجب 1351هـ(14 ديسمبر 1932م) و"المعيار" بعدها بأيام[3]، واتسمت محاربتهم للجمعية بوصف الجزائر قبل الجمعية بأنها كانت هادئة جدا والكل ينعم بالتآخي والمحبة ففي كتاب مفتوح نشرته جريدة المعيار نقرأ ذلك.."تعلمون أنتم ويعلم كافة زملائكم حكام القطر الجزائري أن هذا البلد كان م عهد بعيد هادئ الفكر مرتاح البال محافظا على النظام والسكينة..ثم أن طائفة التسعة (يقصد

---

(1) – عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة الأولى 1920–1936م، ج1 ،الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1948م، ،ص234–240.

(2) –النجاح، العدد 1312 في 26 محرم –1 يونيه 1932م وبالرغم من الإعلان عن تأسيس جمعية علماء السنة يونيه إلا أنها لم تتأسس إلا في 15 جمادى الأولى 1351هـ الموافق 15 سبتمبر 1932م ولعل هذا التأخير ناتج عن كثرة الخلافات بينهم.

(3) –محمد ثامر، الصحف العربية الجزائرية، مرجع سابق،ص124–126.

أشار عبد الرحمن العقون في كتابه" الكفاح القومي والسياسي" والذي أراد أن ينقل فيه صورة صادقة للإحداث كما عاصرها نجده عندما يذكر الخلاف بين "جمعية العلماء "و"جمعية علماء السنة" والذي ظهر في صحيفتي "الجحيم"و"المعيار" يقدم ذكر الجحيم ويقتبس منها ثم يذكر المعيار مع أن الأخيرة صدرت قبل الأولى بحوالي ثلاثة أشهر ونصف ويفعل نفس الشيء بالنسبة لصحيفة "السنة" لسان حال جمعية العلماء التي صدرت في 8 ذي الحجة 1351هـ(7أبريل1932م)ثم يورد بعض ما جاء في "الإخلاص" والتي صدرت في رجب 1351هـ (14 ديسمبر 1932م) وهو أسلوب مقصود.

جمعية العلماء) هذه أول ظهورها بعمالتكم تنشر الوهابية باسم الإصلاح"... ثم يطلب الكاتب إنزال أشد أنواع العقوبة بالجمعية[1].

ومن الصعب تحديد نهاية "جمعية علماء السنة" لكنها على أي حال لم يكن لديها استعداد لمسايرة التطور والأخذ بالأساليب الحديثة فبدل أن يستمر نشاطهم في القرى والريف مما أفقدهم الكثير من أتباعهم ولم ينقذهم سوى الدكتور ابن جلول الذي انحاز إليهم بعد تخليه عن رئاسة المؤتمر حيث دعا إلى حفل ديني كبير* في قسنطينة في أواخر شعبان 1355هـ (10 أكتوبر 1936)[2].

وبالإضافة إلى تأسيس الطرقيين جمعيتهم "جمعية علماء السنة" فإنهم استخدموا أسلوب إرسال الوفود إلى المسؤولين الفرنسيين كالحاكم العام أو الولاة، فقد ذكرت "النجاح" أن وفدا من النواب ورجال الديانة ومشائخ الطرق وأعيان الموظفين والمخزنين قد توجهوا لزيارة مدير الشؤون الأهلية في 1 ربيع الثاني 1352هـ-23 يوليه 1933م ليعرفوا عليه جمعية العلماء قد خالفت أهدافها التعليمية والتهذيبية. وأخذت تقوم بأعمال لا علاقة لها بالتعليم ويمضي المقال " ثم أخذت في دس الدسائس ونصب الحيل لجلب الأموال من جهة ولنشر الشحناء من جهة أخرى وخالطت الطوائف الانتخابية وزرعت المفاسد إلى أن وصلت بدروسها وجرائدها وتدليسها "ثم يكون طلب الوفد" بأن تعامل الجمعية المعاملة القاسية الشديدة..."[3].

وقد كان من أساليب الكيد للجمعية الاقتراح الذي تقدم به النائب المالي عن القليعة مبارك بن علال إلى الإدارة وهو "ألا يحصل إباحة الكلام بالمساجد مبدأ إلا رجال الديانة الإسلامية المتوظفون حيث كل أجنبي عن أولئك الرجال أن يتكلم بالمساجد إلا عن إذن من عامل العمالة "[4]. واحتجت الجمعية على هذا الاقتراح وطلبت من النواب أن يعارضوه لما

---

(1) -المعيار، العدد9 في 25 ذي الحجة 1351هـ-23 أبريل 1932م

*-هذا الحفل يدعى لدى الجزائريين زرده وهو احتفال يقيمه الطرقيون في المقابر للغناء والنشيد وتناول الأطعمة وهو من الأمور التي حاربتها الجمعية لما يرتكب فيه من المحرمات.

(2) - P.I.D.A. - AGG 10H88

(3) -النجاح، العدد 1439 في ربيع الثاني 1352هـ-12 أوت 1932م.

(4) -النجاح، العدد 1479 في 10 رجب 1351هـ-9 نوفمبر 1932م نقلا عن La Press Libre في 1 نوفمبر 1932م.

فيه تضييق على العلماء في أداء واجباتهم في تثقيف الأمة بدينها[1]. ولم تمض ثلاث شهور على هذا الاقتراح حتى أخذت به الإدارة الفرنسية فأصدرت المنشورات المعروفة باسم منشورات ميشال في 18 شوال 1351هـ(16فبراير 1933م).

وقد أشار أحد الباحثين إلى وجود رسالة باللغة الفرنسية محفوظة في مديرية الوثائق بوهران مؤرخة في 26 مايو 1933م وموجهة إلى الحاكم العام من خمسة عشر شخصية دينية وسياسية (سبعة من النواب وخمسة من مقدمي (رؤساء) طرق صوفية واثنين من الملاك وتاجر واحد وقد أشار هذا الباحث أن هذه الرسالة تحتوي على ثلاثة موضوعات أولها ظهور وطنية حقيقية معادية لفرنسا يتزعمها الشبان الأهالي المثقفون وثانيا: أن هؤلاء الشباب شكلوا جمعية سرية هدفها "إضعاف نفوذ فرنسا بمحاربة الطرقية " وقد اختاروا الإبراهيمي لقيادتهم والذي تصفه الرسالة بأنه " رجل ذو بلاغة نادرة وتبحر في العلم لا جدل فيه"[2]

أما الجزء الثالث من الرسالة فهو اقتراح بطرد الشيخ الإبراهيمي إلى بلاده سطيف ويضيف الباحث نفسه أن هنالك ارتباطا وثيقا بين قرارات ميشال ومطالب مبارك بن علال بمنع رجال الجمعية من المساجد والتي أشرنا إليها سلفا، وهذه الرسالة هدفها القضاء على الحركة الإصلاحية في مهدها ولكن لما كان عدد الموقعين على الرسالة يشير إلى وجود نواب وبعض الشيوخ الطرق ممن لم يوافق على الرسالة فإن هؤلاء لا شك كانوا يؤيدون الإصلاح وهذا ما ظهر جليا حينما زار ابن باديس ولاية وهران عام 1351هـ (1933م)[3].

---

(1) – النجاح، العدد 1479 ،المرجع السابق، نوفمبر 1932.مبارك علي بن علال هو الشيخ زاوية سيدي علي مبارك وعضو بجمعية أحباب الحرمين الشريفين ونائب مالي بقسم العاصمة وعضو بلدي بالقليعة ورئيس الجمعية الدينية الأهلية الجزائرية.عن البصائر العدد 26 ربيع الثاني 1355هـ-1936/2/7م.

(2)- P.I.D.A. – AGG 10H8816

(3) – محمد القورصو، تأسيس ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931-1935م، (وهران: رسالة دبلوم الدراسات المعمقة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 1977م)، ص105.

ذلك أن الشهاب والبصائر بل كان يشير إلى استقائه المعلومات من كتاب "ابن باديس حياته وآثاره" ويؤكد ذلك أن الشهاب في عددها رقم 108 المؤرخ في 5 صفر 1346هـ – 4أغسطس 1928 نشرت تحت باب "الشكاوي والظلامات" رسالة مفتوحة إلى الحاكم العام على القطر الجزائري حول "معاكسة التعليم الديني" وأشارت إلى مدرس المساجد الرسميين لا يلقون دروسا عمومية لتثقيف عامة الشعب في المسائل الدينية وهنالك علماء متطوعون يرغبون في القيام بهذه الدروس لكن الحكومة ترفض الإذن لهؤلاء وتؤكد الرسالة إلى أن استمرار هذه الحالة سيؤدي إلى أن يأتي زمن قريب لا يقوم بشأن الديانة إلا "أئمة لا يفقهون شيئا" ومن الملاحظ أن الذي ترأس كتابة العريضة الأولى الحاج محمد العشعاش كان من بين الموقعين على العريضة الأخيرة التي تشكو من تضييق الإدارة على التعليم[1] ويبدو أن التغيير الذي طرأ على موقف هؤلاء كان نتيجة ظهور "جمعية علماء السنة" المحاربة لجمعية العلماء، مما أدى إلى تخوف هؤلاء على مراكزهم إن استمروا في تأييد الإصلاح، خاصة عندما رأوا الإدارة الفرنسية تؤيد الطرقيين.

على أي حال استمر الصراع بين الطرقية والإصلاح مع انقسام الطرقيين على أنفسهم في هذه المسألة وفيما يلي صور أخرى من هذا الصراع.

لم تعمر "جمعية علماء السنة" طويلا لأنها كانت تفتقد إلى المرونة والحركة ولم يكن لديها الاستعداد لتطوير نفسها والأخذ بالأساليب العصرية حتى كان قيام علاقة بين الطرقيين وزعيم كتلة النواب المنتخبين بقسنطينة الدكتور بن جلول عام 1355هـ (1936م) فأعطتهم تلك العلاقة دفعة لمواصلة نشاطهم فاجتمع رؤساء الزوايا في الجزائر في 23 ذو القعدة 1355هـ(7فبراير 1937م)، وقد كان من نتائج ذلك إنشاء منظمتين للطرقية إحداهما في الجزائر حيث أنشئت في (مارس 1937م) والثانية بقسنطينة ، في جمادي الثاني من نفس العام (أغسطس 1937م) وقد تبع ذلك مباشرة إنشاء ناد بالعاصمة الجزائر سمي نادي الصفا ثم تغير اسمه بعد عام ليحمل اسم نادي الرشاد[2]. وأصبح الطرقيون يجتمعون في هذا النادي بشكل منظم كل أسبوع، وتذكر الوثائق الفرنسية أن هذه الندوات والاجتماعات لم

---

[1] –الشهاب، العدد 108 في 5 صفر 1346هـ (4 أغسطس 1927م).

[2] –P.I.D.A. – AGG 10H88

تحظى بالشعبية والإقبال اللذين حظيت بهما محاضرات الشيخ العقبي في نادي الترقى[1]، ثم أصدر الطرقيون جريدة "الرشاد" في 16 ربيع الأول 1347هـ-16 مايو 1938م وكانت موضوعاتها تتركز على محاربة وجهة نظر جمعية العلماء في التجنس والمرأة والعقيدة ...وغير ذلك، وبالإضافة لهذا فإنهم كانوا ينشرون أخبار الجمعية في صور مشوهة ففي عددها السادس عشر كتبت الصحيفة ما يلي: عقدت جمعية العلماء المسلمين ميعادها السنوي في يوم 23-24-25 سبتمبر 1938م (أواخر شعبان 1357م) بنادي الترقى وكان المنتظر أن ينجح هذا الميعاد العلماني نجاحا باهرا* فوق العادة. لكنه كان اجتماعا تجسمت فيه كل معاني الهزيمة والفشل"[2]** .

كما انتقدت جريدة "الرشاد" عدم إعلان جمعية العلماء عن ولائها لفرنسا عشية الحرب العالمية الثانية فكتبت تقول: "ولهذه المناسبة كانت الهيئات الإسلامية في القطر الجزائري تقدمت من الحكومة وأعربت لها مشافهة وكتابة عن شديد وجدتها وتعلقها وارتباطها المتين وكان لم يتأخر من هذا الإعراب إلا ابن باديس" وتشير الصحيفة إلى أن ابن باديس "كان يتقدم بلا مناسبة فيعرب عن ولائه وتعلقه وارتباطه وامتزاجه امتزاج** اللحم بالدم ومثل ذلك موجود في (شهابه) ومعروف عند الخاص والعام في محاضراته ومواقفه"[3].

و جاء في تقرير أعده مركز والدراسات بولاية الجزائر حيث وصفهم باللامبالاة والجهل وعدم الحيوية ولكن نفوذهم مزال منتشرا في المناطق الريفية حيث لم تصل حركة الإصلاح إليها بعد و أنه من الممكن أن ينقلب بعضهم إلى تأييد الإصلاح، بل ويصبح له دور مهم

---

(1) --الشهاب، العدد 108 في 5 صفر 1346هـ (4 أغسطس 1927م).

*يقصد اجتماع جمعية العلماء

(2) -الرشاد، العدد16 في 4 شعبان 1357هـ- 30 سبتمبر 1938م.

** يقصد بذلك امتزاجه بفرنسا.

(3) -الرشاد، العدد 18 في 18 شعبان 1357هـ-13 أكتوبر 1938م.

* كان عبد العزيز الهاشمي عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء حتى استعفي من العضوية وهو في السجن وقد نشر استعفائه في البصائر العدد138 في 11 رمضان 1357هـ الموافق 4 نوفمبر 1938م، وقد ذكر في الاستعفاء أنه لأسباب صحية وقد يكون نتيجة لضغوط تعرض لها وهو في السجن أجبرته على الاستقالة.

في جمعية العلماء كما حدث لعبد العزيز بن الهاشمي* مثلا الذي كان رئيسا لأحدى زوايا واد سوف، وتضيف الوثيقة أن الإدارة لو أرادت استخدام الطرقيين لكبح جماح أي ثورة خطيرة فإن ذلك يعتبر مخاطرة بلا أدنى شك ولكن الإدارة الفرنسية ترى أن أفضل الوسائل للسيطرة على الجزائريين هي القيود الاقتصادية التي تجعل الجزائري لا يفكر إلا في أرضه وعاداته وتقاليده[1].

ويؤكد هذه النظرة إلى الطرقيين ما ذكره أحد المؤرخين بأن القادة الدينيين الذين كانوا أقل ما يشغل بال فرنسا خلال الثلاثينات هم المرابطون ورؤساء الزوايا المختلفة والذين أصبحوا في هذا الوقت هادئين سياسيا و غالبا متعاونين مع السلطات الفرنسية[2].

2- قرار رينيه وشوطان:

1-2 قرار رينيه

كانت رغبة المستوطنين في السماح لهم بتكوين مليشيات مسلحة ووضع قوة أكبر في الجزائر حتى تتمكن السلطات الفرنسية في الجزائر من السيطرة على الأوضاع.[3]

أدى ذلك إلى قيام وزير الداخلية رينيه الداخلية Regnier بزيارة الجزائر لمدة أحد عشر يوما من ذي القعدة هـ(5-16 مارس 1935م).[4] وقد قابل وزير الداخلية أثناء هذه الزيارة عددا من النواب منهم فرحات عباس من اتحادية المنتخبين بولاية قسنطينة عن مدينة سطيف والذي بدأ نجمه يظهر في السياسة الجزائرية بسبب دعوته للاندماج والحصول على جميع حقوق المواطنة، كما قابل الوزير رينيه ابن جلول رئيس اتحادية المنتخبين الجزائريين والذي لعب دورا مهما في الدفاع عن قضية الحرية الدينية والاحتجاج على قرارات ميشال وكذلك موقفه المحمود في مشاكل قسنطينة عام 1934م، ويبدو أن المكانة الهامة التي أصبحت تحتلها الجمعية على الساحة الجزائرية جعلت وزير الداخلية رينيه يقابل وفدا من الجمعية في قسنطينة برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس يوم 8 مارس 1935 وفي هذه المقابلة نفى رئيس الجمعية جميع التهم التي ألصقت بها وطلب من الوزير إعانة الجمعية على أداء

---

(1) - GG 10H8816.

(2) -Gordon, David, The Passing of French Algeria, op. cit., P.30.

(3) -Ibid .,p.206 « including a formation of a citizien militia ».

(4) -النجاح العدد 1679 في 30 ذو القعدة 1353هـ-9مارس 1935م.

رسالتها التهذيبية وكان رد الوزير أنه يثق بالجمعية ويعلم أنها بريئة مما ألصق بها لكنه طلب من وفد الجمعية التأكيد على الجماهير بالتزام الهدوء[1] وعندما زار الوزير الجزائر العاصمة قابله ممثل الجمعية هناك الشيخ الطيب العقبي كما كان للوزير لقاء مع ممثل الجمعية في تلمسان الشيخ البشير الإبراهيمي[2]، ويظهر لنا من هذه المقابلات أن الحكومة الفرنسية كانت تعرف مدى نفوذ الجمعية لدى الشعب الجزائري.[3]

ولكن كانت هنالك مقابلات أبعد أثرا وهي التي جرت بين الوزير وممثلي المستوطنين وكذلك مع الحاكم العام وكان من آراء الحاكم العام للجزائر التي تبناها فيها بعد الوزير أن ابن جلول كان يعمل ضد فرنسا ويشكل الجناح السياسي لحركة العلماء ومن الاتهامات التي وجهه كارد Carde لابن باديس أنه كان مرتبطا بحركة الجامعة الإسلامية والقومية العربية في الشرق الأدنى كما أبلغ كارد الوزير بأن العلماء حافظوا على علاقات قوية مع اللجنة التي انبثق عنها مؤتمر القدس 31 ديسمبر 1931 كما أدعى كارد وموظفوه أن العلماء تسلموا بعض الأموال من هذه اللجنة (خمسون جنيها إسترلينيا)* وكانت الرسائل يتم تبادلها عن طريق الحجاج.[4]

كما أدعت الوثائق الفرنسية وذلك في دراسة أعدها مركز الإعلام والدراسات بقسنطينة أن الجمعية كانت متورطة في حوادث قسنطينة 1924م ذلك أنها قامت بتأييد اتحادية المنتخبين برئاسة ابن جلول كما أدعت أن نشاط الجمعية كان عاملا في إيقاظ الأمة وتنويرها فكريا الأمر الذي أدى إلى حوادث أغسطس 1934م.[5]

---

(1) –الشهاب، ج1،م11 محرم 1354هـ– أبريل 1935م .

(2) – الشهاب، نفسه، ج1، ماي 1935.

(3) –مازن صلاح، جمعية العلماء المسلمين، مرجع سابق، ص212.

*–لم يكن موضوع الخمسين جنيها سرا بل إن الجمعية قد ذكرت ذلك في صحفها و إنها قامت بتوزيعه على عائلات المنكوبين بحوادث قسنطينة أغسطس 1934م.

(4) –Molcolm.Lynn.Richardson, French AlgeriaBetwen the wars.Nationalism and Colonial Reform.1991-1939 ,1975,Michigan,usa .

(5)- L.O.A.R. AGG 16H74

لقد وجدت هذه الأفكار التي تصف العلماء بأنهم "رواد الفوضى والاضطراب" وأنهم يقومون بإيقاظ الأمة الجزائرية رواجا في الصحف الفرنسية فقد بعثت صحيفة الماتان الباريسية لدراسة الحالة في الجزائر عقب حوادث قسنطينة فكتب تقريرا ذكر فيه أنه شاهد دعاية منتشرة للعودة للدين الخالص والعمل بالقرآن والرجوع إلى عمل السلف الصالح وأن هذه الدعاية قد أثرت حتى أولئك المثقفين بالثقافة الغربية وأدعى المراسل في تقريره أن "جمعية العلماء علاقات متينة مع الشرق ورجاله وعلى الأخص المهيج الكبير شكيب أرسلان" ويمض قائلا "إن هؤلاء الرجال يكونون لوطننا خطرا آخر لخطر السلطة الفرنسية إلا أنه في حقيقته أعطى الحاكم سلطات استثنائية ليطبقها ضد من يشاء.[1]

ولما كان للحاكم العام رأيه الذي سبقت الإشارة إليه في جمعية العلماء لذلك كان من الطبيعي أن يزداد الاضطهاد والمضايقة للجمعية في مدارسها وفي صحافتها وأن تستمر المساجد مغلقة في وجوه العلماء وقد حاولت الجمعية الاتصال بالمسؤولين الفرنسيين لإعادة النظر في السياسة الفرنسية فكان من بين من اتصلت بهم مدير الشؤون الأهلية حيث أرسلت وفدا لمقابلته. ولما فشلت هذه المساعي قامت بإرسال خطاب إليه نشرته جريدة "البصائر" تضمن ما يلي:

1- " المساجد مازالت مغلقة في وجوه العلماء والتضييق على التعليم العربي مزال على شدته".

2- " رجال الجمعية الذين هم في الواقع دعاة خير ورحمة...لم يزالوا محفوفين بالشكوك والريب... ولا تزال تنبعث من بعض الجهات الإدارية إيعازات التحرش بهم والتخويف منهم".[2]

إزاء هذه الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الجزائر، دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري وبالرغم من الوعود الفرنسية لوفد المؤتمر بإنجاز المطالب العاجلة والآجلة إلا أنه لم يتحقق منها شيء ، وهنا بدأت مراقبة السلطات الفرنسية للعلماء تأخذ صورة أكثر جدية لاعتبارهم أن الجمعية لم تعد حركة دينية فحسب، بل إنها أصبحت سياسية أكثر من أي وقت مضى وقد صرحت بذلك الدراسات السرية المختلفة

---

[1] -سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، مرجع سابق، ص 158.

[2] -البصائر، العدد 21 في 8 ربيع الأول 1355هـ-29 مايو 1936م.

لمراكز الإعلام والدراسات الموجودة ضمن وثائق الإدارة الفرنسية في الأرشيف الوطني لما وراء البحار، ففي دراسة مؤرخة في 15 مارس 1937م نقرأ ما يلي: " لم تتخل حركة العلماء الجزائريين عن اهتماماتها السياسية رغم الفقرة الثالثة من قانونها الأساسي وقد دخلت هذا المعترك بطريقة ذكية جدا ويكفي أن نذكر الأحداث التي وقعت في الجزائر منذ 1931 واشتراكها في المؤتمر الإسلامي الجزائري في 7 يونيه 1936 كان هاما وفريدا".[1] ويذكر تقرير آخر أن العلماء خطوا خطوات كبيرة على الساحة السياسية انطلاقا من جهودهم نحو التعريب والإسلام والحديث المت..مل عن " الشعب الجزائري المسلم " والأمة العربية " وعن "الوطن الجزائري المسلم".[2]

تتضمن الوثائق الفرنسية وتوضح دور العلماء الوطني والسياسي فتحدد إحدى هذه الدراسات أن المؤتمر الإسلامي كان بداية نشاط جمعية العلماء السياسي والذي حدد دورها في المحافظة على العروبة والإسلام وهذا بالتالي يكشف النقاب عن إصرارهم على إعادة الشخصية العربية الإسلامية لبلد كان أساسا كذلك.[3]

بدأت علاقات الجمعية بالحكومة الفرنسية منذ عام 1937م تأخذ طابعا جديدا فسياسة المطالب والعرائض والوفود أثبتت فشلها بفشل فرنسا الاستجابة لأي مطلب من مطالب الأمة الجزائرية التي قدمها وفد المؤتمر الإسلامي إلى رئيس الوزراء الفرنسي لذلك أخذت الجمعية تكثف جهودها في نشر التعليم العربي وإحياء الدين الإسلامي وذلك بإنشاء المزيد من المدارس والنوادي، وأرسل الشيخ محمد خير الدين المراقب العام للجمعية يحث شعب الجمعية على إرسال تقارير وافية عن نشاطهم وذلك في رسالة وجهها إليهم عبر "البصائر" يقول فيها:

---

(1) – L.O.A.R. AGG 16H74

(2) –L annè Indigène Algeriennes 1936.janvier 1937.GG 11H47

(3) –S.P.I.A. AGG 11H48

" قد أعلمنا حضراتكم مرتين بواسطة "البصائر" ومرة بكتاب خاص راغبين منكم أن تتفضلوا بمكاتبتنا عن الشعب وأعمالها وعناوين أعضائها ويمض في رسالته قائلا "وأرجو من المتخلفين المبادرة بمكاتبتنا إذا كانوا يريدون لجمعيتهم القوة والانتشار ..."[1]

هذا وقد تم العثور على مجموعة من هذه التقارير قامت مديرية الوثائق بولاية قسنطينة بطبعها ونشرها في كتيب خاص مع العلم أن بعضها قد نشر في البصائر حينه. ومما يؤيد هذا ما جاء في الوثائق الفرنسية ففي تقرير سري أعده مركز الإعلام والدراسات بولاية الجزائر عام 1939م يشير إلى أن العلماء أدركوا فشل كل المساعي للحصول على أي مطلب من مطالبهم التي كانت ضمن مطالب الأمة الجزائرية في مؤتمرها عام 1936م لذلك اتجهوا إلى مواصلة الجهود في حركة نشر التعليم وأصبح اتجاههم التحدي والوقوف موقف الضد من فرنسا وتمثل ذلك في الابتعاد عن الواجهة الشعبية وتكثيف الاتصال بالحركات الوطنية العربية وخصوصا حزب الدستور التونسي بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي، وكان مما نادى به ابن باديس هذه السنة 1938:

1-وقف التعامل مع المجالس المختلفة داخل الجزائر حتى يتحقق التكافؤ والمساواة.

2-الوقوف بشدة ضد التجنس وأن من يحصل على الجنسية الفرنسية يعتبر مرتدا.

ويضيف التقرير قائلا "وقد بلغ الأمر بابن باديس إعلان "الحرب المفتوحة" ضد فرنسا في مقاله " هل آن أوان اليأس من فرنسا".[2] وفي الحقيقة أن تفسير السلطات الفرنسية لتصريحات ابن باديس تطابق الواقع إلى حد كبير ويؤكد ذلك ما جاء في هذا المقال والذي نقتبس منه ما يلي:

"كلا والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية (تسطيري الخاص) ...حذار من الذين يأتوك بوحي من

---

[1] -محمد خير الدين، إلى رؤساء الشعب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، البصائر، العدد 79 في 20 أوت 1937.

[2] - AGG 10H88

غير نفسك وضميرك ومن غير تاريخك وقوميتك ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك ".[1]

يظهر لنا أن هذا المقال يشكل تحولا كبيرا في أسلوب ابن باديس الذي كان لا يتعدى المطالبة بالحقوق السياسية وحرية التعليم، أما هنا فهو يشير إلى تاريخ الإسلام وأبطاله، كما يشير إلى اليأس والمغامرة والتضحية. ويشير أحد الباحثين إلى أن ابن باديس بدأ يأخذ موقفا عدائيا من الحكومة الفرنسية بعد عودته من باريس حيث كان هدفه المعلن في معظم حياته العامة هو إعادة بناء المجتمع الجزائري وبالرغم من أن عمله في التعليم كان يضع حدا لعمله كسياسي إلا أنه أعلن بعد عودته أن نوايا الحكومة الفرنسية كانت سيئة جدا ولذلك دعا بصراحة إلى تحرير الجزائريين من القوانين الفرنسية كشروط مسبقة لأي تجديد للجزائر.[2]

أما النقاط الأخرى التي أشارتها دراسة مركز الإعلام والدراسات بقسنطينة السالفة الذكر فمن المهم أن نذكر وجهة نظر رئيس الجمعية حولها فالنسبة للتعامل مع الجبهة الشعبية يقول ابن باديس في مقال له في مجلة الشهاب "إن الجبهة الشعبية سارت شطرا من أيامها بالروح التي تأسست عليها وتنفس الخناق ولكن ما لبث الطغيان الاستعماري والجبروت العالي أن أخذ يتغلب".. ويحلل ابن باديس ذلك بقوله " إن رجال الجبهة رغم ما كان عندهم من قوة في أيامهم الأولى فإنهم كانوا ضعفاء لأنهم كانوا صغارا في السياسة أو أنهم لم تكن لهم خبرة طويلة في الحكم ولذلك فقدوا سيطرتهم وأصبحت الحكومة باسمهم وهي ليست لهم".[3]

أما موضوع التجنس فلم يكن بالموضوع الجديد حيث كانت المناقشات تدور حوله منذ عام 1938م وقد كانت جريدة "الإصلاح" من بين تلك الصحف الإصلاحية التي كتبت توضح وجهة نظر الإسلام في التجنس ولم يكن هناك مؤيد للتجنس سوى فئة ضئيلة من أولئك المثقفين بالفرنسية والذين كانت تمثلهم صحيفة صوت الأهالي La Voix Des Indigène

---

[1] -عبد الحميد بن باديس، هل آن آوان اليأس من فرنسا، الشهاب ج6، م2 أوت 1937صص73-272.

[2]-Andre Dirlik,.Abdul Hamid Ben Badis.1989-1940,Canada.1973 . P97-139

[3] -محمد طاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس مرجع سابق، ص 191-92 نقلا عن الشهاب ج9 م13 نوفمبر 1937.

ولكن حماسها قد فتر بل إن رئيس تحرير هذه الصحيفة كتب في 4 سبتمبر 1930م معترفا بفشل فكرة التجنس ولكن هؤلاء عادوا إلى المطالبة بالتجنس عندما فقدوا الأمل في الحصول على حقوق المواطنة بدون التجنس ولذلك عاودت الجمعية الحديث عن التجنس وإثبات وجهة نظر الإسلام في ذلك.[1]

لقد تضمنت فتوى الجمعية نقطة مهمة وهي أنها لا ترفض التعامل مع المتجنسين فيهما يخدم القضية الوطنية والمصالح العامة الجزائرية ذلك أن التجنس أمر شخصي وهذه النظرة في الواقع لا تتنافى مع مبادئ الجمعية فهي قد حددت وجهة نظر الإسلام في التجنس ولكنها احتفظت بمرونتها في تعاملها مع المتجنسين.[2]

لكن الإدارة الفرنسية ذهبت تواصل حربها ضد الجمعية فتذكر إحدى الوثائق الفرنسية أن أول احتكاك بعد إعلان ابن باديس المواجهة كان إصدار أمر حكومي يوجب على أي ناد يقدم لأعضائه ورواده مشروبات أن يحصل على إذن مسبق من الإدارة الفرنسية، مما أدى إلى استياء النوادي –التي ازداد عددها في المدة الأخيرة– لأن ذلك يحطم الفائدة المادية، وقد احتج العلماء على هذا القرار[3] ومن المفيد أن نذكر ملخصا لهذا القانون الذي صدر في ذي القعدة 20 يناير 1938والذي نص في الباب الأول "من غير أتمس حرية الاجتماعات –المأخوذة من تنفيذ قانون 1901م فإن أي جمعية جزائرية لا يباح لها أن تقدم مجانا أو بيعا –لأعضائها أو الواردين عليها أي مشروب إلا بإذن الوالي العام للقطر الجزائري، الفصل الثاني: "الجمعيات المأذون لها بتقديم المشروبات المباحة تجري عليها القوانين الحكومية والقوانين الجبائية التي تجري على "البترنات" والمقاهي العربية...".[4] وقد ناقشت "البصائر" هذا الأمر موضحة أهمية النوادي كملجئ للقائمين بالحركة الفكرية وأنها المكان الوحيد الذي بقي مفتوحا بعد غلق المساجد والمدارس ففي النوادي تلقى المحاضرات والدروس وتؤسس الجمعيات وأما بيع المشروبات فإن حظره بدون إذن الحاكم العام سيجعل النوادي عرضة لتدخل البوليس ومراقبة نشاطها وكذلك فإن فرض الضرائب على بيع المشروبات

---

(1) –مبارك الميلي، التجنس وفتوى العلماء في شأنه، البصائر العدد 100 في 18 فيفري 1938.

(2) –المرجع نفسه، العدد 95، 14 جانفي 1938م.

(3)–AGG 10H88

(4) –البصائر، العدد 108 ،5 أفريل 1938.

سوف يرهق ميزانية النوادي التي لا تقوم بها الاشتراكات وحدها وفي نهاية المقال يدعو الكاتب إلى الاحتجاج فيقول:

" أليس من المخجل أن تتكرر الاعتداءات عليكم وأنتم سكوت"

"وأن يسدد السهم المسموم إلى أفئدتكم وأنتم لا تتحركون "

"وأن يتفنن في ظلمكم وإرهاقكم وأنت لا تشعرون"

"دينكم ولغتكم في خطر فأثبتوا تثبتكم بهما إلى النهاية".[1]

2-2 قرار شوطان

ولم تكد الجمعية تبدأ احتجاجاتها واعتراضها على مسألة النوادي حتى داهمها الاستعمار بقرار جديد في 8 مارس 1938 وهو الذي أصدره رئيس الوزراء شوطان Camille Chautemps * بخصوص المدارس الخاصة والذي يتلخص فيما يلي[2]:

1-إن افتتاح أي مدرسة خاصة دون تصريح يعتبر أمرا غير قانوني ويستحق مرتكبه العقوبة .

2-مراقبة المدارس الخاصة الموجودة.

3-إعطاء حكومة الجزائر السلطة لإغلاق أي مدرسة إسلامية يتهم مدرسيها بأن لديهم أي ميول وطنية.

ولمعرفة الهدف من هذا القرار لابد من الرجوع إلى الوثائق الفرنسية التي تؤكد إحداها أنه رضع لفرض الرقابة على فتح المدارس وخضوعها للتحدي المسبق والذي يبحث في أمرين هما:

1-أخلاقيات من يدرس بالمدرسة

2-توفر تعاليم الصحة في الفصول.[3]

---

[1] -أبو بكر بلقاسم ، "آخر سهم للقضاء على النهضة الجزائرية"، البصائر، العدد 108 ، 15 أفريل 1938.

*-تولى رئاسة الوزراء عدة مرات ممثلا للحزب الاشتراكي المتطرف عام 1934 ثم عام 1937 من الحزب اليساري الديموقراطي.

[2]- Richardson, French Algeria op.cit ; P336

Cited from situation politique May 1938-AGG 11H47

[3] - GGA10H88[16]

ولكن يبدو أن هذا التبرير بعيد جدا عن الواقع لأن السلطات الفرنسية كانت تقوم برفض الترخيص لمدارس جديدة وسحب الرخص ممن لديهم وسجن المعلمين وتغريمهم قبل صدور هذا القرار بل إننا نجد من بين الوثائق الفرنسية ما يشير إلى وجود هذه الفكرة لدى السلطات المحلية بالجزائر منذ السنة الثانية لتأسيس الجمعية ولكن أهمية هذا الأمر أنه صادر من الحاكم العام إلى والي قسنطينة والتي كانت من أكثر الولايات نشاطا من الناحيتين التعليمية والسياسية بينما قرار شوطان كان صادرا عن رئيس الوزراء ويشمل جميع مقاطعات الجزائر[1].

هذا وقد ناقشت صحيفة "البصائر" مدى شرعية قانون 8 مارس فأثبتت أنه غير قانوني للأسباب الآتية. أولا لقد أصدرت الحكومة الفرنسية قانون 1907م الخاص بفصل الدين عن الدولة والذي نص في مادته الأولى على أن "الجمهورية الفرنسية ملتزمة بالمحافظة على حرية الاعتقاد ومتلزمة بالمحافظة على حرية الأديان وفي المادة 29 نص على أنه لا يسوغ إعطاء " دروس دينية للأولاد الصغار من سن 6 إلى 12 سنة أوقات قراءتهم بالمدارس الدولية الرسمية وتنص المادة 42 إن كل قانون يعارض هذا يعتبر باطلا، ثانيا إن الدولة الفرنسية إذا أرادت الاحتجاج بقانون 1886 الخاص بالمدارس الخاصة ومكمله قانون 1892 الذي أوجب على المعلمين طلب رخصة خاصة كما نص عقوبات لكل من يعمل دون فإن قانون 1907 الذي يفصل الدين عن الدولة يعطي الجمعيات الدينية الحق في تدريس الدين وحيث أن مدارس جمعية العلماء قامت أساسا لتعليم الدين ولغته كذلك يجب ملاحظة أن المدارس الدولية لا تستوعب سوى عدد ضئيل جدا من أبناء المسلمين وأن البرامج المخصصة لتلاميذ المدارس الدولية الفرنسية لا يتم إلا بعد خروجهم من تلك المدارس فإن هذا القانون يجب أن لا يشمل مدارس الجمعية.

يمكننا أن ندرك أهمية رد فعل الجمعية لقرار شوطان إذا علمنا أن الجمعية نظرت إليه على انه جاء لهدم "الشخصية الإسلامية والقضاء عليها"[2] وذلك بفرض عقوبات على التعليم، ولذلك جاء رد فعل الجمعية بنفس القوة، حيث صرح رئيس الجمعية "إننا عقدنا على

---

[1]– محمد خير الدين، التعليم العربي الإسلامي بالجزائر، محاولة القضاء عليه، البصائر ، العدد 115 في 8 أفريل 1938.

[2] –البصائر، العدد 107 في 8 أفريل 1938.

المقاومة المشروعة عزمنا وسنمضي بصون الله في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصدنا عن ذلك".[1] وقد وجهت الجمعية النداء التالي "إلى كل معلم قرآني أو مدرسة طلبت الرخصة من الإدارة ولم تجب وكل معلم مكتب قرآني أو مدرسة منع من التعليم وكل معلم نزعت منه رخصته أن يكاتبنا بما وقع له ويعرفنا بتفصيله لتقوم الجمعية بالدفاع عنه بالطرق المشروعة كما أبدت الجمعية استعدادها للدفاع عن أي معلم تعرض للاعتداء من قبل السلطات بالإضافة إلى ذلك فالجمعية سوف تقوم بإرشاد أي جهة أو جماعة تنوي تأسيس جمعية أو فتح مدرسة لتعليم الإسلام والعربية إلى الإجراءات القانونية اللازمة.[2]

ثم أخذت الجمعية تتوجه إلى كافة فئات الشعب تطلب منهم مساعدتها في الدفاع عن قضية التعليم ومن هذه الفئات قضاة الشرع المسلمين.[3] وجمعية قدماء المحاربين وفروعها في العمالات الثلاث مذكرة إياهم بالتضحيات التي قدموها لفرنسا مقابل المحافظة على دينهم ولغتهم.[4]

كذلك ناشدت الجمعية النواب الجزائريين الأحرار ودعتهم إلى الاحتجاج على قرار شوطان، وعندما طلبت الجمعية من معلمي اللغة الفرنسية الوقوف إلى جمعية العلماء في هذه المحنة اتسمت مطالبتهم بشرح الموقف بالتفصيل وكان مما جاء في هذه المناشدة " وإن كن لبعضكم بحكم الطبع أو بحكم الوظيفة منازع سياسية في لغة التعليم فلا تنسوا أن في الأمم جانبا وجدانيا لا يمكن انتزاعه ولا التسلط عليه من اعتباره أساسيا في تربيتها الخاصة" ويحاول النداء إقناع معلمي الفرنسية بعدالة موقف الجمعية بأنها تحترم القوانين العادلة وذلك

---

(1) – عمر عيشون ،نادي الترقي قلعة الاصلاح الاولى ،الجزائر،1987. ص23.

(2) – أحمد الخطيب،جمعية العلماء المسلمين و أثرها الاصلاحي في الجزائر ،م.و.ك.الجزائر،1985. ص47.ص

(3) – جريدة البصائر ،المصدر السابق،22 أفريل،1938.

(4) – البصائر، العدد 107 في 8 أفريل 1938.

بجعل أوقات التدريس في مدارس الجمعية لا تتعارض مع أوقات المدارس الفرنسية بالنسبة للطلاب الملتحقين بالمدارس الفرنسية والتي لا تتسع لعشر الأطفال المسلمين.[1]

وتشير الوثائق الفرنسية إلى أن قرار شوطان وما سبقه من أوامر حكومية بخصوص النوادي لم تنجح في الحد من نشاط العلماء الذين كثفوا جهودهم وانشئوا شعبا جديدة في شتاء 1938/1937 وقاموا بتوزيع المنشورات التي تدعو الشعب الجزائري إلى الاحتجاج على ما أسموه اضطهاد الإسلام وجمعوا الأموال لتنظيم الدفاع عن مدارس تحفيظ القرآن والمدارس العامة.[2]

3- الأوضاع في الجزائر عشية قيام الحرب العالمية الثانية

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية في الظهور وذلك بتحركات هتلر العسكرية أرادت الحكومة الفرنسية أن تطمئن إلى ولاء الشعب الجزائري لها، وكانت تقدر مدى نفوذ جمعية العلماء وسعة انتشارها في الجزائر فذهبت تحاول الحصول على تأييد الجمعية، وفي هذه الأثناء كانت قضية اتهام الشيخ العقبي بالتحريض على قتل كحول لا تزال لم يصدر فيها حكم نهائي، فأوعزت السلطات الفرنسية إليه وإلى غيره من رجال الجمعية أن يحصلوا على موافقة المجلس الإداري لإرسال برقية يعلنوا فيها ولائهم للحكومة الفرنسية وكأن السلطات الفرنسية أرادت بهذا الأمر تحقيق فرضين أولهما الحصول على تأييد الجمعية والثاني أن تعلن براءة العقبي مكافئة له على هذه الخدمة فإن لم ينجح العقبي على موافقة المجلس الإداري فإن ذلك لا شك سوف يؤدي إلى تصدع الجمعية وانقسامها بين الموافقة والرفض لفكرة البرقية[3].

وهذه القضية لابد من معالجتها من جهتين الأولى أسباب اختيار العقبي ليكون داعية لتأييد فرنسا في الحرب والثانية تفاصيل اجتماع المجلس الإداري للجمعية الذي ناقش قضية تأييد فرنسا.

أولا لقد اختارت الإدارة الفرنسية العقبي لتحطيمه وإخراجه من صفوف الجمعية ذلك لأنها كانت أن العقبي حصل على شعبية كبيرة للدور الهام الذي اضطلع به في الحركة

---

(1) – البصائر، العدد 107 في 8 أفريل 1938.

(2)– P.O.M. AGGA 10H88[16]

(3)-P.O.M. AGGA 10H/88

الإصلاحية وقد اعترفت الوثائق الفرنسية بذلك حيث تقول إحداها "لا يزال العقبي هو المحرك والمفكر لتنظيم العلماء الذي يرأسه ابن باديس ولا تزال شخصيته هي الأقوى لدى الرأي العام.[1]

ومما يؤيد الفكرة القائلة بخطورة العقبي في نظر السلطات الفرنسية ما جاء في تقرير سري بعثه والي قسنطينة إلى الحاكم العام حول زيارة وفد الجمعية المكون من السادة ابن باديس والإبراهيمي والميلي والعربي التبسي إلى ميلة 12 جانفي 1937 وما جاء في خطاب العقبي حسب تقرير نائب الحاكم الإداري لميلة " وكان الشيخ العقبي آخر المحاضرين... وبعد أن شعر أن مستمعيه منصتين إليه جيدا وأنه متمكن منهم سأل السؤال التالي وبشكل مفاجئ" لو طلبت إليكم أن تتصدوا لفرنسا فهل تفعلون؟ وبصوت واحد أجاب الحاضرون (3 آلف شخص) نعم "ثم استدرك بسرعة قائلا ولكني لن أطلب منكم مثل هذا الطلب أبدا"[2] ويقول والي قسنطينة في خطابه إلى الحاكم العام والذي أرفق به التقرير المشار إليه "أتشرف أن أذكر حضرتكم أن هذه القضية المذكورة قد صدرت عن أحد أكثر أعضاء جمعية العلماء تأثيرا وفعالية".[3]

يلاحظ أن صحيفة "البصائر" قد ذكرت خبر هذا الخطاب الذي ألقاه العقبي في ميلة حيث أشارت إلى وجود خلاف بين العقبي وشيخ المدينة (العمدة) وأن العقبي أراد أن يظهر لهذا الشيخ مدى نفوذ جمعية العلماء وأنها بعكس الإشاعات التي تقال فيها فكان سؤال العقبي للجماهير الحاضرة "صوت من تتبعون إذا اختلفت الأصوات وتنوع الدعاة فكان جواب الأمة بلسان واحد نتبع العلماء ولا نبغي بهم بديلا..."[4]

---

(1) –Les Ulema 19 Juin 1937 –GGA 9H/46

(2)– Cabinet d'Administrateur : L' Administrateur adjoint détache a Mila à Monsieur Le Préfet du département de Constantine No.2 Déplacement de personnage religieux, Cheikh Tayeb El-Okbi.

Réunion du 12 janvier 1937 Mila le Février 1937 (9H46) .

(3)– Préfecture De Constantine, 5eme Division No.508 Surveillance politique des Indigène. Le Préfet du Département de Constantine a Monsieur le Gouverneur Général de L'Algérie, Réunion donnée le 12 Janvier 1937 par le Chiekh Tayeb El-Okbi, Constantine le 5 Février 1937 (9H46)

(4) البصائر، العدد 53 في 29 جانفي 1937 وفيما يلي النص الفرنسي لبعض ما جاء في التقرير

ولما كانت مكانة العقبي لدى الإدارة الفرنسية بهذه الخطورة فإن اتهام العقبي بقتل مفتي الجزائر كان يخدم أهداف فرنسا أولا في القضاء على مكانة العقبي في نفوس الجماهير وهذه قضية ما زالت تحتاج إلى درس رغم أن الباحث وجد أن بعض معمري قسنطينة يعتبرون خروج العقبي من الجمعية خيانة أما الأمر الثاني فهو محاولة السلطات خلخلة صفوف الجمعية ويكفي دليلا على مدى تأثر الجمعية بهذه القضية ما قاله ابن باديس في صحيفة البصائر حين أعلن في ديسمبر 1938 أن العقبي والسيد عباس التركي* سيقدمان إلى المحكمة أما مجلس "الكريمنال" الخاص بالمسلمين بمقتضى القوانين الاستثنائية ليست هذه القضية بالقضية الاعتيادية ولا هي قضية فرد أو جماعة وإنما هي قضية شعب ضرب ببعض وقتل منه فرد لتقتل به الجملة ومضى ابن باديس قائلا "وبعد لقضية العقبي اليوم شعبية عالمية والعقبي ضحية الشعب والقضية الجزائرية[1] ويقول في مقال آخر "إن الذين دبروا هذه المكيدة وأحكموا حلقاتها كانوا يريدون من وراء مصرع المفتي نسف جمعية العلماء ومحق رجالها والقضاء على الحركات الإسلامية الجزائرية قضاء لا تقوم لها من بعد قائمة"[2]

ومما يدل على اهتمام الشيخ عبد الحميد بن باديس أنه لم يقطع دروسه طلية حياته في التعليم إلا لحضور محاكمة العقبي فد كان يحضر قبل انعقاد الجلسات ويجلس خلف الشهود مباشرة أي في الصفوف الأمامية ولا يخرج إلا بعد نهاية الجلسات حتى ولو استمر

المذكور :

« Parlant le dernier, Cheikh Tayeb El-Okbi reprenait les argument de se prédécesseurs, puis sentant son auditoire bien en main, posait brusquement la question suivant : Si je vous faisais de vous soulever contre la France, et ce que vous le feriez D'une voix presque unanime le 2.500 a 3.000 indigènes qui l'écoutaient religieusement répondaient : oui il s'empressait ce pendant d'ajouter « mais je vous demander jamais de la faire » .

*السيد عباس التركي أحد تجار الجزائر العاصمة الأثرياء وكان مؤيدا للإصلاح فكأن السلطات حين اتهمت عباس التركي أرادت أن تحذر مؤيدي الاصلاح من غير العلماء فتقضي على الرافد المادي للجمعية.المرجع:مازن مطبقاني،جمعية العلماء و الحركة الوطنية الجزائرية،مرجع سابق،ص.158.

(1) – البصائر، العدد 143 في ديسمبر 1938.

(2) – الشهاب، ج6 م10 يوليه 1939.

بعضها أربع أو خمس ساعات، ومنا يذكر أن عبد الحميد بن باديس أنه لم يترك دروسه حتى عندما توفي ابنه الوحيد.[1]

بهذا الفهم لموقف فرنسا لم يكن من المتوقع من الجمعية ورئيسها تأييد فرنسا بل ابن باديس يزيد الأمر وضوحا حين يتحدث من الاستعمار بقوله "ونحن-كمسلمين- أضداد للاستعمار بمعناه المعروف وهو استيلاء أمة على أمة لإذلالها واستغلالها ومنعها من استثمار مواهبها الإنسانية في مصلحتها ومصلحة البشرية جمعاء حتى تبقى أبدا مورد للأمة المستولية عليها"[2]

ومع اقتراب نذر الحرب العالمية الثانية وحرصا من فرنسا على ضمان تماسك جبهتها الداخلية فقد طلبت من جميع الفئات والأحزاب إعلان ولائها وتأييدها ولذلك كان من بين المواضيع الرئيسية التي ناقشتها الجمعية في اجتماع المجلس الإداري في الفترة 23-25 سبتمبر 1938 فقد تحدث العقبي مشيرا إلى وجود خلاف بينه وبين أعضاء المجلس الإداري للجمعية ولا يود التصريح به ولكنه طلب من الأعضاء الحضور في يوم آخر لتوضيح موقفه، وهنا تحدث الشيخ بن باديس ليوضح نقطة الخلاف هذه وكأنه يقول أنه لا داعي لاجتماع آخر فقال: "أما أنا فإنني أستطيع كشف هذه الفضائح من الآن، جاءت إيعازات من جهات باش نقول (لنقول) كلام المتملقين ونشاركهم في تقديم فروض الطاعة وعبارات الود والاستسلام في الوقت الذي نحن فيه غير ثائرين ولا عاصين ...إن ضميري يأبى هذا، إنه لا يطاوعني وأنا أرى الأمة فيما هي فيه، العلم يطارد والدين يحارب فالمساجد موصدة والمدارس مغلقة والتعليم يخنق أن أتملق مع المتملقين وأطبل وأزمر مع المطبلين والمزمرين هذا شيء لا أستطيعه ولو يقطع رأسي".[3]

وتم التصويت على موضوع إرسال برقية تأييد فكانت النتيجة أن أغلبية أعضاء المجلس الإداري لم توافق على إرسال البرقية.

---

[1] – عبد المجيد بن عدة:الخطاب النهضوي،مرجع سابق،ص.112.

[2] – البصائر، العدد 165 في 12 ماي 1939.

[3] – البصائر، العدد 135 في 4 أكتوبر 1938.

والسؤال الذي يطرح نفسه ما هو السبب الذي دعا الشيخ العقبي ليقف هذا الموقف. لقد تعرض العقبي لمحنة قاسية من جراء اتهامه بالتحريض على قتل المفتي كحول ويذكر أحد العلماء الذين عاصروا هذه الفترة "أن العقبي لم يستطع تحمل الإرهاب الذي رآه في الأيام التي قضاها في السجن، لذلك خارت قواه وضعف ذلك الضعف الذي أثر على موقعه كما أن السلطات الاستعمارية سلطت عليه جماعة تظاهروا له بأنهم أصدقاء وأنهم يحبونه ويخلصون له ومن أجل ذلك فإنهم يريدون منه أن يلين وأقنعوه بأنه إن لم يغير موقفه من الشدة إلى الضعف فسوف تستمر الحكومة الفرنسية في اضطهاده وينتقد الشيخ المغربي الجمعية في أنها تركت العقبي يقع ضحية هذا الضعف فلم تنقذه منه[1] وانتهت هذه القضية بخروج العقبي من الجمعية ومحافظتها على تماسكها وقوتها.

رفض العلماء تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية

وعند إعلان الحرب العالمية الثانية كان موقف الجزائريين من فرنسا بين التأييد والمعارضة فمن المؤيدين كان النواب والموظفون ورجال الطرق[2] ويظهر لنا أن تأييد النواب والموظفين كان الدافع إليه حرص الغالبية منهم على مناصبهم. أما رجال الطرق والزوايا فكان تأييدهم نتيجة لولائهم الدائم لفرنسا يؤيد ذلك رسالة وجهها أحد رؤساء الزوايا إلى عموم الشعب الجزائري يطلبون منهم الوقوف إلى جانب فرنسا في الحرب، نقتبس منها ما يلي: "يا كرام أبناء الشعب الجزائري خصوصا ويا أماجد رجال الشمال الأفريقي عموما..لا يخفي على جنابكم ما هو جار وواقع الآن وقبل الآن من المظالم والجور والاستيلاء على الأمم الضعيفة المنكوبة بسبب الأطماع والتوسعة النازية لذلك أناديكم إخواني ... أن تقفوا وقفة رجل واحد لتهديم وتكسير شوكة العدو.. سواء بذواتكم.. أو بالإعانة من أموالكم.."[3]

أما الذي رفضوا إعلان الولاء، فهم أعضاء حزب الشعب وجمعية العلماء وقد حلت فرنسا حزب الشعب وزجت ببعض أعضائه في السجن أما بالنسبة لجمعية العلماء فقد نفت السلطات الفرنسية الإبراهيمي إلى آفلو بالجنوب الجزائري وفرضت الإقامة الجبرية على ابن

---

(1) – نور الدين بولحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، المرجع السابق، ص326.

(2) – سعد الله، الحركة الوطنية، ج3،مرجع سابق،ص158

(3) – محمد الصالح بن محمد الهاشمي، شيخ الطريقة القادرية بالوادي، نداء لعموم أبناء قطرنا النبيل/من الوثائق الفرنسية بالأرشيف الوطني باكس ان بروفانس GGA 16H/72.

باديس[1] بالإضافة إلى بعض العلماء الذين كانوا لا يزالون في السجون. كما قامت الجمعية نفسها بإيقاف صحفها. وبالرغم من وضوح موقف الجمعية إلا أن الطرقية استغلت فرصة توقف صحف الجمعية فأخذت تطلق الإشاعات حول تأييد العلماء لفرنسا في الحرب فقد أشارت وثيقة فرنسية إلى أن صحيفة "الوفاق" كتبت مقالا بعنوان علماء الدين والأعيان الجزائريين يدافعون عن موقف فرنسا أوضحت فيه أنها (الصحيفة) علمت من مصدر موثوق أن الشيخ الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء بالإضافة إلى بعض المنتخبين المحليين وكبار الشخصيات الإسلامية في تلمسان قد بعثوا إلى الحكومة الفرنسية خطابا يحمل أسمائهم وتوقيعاتهم معلنين ولائهم لفرنسا.. وتضيف الصحيفة قائلة "لقد علمنا بأن الشيخ الإبراهيمي أضاف تعليقات على الخطاب تفيد بأنه حين علم أن جمعية العلماء ترددت قليلا في تضحية أغلى شيء في خدمة مصالح فرنسا الديمقراطية فإن الإبراهيمي استقال من منصبه ولم يتردد في محاربة هذا القرار.[2]

ذكرنا كيف أن فرنسا حرضت على الحصول على تأييد جميع فئات الشعب ومن بينهم العلماء ذلك أنها أدركت أنه من الطبيعي أن تستغل الدعاية الألمانية والإيطالية اتجاه علماء الإصلاح فخلق متاعب لفرنسا في شمال إفريقيا وبالذات في الجزائر فقد ذكرت ذلك عن طريق إيطاليا وبمساعدة من الأمير شكيب ولكنهم (الإيطاليين) حين وجدوا أن النتائج غير مرضية اتجهوا إلى استخدام الإذاعة وذلك عن طريق محطتي (باري) وراديو (طرابلس) حيث جهزت هاتان الإذاعتان في نهاية عام 1938 ليمكن التقاطها على مستوى شمال إفريقيا وتوضح الوثيقة أن مذيعي تلك المحطات كثيرا ما امتدحوا أعمال علماء الإصلاح وأنه لابد من تأييدهم ليحطوا على حقوقهم ذلك أن فرنسا لا تحترم وعودها، وتعترف هذه الإذاعات بوجود علاقات لها مع العلماء الجزائريين الموجودين في القاهرة وعن طريق هذه العلاقات اطلعت هذه الإذاعات على المعاملة القاسية التي يلقاها الجزائريون من فرنسا.

كذلك كان لألمانيا دور في هذه الدعاية فقد أنشأت السلطات الألمانية مكتب استعلامات عربي في برلين، وتدعي الوثيقة أن بعض المتعاونين مع المكتب قد احتفظوا

---

[1] –أحمد حماني، ابن باديس والثورة، مجلة الرسالة، الجزائر، العدد 4، جانفي 1941،ص 28–33.

[2] – الوفاق، العد 29 في 1941/01/19 نقلا عن وثيقة فرنسية برقم AGG 15H 18

بعلاقات مستمرة مع الشيخ ابن باديس وأسوة بالإيطاليين فقد أنشأ الألمان إذاعة تبث بانتظام من راديو برلين موجه إلى المستمعين في الجزائر حيث تحتوي هذه البرامج على ما يلي[1]:

1-معلومات عن الموقف في شمال إفريقيا

2-تأييد أعمال علماء الإصلاح

3-امتداح السياسة الألمانية تجاه الإسلام وذلك بمقارنتها بالسياسة الفرنسية والانجليزية في سوريا وفلسطين.

وأشارت الوثيقة نفسها إلى أن هتلر كان يتمتع بسمعة أحسن من زميله الإيطالي موسوليني نتيجة لسياسة الأخير في ليبيا و أثيوبيا وألبانيا والتي أدت إلى هبوط شعبيته وكذلك مما يجعل موقف ألمانيا أفضل أنه لم يسبق لها أن غزت أيا من الدول الإسلامية وتذكر الوثيقة أخيرا أن الدعاية الألمانية كانت تستفيد كثيرا من المواد المنشورة في مجلة الشهاب و "الادرادة" التونسية.[2]

وقد فطن ابن باديس إلى هذه "الحرب الايشيرية" وعللها بأنها حقد بعضه (الاستعمار) على بعض ورغبة بعضه في إثارة مستعبدي بعضه عليه واستعالتهم إلى نفسه لأن تلك الأمم المستضعفة هي مادة حياته وأساس قوته فهو يتقاتل من أجلها تنافيا عليها لا رحمة بها وإن تظاهر بالعطف والشفقة".[3]

ولقد سبق لابن باديس قبل ذلك بسنتين تقريبا إيضاح موقف العلماء من الصراع بين الكتل الأوروبية المختلفة حين أكد لا يمكن لشمال إفريقيا أن يكون آلة في يد أي دولة وذلك بقوله"وأعرف عن نفسي وعن رجال هذا الشمال الأفريقي إخواني –أننا نأبى أن نكون آلة في يد أي من الأمم التي تكيد لفرنسا إباء وترفعا تمليها علينا عز الإسلام وشمم العروبة..."[4]

---

(1) – GGA 10H88[15]

(2) – GGA 10H88[16]

(3) –عبد الحميد بن باديس، " نحن بين راديو باري وراديو الجزائر يستشهد بنا كل على الآخر" ، البصائر، العدد 165 في 12 ماي 1939.

(4) عبد الحميد بن باديس، "كلمات صريحة، الشمال الأفريقي كيف يجب أن يعالج"، الشهاب، ج9، م13، نوفمبر 1937، ص398.

الفصل السادس

العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية

- **مرحلة التوافق وأسبابها:**

- **استراتيجية التوافق عند جمعية العلماء.**
- **استراتيجية التوافق لدى الطرق الصوفية.**
- **مكانة الطرفين في الواقع الجزائري.**
- **مرحلة الخلاف وأسبابها:**
- **الاختلاف الفكري بين الاتجاهين**
- **نتائج الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية**

لقد حصل بين الجمعية والطرق الصوفية نوع من الوفاق بينهما عند أول تأسيس لها وبسببه تأسست الجمعية وانتشر صيتها، ثم حصل بعد سنة واحدة انقلاب، ولسنا ندري من المنقلب ومن المنقلب عليه، وهذا يحوجنا إلى التحقيق التاريخي في ذلك بالإضافة إلى التحقيق في النتائج التي ترتبت على ذلك الفصام، والأسباب التي دعت إليه.[1]

ضمت الجمعية أعضاء مختلفي المشارب، وقد جعلهم ذلك يختلفون في سلوكهم مع الطرق الصوفية بين معتدل ومتشدد، وبل متسامح،

بناء على هذا يمكن معرفة تلك العلاقة بشقيها الرسمي والشخصي

1- العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية

على الرغم من أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أعلنت قبل تأسيسها وبعده معاداتها للطرق الصوفية، بل حربها لها، بل تقديمها لحربها لها على حرب الاستعمار نفسه –كما يذكر الإبراهيمي– ويعلله بأن استعمار الطرق أخطر[2]، ومع ذلك فقد رأينا في الفصل السابق أن الجمعية ضمت في أول تأسيسها كثيرا من رجال الصوفية فما سر ذلك؟

وما سر ذلك الشقاق الذي دب في الجمعية بعد أول سنة من تأسيسها؟

وهل كانت الطرق الصوفية تريد أن تستلب الجمعية من رجالها لتحولها إلى مؤسسة لتسويق البدع والدعوة لها–كما يرى رجال الجمعية والموالون لهم–؟

---

[1] – نور الدين بولحية، التعامل بين جمعية العلماء والطرق الصوفية، مرجع سابق، ص126.

[2] – وقد علل ذلك بقوله:(ولقد تفرسنا فيهم فصحت الفراسة، وبلوناهم فصدق الابتلاء، وجربناهم فكشفت التجربة على أنهم لا يعرفون الأمة إلا في مواقف الاستعباد وابتزاز الأموال، فإذا مسها الضر وتنكر لها الدهر تنكروا لها وتجاهلوها، وإن علاقتهم بالأمة علاقة السيد بعبده والمالك لمملوكه لا علاقة المسلم بأخيه المسلم، يحب له ما يحب لنفسهن وأنهم مطايا الاستعمار المذلل وأيديه الباطشة، بل القنطرة التي هونت عليه العبور، وأنهم كانوا ولا زالوا على خلاف ما وصف الله به عباده المؤمنين أعزة على الأمة أذلة على المستعمرين والحكام المستبدين، وأن ليس في صحائفهم السوداء موقف يعز الإسلام أو يرفع المسلمين) أنظر آثار محمد بشير الإبراهيمي، المصدر السابق،الاثارج1ص 297.

أم أن الأمر على عكس ذلك، وهو أن رجال الجمعية استخدموا رجال الطرق الصوفية واحتالوا عليهم ليصلوا بهم إلى أغراضهم، ثم يطردوهم بعد ذلك شر طردة -كما يرى رجال الطرق الصوفية والموالون لهم-؟

ثم ما كان نتائج ذلك الفصام النكد الذي حصل بينهم؟ وما أسبابه؟ وهل كانت هنالك محاولات لرأب الصدع أم الأمر بقي كما هو؟

هذه أسئلة كثيرة تفرض نفسها، ولا يمكننا أن نعرف العلاقة الرسمية بين الجمعية والطرق الصوفية دون الإجابة عليها.[1]

1-1 مرحلة التوافق وأسبابها:

حدث نوع من التوافق المصلحي للجانبين، فقد كانت الجمعية بحاجة إلى الطرق لتعبر من خلالها إلى السلطات من جهة، وإلى كثير من أفراد المجتمع المتشبث بالطرق الصوفية من جهة أخرى.

وفي نفس الوقت كانت الطرق الصوفية بحاجة إلى هذا التوافق لتكف تلك الحرب التي أعلنت عليها منذ دخول ما يسمونهم ب(الوهابية) أو (العبداوية)[2] إلى الأرض التي كانت خالصة لهم في فترات تاريخية كثيرة.

أولا-بداية التوافق ومدته:

في سنة 1925، وبعد أن أدرك ابن باديس صعوبة تأسيس ما كان يصبو إليه من إصلاح من خلال النخبة القليلة التي كانت تشاركه آراءه وتوجهاته الإصلاحية من العلماء الأحرار الذين تخرجوا في المدارس والمعاهد الحرة، ومن الجامعات الإسلامية في وقتها مثل الزيتونة، والأزهر والقرويين أو درسوا بالحجاز. ورأى أن جمعا كبير من العلماء لا يتوافق معه في هذا

(1)- نور الدين بولحية، المرجع السابق، ص 128.

(2) - يقصد بهذا المصطلح أتباع (محمد عبده)، وقد ذكره الإبراهيمي في معرض ذكره للحرب التي ووجهت بها الجمعية (انظر: آثار الإبراهيمي:123/1).

السبيل،[1] أو لا يفكر معه هذا التفكير، وهم إما الذين تتلمذوا في المدارس الرسمية الحكومية التي تكون وتخرج الموظفين في القضاء والإفتاء والإمامة، والذين كان جلهم يظهرون ولاء كبيرا وطاعة عمياء لإدارة الاحتلال أو من الذين تتلمذوا في مدرسة الزوايا التي تخرج شيوخا يعلمون بالزوايا، ويتفرغون لخداماتها مع جمود على طرائقها وحالتها، التي هي عليها منذ أمد بعيد.[2]

بعد أن رأى هذا وأدرك صعوبة تحقيق ذلك الغرض الإصلاحي الذي يصبو إليه مع نفر قليل من المصلحين تخلى عن بعض الحدة التي كان يخاطب بها المخالفين له خصوصا من رجال الطرق الصوفية، ونشر –عبر جريدة الشهاب– نداء إلى العلماء الراغبين في الإصلاح من كل الجهات والتوجهات يقول فيه: (أيها السادة الأدباء المؤيدين للإصلاح، المتواجدين في مناطق متفرقة مختلفة في الجزائر، هلموا اتحدوا وتعاونوا، وأسسوا حزبا وثيقا (حزب ديني محض)، من أجل تنقية الدين من الشوائب والبدع التي لحقت به من السذج والجاهلين، وذلك بالرجوع إلى المصادر القرآنية، وأحاديث الرسول، وتقاليد القرون الثلاثة الأولى، نحن نتمنى أن يقبل كل شخص هذا الاقتراح، وأن يبلي نداء العلماء ومؤيدي الإصلاح الذين يؤيدون هذه الصحيفة، وأن يغادروا أفكارهم القديمة، وإذا حصلنا على شهادة استحسان وقبول من عدد كاف سنشرع في تكوين الحزب، والله الموفق).[3]

وهذا النداء من خلال عباراته لا يدل على اختصاص الإصلاحيين به، فالطرقيون ينكرون البدع ويحاربونها على حسب تصورهم لحقيقتها، ومثلهم الإباضيون، وغيرهم فالكل يتفق على

---

[1] – عبد رشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1913–1940)، دار الشهاب، بيروت،ط1420،1هـ/1999م،ص126.

[2] عبد رشيد زروقة، المرجع السابق، ص126.

[3] عبد الحميد بن باديس، نداء إلى العلماء الإصلاحيين (جريدة الشهاب، العدد (3)ن 26 نوفمبر 1925).

إنكار البدع، ويحمل في نفس الوقت تصوره الخاص بها، فلذلك لقي هذا النداء قبولا من الجميع.[1]

وبعد أن نضج ذلك التوافق، قرر ابن باديس ومن معه ممن يحمل فكره وتوجهه إنشاء هذا الحزب الديني الإصلاحي، وقد أعلن ذلك في مارس 1931م حيث خرجت الشهاب ببيان تضمن دعوة عامة إلى تكوين جمعية العلماء، ويصرح الإبراهيمي بأنها دعوة عامة لجميع علماء الجزائريين بمختلف مذاهبهم وتوجهاتهم، فيقول: (دعونا فقهاء الوطن كلهم، وكانت الدعوة التي وجهناها إليهم صادرة باسم الأمة كلها ليس فيها اسمي ولا اسم ابن باديس، لأن أولئك الفقهاء كانوا يخافوننا لما سبق من الحملات الصادقة على جمودهم، ووصفنا إياهم بأنهم بلاء على الأمة، وعلى الدين لسكوتهم على المنكرات الدينية، وبأنهم مطايا الاستعمار، يذل الأمة ويستعبدها باسمهم).[2]

فالإبراهيمي يصرح هنا بأن عبارات النداء كانت عامة تشمل الجميع، وذكر في نفس الوقت أنه والشيخ ابن باديس كانا يقصدان ذلك بدليل بأنهم لم يذكرا اسميهما في النداء، مخافة أن لا يبلي الدعوة الكثير من الجهات.

وإلى هنا فإن القصد نبيل، واللغة التي عبر بها عن المقصد كانت واضحة غاية الوضوح، وذا نجحت في أن تجذب إليها أكبر كم من العلماء بمختلف مذاهبهم ومشاربهم، من (مالكيين وإباضيين ومصلحين وطرقيين، وموظفين وغير موظفين، كما حضر الاجتماع طلبة العلم من مختلف جهات الوطن).

ولم يكن ذلك من أثر تلك النداءات الموجهة عبر الشهاب فقط، بل كانت هنالك مراسلات خاصة شملت أغلب العلماء ورجال الدين الذين كانوا من خريجي المعاهد العليا، أو أن

(1)-توفيق المدني:حياة كفاح،ج2،(1925-1954)،طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010،ص.27.

(2) – مجلة مجمع اللغة العربية، ج 21 سنة 1966، ص 143.

يكونوا من المشهود لهم بالعلم أو من الذين يتبوؤون مركزا دينيا مهما بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية أو الطرقية أو الإصلاحية.[1]

وقد وصف الشيخ الإبراهيمي نجاحه مع رفيقه ابن باديس في هذه المهمة فقال: (فاستجابوا جميعا للدعوة واجتمعوا في يومها المقرر –ودام اجتماعنا في نادي الترقي بالجزائر أربعة أيام).[2]

بل فوق ذلك يذكر الإبراهيمي كيف أن أصحاب الطرق مع علمهم بشدته وشدة ابن باديس عليهم لم يجدوا إلا التسليم لهم، بل الموافقة على إدارتهم للجمعية، وقد علل ذلك بتمكنه العلمي وتمكن المصلحين معه مقارنة بمشايخ الطرق وعلمائها الذين وجودوا أنفسهم كالتلاميذ بالنسبة لهم، يقول في ذلك: (ولما تراءت الوجوه وتعالت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم مازالوا في دور التلمذة، وخضعوا خضوع المسلم للحق، فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء، جمعتهم وحدة المشرب ووحد الفكرة... ووحدة المناهضين للاستعمار. وقد وكل المجتمعون ترشيحهم إلينا فانتخبوهم بالإجماع وانتخبوا ابن باديس رئيسا. وأصبحت الآن الجمعية حقيقة واقعة قانونية، وجاء دور العمل).[3]

هذه أول العلاقة الرسمية بين الجمعية والطرق الصوفية، وهي علاقة لم تؤسس على أساس صحيح، ولذلك سرعان ما انهارت، فالتوجهات الفكرية كانت مختلفة، بل متناقضة، ولهذا لم تستمر العلاقة إلا قليلا، بقول سعد الله: (وكأن تأسيس الجمعية هذا النحو يعتبر (شهر عسل) بالنسبة لرجال الدين عامة، وهو الشهر الذي استمر عاما فقط، لأن أهداف الجميع لم تكن واحدة).[4]

---

(1) – أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص108.

(2) – البشير الإبراهيمي، الآثار المصدر السابق، ،ج5 ، ص281.

(3) – مجلة مجمع اللغة العربية، ج21 سنة 1966، ص143.

(4) – ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص 84 .

ثانيا- أسباب التوافق:

إن لفترة التي ساد فيها بعض التوافق بين الجمعية والطرق الصوفية ولو شكلا يرجع لأسباب عدة لذلك التوافق، هل هو تنازل من الجمعية، واستسلام من الطرق الصوفية، أم أن الظروف والاحداث المستجدة هي التي أوجدت التوافق وتفطن الاستعمار للخطر أوجد الخلاف

أم أن كلا الطرفين أو حدهما كان صادقا في نيته ولم يكن له من مقصد سوى الاهتمام بخدمة البلد الذي كان في أمس الحاجة إلى اتحاد جميع أبنائه بمختلف توجهاتهم ومذاهبهم؟

1- إستراتيجية التوافق عند جمعية العلماء :

يكاد يتفق أكثر الباحثين في ذلك التوافق الذي حصل بين الجمعية والطرق الصوفية في تلك السنة القصيرة على اعتباره نوعا من التوافق المؤقت المحدود – كما يعبر الدكتور أبو القاسم سعد الله– بدليل المناصب الهامة التي تولاها المصلحون.[1]

وبرر ذلك بأن الواقع المحرج الذي كان يعيشه أعضاء الجمعية لا يسمح لهم بتحقيق أهدافهم الإصلاحية إلا باستعمال بعض الطرق والأساليب الخاصة، فقال: (ومن هنا يتضح أن موقف العلماء لم يكن سهلا، ، فهم من جهة كانوا يريدون تحقيق مبادئهم وأهدافهم بأية وسيلة مشروعة، ومن جهة أخرى كانوا واقعيين تحت طائلة إجراءات استثنائية مستعدة لعرقلة سيرهم بل وضعهم في قفص الاتهام، لذلك كانوا يناورون ما وسعتهم الحيلة والمناورة ويجاملون ولكنهم لا يتنازلون عن مبادئهم، ومن أجل ذلك اصطدموا مرات بالإدارة).[2]

وقد ذكر محمد الأخضر السائحي الطريقة التي قامت بها الجمعية لإخراج الطرق الصوفية منها، أو لعدم تمكينها من أي موضع فيها، وذلك أنهم دبروا خطة تتمثل في تغيير أوراق

---

[1] – ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص83.

[2] –عبد الكريم بوصفصاف:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1931–1945)،دار البعث،قسنطينة، ص138.

الانتساب إلى الجمعية، وذلك بناء على امتحان يقوم به شيخان من العلماء لإثبات علمية المنتسب أو جهله.

وقام الشيخ أبو اليقظان بطبع الأوراق الجديدة ذات اللون الأزرق عوضا عن الأوراق القديمة ذات اللون الأصفر، وخاف الطرقيون من الامتحان، وبذلك فشلت محاولتهم بصورة قانونية.[1]

وهذا هو الواقع الذي مارسته الجمعية في كثير من مراحلها، فهي تشتد مع المخالفين إذا اتيحت لها فرصة لذلك التشدد وتلين كلما وجدت نفسها في مواقف محرجة لا تستطيع أن تحقق أهدافها الإصلاحية إلا من خلالها.

وكمثال على ذلك موقف رجال الجمعية بوادي سوف –باعتبارها من المناطق التي تنتشر فيها الطرق الصوفية بكثرة من قادرية وتيجانية ورحمانية (عزوزية)، وشابية وعلوية –وهذا ما جعل الشيوخ يتخذون مواقف مختلفة: إما التسامح مع الجميع دون إبداء التعصب لطريقة أخرى مثلما فعل الشيخ إبراهيم بن عامر، أو الالتزام بطريقة معينة مثلما كان يقوم به شيوخ بلدة قمار الشيخ محمد بن البرية ومحمد الصالح بن الخوصى من خلال انتمائهم للطريقة التيجانية.[2]

كما كان هنالك طائفة أخرى من العلماء الذين حاولوا تجنب الطرق الصوفية في السعي والتحرك على مستوى التعليم والوعظ، والإرشاد، وهم علماء عديدون أهم علماء حاضرة الزقم، حيث كانت الطرق أقل عنفوانا، بالإضافة إلى عمار بن الأزعر الذي كان صاحب موقف

---

(1) –محمد الأخضر السائحي، محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، ط2، دار هومه للطباعة والنشر، بوزريعة، الجزائر:2001، ص 32.

(2)–محمد ناصر،الشيخ إبراهيم بن بيوض مصلحا و زعيما، مكتبة السريام، الدار البيضاء، الجزائر،دت،ص.89.

واضح من الطرق الصوفية، وهذا من خلال ما كتبه هذا الأخير من مقالات في الجرائد كجريدة (البلاغ الجزائري) وجريدة (النجاح) معاديا الشيخ عمار بن الأزعر.[1]

بل إن الأستاذ حمزة بوكوشه يذكر أنه كان من رجال الجمعية من (ينتسب إلى طريقة من الطرق الصوفية يحتمي بها وتحتمي به وينتسب إليها وتنتسب إليه سواء كان ذلك منه عن إيمان واعتقاد أو عن تقية أو مجاراة للعوام الذين من أصول اعتقادهم أن لا شيخ له فالشيطان شيخه.[2]

2- إستراتيجية التوافق لدى الطرق الصوفية:

يكشف الشيخ الإبراهيمي هذه الاستراتيجية بقوله : (لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألفت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت موتها، ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطن، وكان المجلس الإداري الذي تألف بالاختيار في السنة الأولى غير منقح ولا منسجم لمكان العجلة والتسامح، فكان وجودهم في المجلس الإدارة مسليا لشيوخ الطرق ومخففا من تشاؤمهم بالجمعية لسهولة استخدامهم لهم عند الحاجة، فإما أن يتخذوهم أدوات لإفساد الجمعية وإسقاطها، وإما أن يتذرعوا بهم لتصريفها في مصالحهم وأهوائهم).[3]

ومن خلال هذا النص يتبين لنا أن الطرق الصوفية لم تكن راضية عن تلك الشحناء التي كانت منصبة عليها، ولذلك كانت تلتمس كل السبل لتتقي هجومات الإصلاحيين عليها

---

(1) – محمد الطاهر تليلي، من تاريخ واد سوف، نقلا عن موسى بن موسى: (الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها (1900–1930، ،2005. ص 77،

(2) – علي غنابزية، العلامة إبراهيم العوامر، ص11.

(3) – البشير الإبراهيمي، الآثار المصدر السابق، ج1، ص188.

ثالثا - مكانة الطرفين في الواقع الجزائري :

كان المجتمع الجزائري منذ قرون طويلة مرتبطا في نواحيه جميعا الدينية والاجتماعية والثقافية بل حتى السياسية بالطرق الصوفية ارتباطا شديدا، ولذلك استطاع رجال الطرق أن يجندوا بسهولة أتباعهم لمحاربة المستعمر، وكان لها السبق في ذلك. بالإضافة إلى سبقها في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين وقد أقر الإبراهيمي بهذا ناقد له، فقال: (ولكن أنى للأمة الجزائرية باجتماع العلماء وتآخيهم في العلم، وإن الطائفة التي يطلق عليها هذا الاسم حقيقة أو ادعاء بهذا القطر هي طائفة متنافرة متنابذة، كأن من كمال العلم عند بعضها أن يبغض العالم العالم ويجفو العالم العالم، شنشنة معظم الشر فيها آت من الزوايا الطرقية التي تعلم فيها أولئك العلماء أو علموا فيها، والكثرة الغالبة في علماء الجزائر قبل اليوم تعلمت بالزوايا أو علمت العلم في الزوايا، فمن الزوايا المبدأ وإليها المصير. وزوايا الطرق في باب العلم كمدارس الحكومات هذه معامل لتخريج الموظفين، وتلك معامل لتخريج المسبحين بحمد الزوايا والمقدسين).[1]

وما ذكره الإبراهيمي كان يدعوه في الأصل كما يدعو الجمعية جميعا إلى استغلال هذه الطاقات في الطرق الصوفية لتوجيهها لمصلحة البلد الجاثم تحت الاستعمار، ثم تترك مسائل الخلاف بعدها لمحلها الخاص بعد التخلص من العدو المشترك الأكبر[2].

لكن الجمعية لم تكن ترضى بهذا، فقد كانت تتصور أن الاستعمار الطرقي أخطر من الاستعمار الفرنسي، بل إن الشيخ الطيب العقبي –وهو أكثر الأعضاء تشددا في الجمعية– عارض المطالبة بالاستقلال قبل التحرر من الاستعمار الطرقي، فقد ورد في البصائر تلخيص لخطاب ألقاه الشيخ العقبي سنة 1937م يوضح هذا المعنى، يقول كاتبه: (وبين أنه

---

[1] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج1، ص188.

[2]– عبد القادر جغلول،الاستعمار و الصراعات الثقافية الجزائرية،ترجمة سليم قسطون،ط1، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص.125.

لا يوافق السيد مصالي الحاج ومن معه من الإخوان على فكرة الاستقلال الذي هو بعيد عن الأمة الجزائرية، وهي بعيدة عنه ما دامت لم تستقل في أفكارها وكل مقومات حياتها، وما دامت لا تقدر أن تحرر نفسها من رقبة بعض المرابطين واستعبادهم لها باسم الدين فكيف يطير من لا جناح ولا ريش).[1]

بل إن بعض كتاب الجمعية كتب في جريدة (الشريعة النبوية) يفضل المستشرقين على أصحاب الطرق، ففي مقال تحت عنوان (الدين الإسلامي بين المبشرين والمبتدعين)[2] لكاتب يدعى (محمد جير فودة) يقول فيه: (لست أذيع سرا إذا ما جاهرت عن يقين ثابت وعقيدة راسخة بأن المسلمين الآن بين شقي الرحى، تضغطهم أعمال المبشرين التي ذاع أمرها واستفاض خبرها، وتصرفات المبتدعين الذين يدخلون في الدين ما ليس منه، ولئن حمدت للأمة اهتمامها بأمر المبشرين وانتهاج الوسائل المؤدية إلى الحد والقضاء على أغراضهم، فإنه لا يزال عالقا بنفسي أثر سيء مما يأتيه المبتدعون هادما لبنيان الدين، وناقضا لتعاليمه من أساسها، ولو أحسنت الحكومة صنعا لعملت على تحرير الدين مما علق به بفعل جماعة من المسلمين لا يعنيهم من أمر دينهم غير أن تشبع بطونهم وتمتلئ جيوبهم، أولئك على الدين أشد ضررا وأكثر خطرا من المبشرين).[3]

ثم بين وجه تفضيله للمبشرين على الطرقيين بقوله:(ذلك لأن جماعة المبشرين إنما يدعون إلى الخروج على الدين إطلاقا ويروجون لاعتناق دين غيره، وتلك دعوة ينبني على مجرد الجهر بها النفور عنها اللهم إلا عند نفر قليل تدفعهم الحاجة إلى الاستسلام وتغريهم الفاقة بالاستكانة، وهؤلاء لا يلبثون أن يصدوا عن الدعوة ويرجعوا إلى الهدى عندما يرون بأعينهم أن المنشآت التي أعدت لهم بين أهل دينهم ستغنيهم عن التردد على أماكن المبشرين فتكتب

---

[1] – البصائر، 1/ع31/ص1.

[2] – جريدة الشريعة النبوية في عددها السادس 21 أوت 1933.

[3] – جريدة الشريعة النبوية في عددها السادس، الصادر يوم الإثنين 21 أوت 1933، ص6.

لهم النجاة من المهاوي السحيقة التي كانوا على وشك التردي فيها، ولكن ما ظنك بجماعة ليسوا من المبشرين حتى نتجنبهم، ولا يدعون للخروج على الإسلام حتى نتحاشاهم، وإنما هم مسلمون أولا، يلبسون لباس الإسلام، ويتزيون بزيه وجاءوا تحت ستار ما أنزل الله بها من سلطان بدعوى أن تلك الخرافات من الدين و وأن من لم يتبعها وينسج على منوالهم فيها يبوء بغضب من الله ورسوله ويكون من الكافرين.. لا شك أن هؤلاء أشد ضررا على الإسلام من المبشرين الذين قدمنا أن معالجة أمرهم باتت وشيكة النجاح، وأن دعوتهم عند الكثيرين لا تصادف ما قدر لها من رواج).[1]

عملت الطريقة العلاوية في محاولات كثيرة على التقريب في وجهات النظر و الدعوة إلى وحدة الصف ، و تكررت دعواتها للمصلحين بالاجتماع معها على الأهداف المشتركة، وترك الخلاف،ومن الأمثلة على ذلك البلاغ الذي نشرته صحيفة البلاغ الجزائري، والذي تدعو فيه إلى (رفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة وفي أي مذهب من مذاهبها، ما دام لا أحد يمكنه نيل إجماع الأمة، فيكون محل ثقتها ومرجعيتها الوحيدة، والكل في دعواه ومذهبه يدعي الاستناد إلى القرآن والسنة وإجماع الأمة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها ولا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها ما دام الجميع متحدا على كلمة فيما عدا ذلك من الفروع).[2]

وفي محل آخر كتبت نفس الصحيفة تتساءل: (ما الذي يمنع الناس من الاتفاق والتعاهد على تأسيس الأندية والتعاضد على تأسيس للاجتماع والمدارس الخصوصية لتعليم العربية وآدابها الراقية ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.. كما تساءلت عن ما يمنع الناس من صرف

---

[1] – جريدة الشريعة النبوية،المرجع السابق ، ص7.

[2] – البلاغ، البلاغ الجزائري، ع: 19، مستغانم: 6 ماي 1927، ج1، ص60.

أموال الولائم والمآتم والموائد والزوائد في تعليم أبنائهم القراءة والكتابة والحساب وفق النظم الحديثة المعمول بها في العالم).[1]

وقد كان هذا سلوك شيخ الطريقة العلاوية الذي عبر عنه في رسائله ومقالاته، وكل ما نشر له، فقد كان همه الدعوة لتوحيد الجهود للإصلاح ونبذ التعصب والخلاف ولعل من أهم مواقفه في هذا، إرساله في احتفال للطريقة سنة 1938 دعوة خاصة إلى العلماء الإصلاحيين بلغته البسيطة يقول فيها: (إليكم أيها السادة الكرام، والعلماء الأعلام، أوجه خطابي وأنهي كلامي، بصفتكم داعين إلى الكتاب وسنة رسول الله ﷺ، ويا ما أسعدنا وأسعدكم بإقامة هاته الدعوة، والعمل على ما تقتضيه التقوى وطالما تكررت على مسامعنا وأسماع غيرنا، و ها هو قد هيأ الله لنا أسباب الاجتماع، وطرق الانتفاع، بحلول اجتماع العلويين المقبل، فهيا نشد العضد ببعضنا، للتمييز بين الصحيح والفاسد، فيها بنا نتحد على ما يوافق صريح النقول، ثم نتفاهم فيما وراء ذلك بما هو معقول، فهيا بنا نمد لبعضنا يد المساعدة فيما نراه صالحا لنفع الأمة، ومفيدا لتشييد صروح الملة، فهلم لتنظروا أحوال إخوانكم العلويين، وما هم عليه في اجتماعاتهم وتذكيراتهم، فإن كانوا على الجادة والصراط المستقيم، تشكرونهم وتوازروهم وتتخذوهم عضدا وإن كانوا على غير ذلك فذكروهم بألطف عبارة وأرق أسلوب. فهلم إلينا نتفاوض فيما يزيل من بيننا تلك الفوارق القاضية على جمعنا ومجموعنا، فهلم إلينا ننهي دور القول ونشرع في دور العمل).[2]

لكن الإصلاحيين للأسف لم يقبلوا هذا إلا أن الشيخ أبا يعلى الزواوي خالفهم في ذلك، وقد انتقد انتقادا شديدا من الجمعية بسببه.

---

[1] –(الإصلاح الإصلاح)، البلاغ الجزائري، ع:68، مستغانم: 4 ماي 1928.

[2] – عدة بن تونس، الروضة السنية، المطبعة العلاوية، مستغانم، ص66.

ومما ذكره في شهادته على استعداد الطرقيين للإصلاح والحوار قوله: (صاحبي ابن عليوة...أشهد الآن بين يديكم أني ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوي إلا استحسن وسلم حتى قال: إن حملاتك إن كانت علينا مقبولة وإن كانت لنا فهي أحسن لنا، ويخاطبني قائلا: إنك بنظريتك السياسية والاجتماعية ننقاد إليك ونعمل بإشارتك، وما زال طامعا فيه، أي بأن نتفق على كتاب الله وسنة رسوله وصرح لي أمام جمع أنه أظهر لكم – معشر الإخوان– في الدين والوطن والجنس–أن نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين... ولم أرى ولم أسمع من غيره من الشيوخ الذين عرفتهم إلا الصدود وتعير الخدود ومقتي بأني كافر بهم وببدعهم، وقلت لكم وما زلت أقول أنه –أن الشيخ ابن عليوة يقول لكم: (مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة وللأمة).[1]

ويذكر أبو يعلى الزواوي أن الشيخ ابن عليوة كان يرى أن (لا نهوض لأمتنا إلا بتوحيد التربية والتعليم وتعميمها، فينشأ النشء الجديد على دين واحد، ومذهب متحد في النهضة والإصلاح، لتتقرب المدارك والمقاصد، وتكون التعاليم صحيحة ذات تسامح ديني، وذات اجتماع وحسن العشرة والمعاملة مع الموافق والمخالف في الدين، ذلك أن أوروبا وأمريكا مخالفون لنا وغالبون متقدمون علينا، ولا مانع لنا من الدين أن نقسط إليهم ونبرهن لهم بأن ديننا دين مدنية وعشرة ومساعدة ولا إكراه فيه...).[2]

2-1 مرحلة الخلاف وأسبابها:

يصور رجال الجمعية ومن وافقهم، وهم أكثر الباحثين والكتاب، حادثة الانشقاق التي حصلت بين الجمعية والطرق الصوفية بنادي الترقي يوم 23 ماي 1932 على أنها حادثة مشؤومة كان الهدف منها هو استيلاء الطرقيين على الجمعية لخدمة مآربهم.

---

[1] – أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، دار البعث، فسنطينة: 1984، ط1، ج2، ص71.

[2] – أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ص79.

وقد عبر الزاهري –الذي كان حينها عضوا إداريا لجمعية العلماء، وقبل انشقاقه هو الآخر عن الجمعية – عن ذلك بعد سنة من حصوله فقال: (كان يوم 23 ماي من السنة الماضية من أشد الأيام على هذا الوطن شؤما وسوادا، ففيه جمع المفسدون أمرهم وشركائهم ثم تقدموا إلى جمعية العلماء المسلمين فأثاروا عليها غارة شعواء من الشغب وأرادوا بها كيدا فكانوا هم الأخسرين).[1]

ذكر الزاهري واصفا الاحداث ذاكرا أنه في نحو الساعة السادسة من صباح يوم 23 ماي 1932 مضى بعض الإصلاحين من علماء الجمعية إلى دار إحدى الجمعيات في الجزائر (العاصمة)، (فوجد هنالك جموعا غفيرة من الناس قد تجمهروا أمام الدار، وتجمعوا داخلها حتى ملأوا صحنها وغرفها وحجراتها، فظن أنه أمام مكتب من المكاتب التي يفتحها المترشحون لأحد الانتخابات لشراء الأصوات !! ودخل الدار فوجد أن شيخ الحلول[2] قد جلس في صدر المجلس على هيئة بارزة تستلفت إليه الأنظار، وكان مريضا مثقلا لا يستطيع أن يجلس طويلا فأحيط –لذلك– بكثير من المساند والوسائد والمخدات، وكان إلى جانبه ثلاثة أشخاص يوزعون على الناس الأوراق والوصولات، أما الوصولات فكانت زائفة مصطنعة وهي من الفئة ذات العشرة فرنكات التي تعطيها جمعية العلماء أعضائها العاملين الذين لهم حق الانتخاب، وأما الأوراق فكانت تشتمل على قائمة بأسماء الذين رشحوا أنفسهم لكي يكونوا أعضاء المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين، وهم ليسوا بعلماء ولكن كانوا لأنفسهم يظلمون).[3]

---

(1) – الأستاذ الزاهري، الإثنين يوم 23 ماي 1932، جريدة الشريعة النبوية، السنة الأولى، العدد2، قسنطينة، ص6.

(2) – يقصد أعضاء الجمعية في كتباتهم بشيخ الحلول عادة (الشيخ ابن عليوة)، وقد يقصدون به كذلك غيره من رجال الطرق الصوفية وخصوصا الحافظي.

(3) – الأستاذ الزاهري، يوم 23 ماي 1932، جريدة الشريعة النبوية، السنة الأولى، ص6.

إن أساس الخلاف الإداري الذي حصل بين الجمعية والطرق الصوفية انطلق من تصور كلا الفريقين لنوع التعليم يسمح لصاحبه بأن يكون عالما، فللجمعية تصورها في هذا، وللطرق الصوفية تصورها الخاص.

بل إن هنالك من أعضاء الجمعية من اختلف معها في هذا التصور، وهو الشيخ أبو يعلى الزواوي الذي حصلت مناوشات بينه وبين الجمعية بسبب ذكره بعض مقالاته أن في الطرق الصوفية علماء.[1]

بناء على هذا يذكر الزاهري أن الإصلاحي فوجئ بتلك القائمة وتقدم-كما يذكر- (من شيخ الحلول وعاتبه على هاته الأوراق والوصولات الزائفة التي يوزعها مجانا بلا أدنى مقابل على الذين لم تتوفر فيهم الشروط التي تؤهلهم لكي يكونوا بجمعية العلماء أعضاء عاملين).[2]

حيث يذكر أن الإصلاحي خاطب الطرقي الحلولي بقوله: (إن هذا هو عمل من يسعى لهدم هذه المؤسسة المباركة التي لم يخلق مثلها في البلاد، وما ينبغي لك-أنت في شيبتك وشيخوختك- أن تكون في يد (فلان) آلة من آلات الهدم والتخريب والإفساد على أن هذه الجمعية هي جمعية العلماء، وليست جمعية متصوفة ولا جمعية أشياخ طرق، فما يكون لك -أنت المتصوف- أن تدخل فيها !)[3].

فيرد عليه الطرقي أو كما يحلو للزاهري أن يسميه (شيخ الحلول): (إن بيني وبين الشيخ ابن باديس عداوة شديدة ما أنساها أبد الدهر، وأما العلماء الآخرون فليس بيني وبينهم شيء إلا أنهم أصحابه وإخوانه)

---

(1)-أرزقي محمد، الأفكار الاصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي،دار الأصيل،تيزي وزو،الجزائر،2009، ص.41.

(2) – جريدة الشريعة النبوية،مصدر سابق.23 ماي 1932.

(3) – علي مراد، مرجع سابق،ص 232.

فيسأله الإصلاحي: وماذا بينكما؟

فيجيب الطرقي، وهو بقصد الشيخ ابن عليوة نفسه: كنت نشرت كتابا واستشهدت فيه ببعض الأحاديث النبوية التي قلت أنها واردة في صحيح البخاري ومسلم، والحقيقة أنها لم ترد لا في البخاري ولا في مسلم، وإنما أنا الذي غلطت وأخطأت، فما كان من الشيخ بن باديس إلا أن نشر في الشهاب انتقادا شديدا فضحني فيه وحط من قيمتي بين أتباعي وأظهر أغلاطي وأخطائي أو قل أظهر للناس أكاذيبي[1].

فيجيبه الإصلاحي: لو لم تكن أنت نشرت الكتاب محشوا بالأغلاط والأخطاء لكان حقا لك على الشيخ أن يستر عليك جهلك، وأن لا يفضحك أمام الناس، أما وقد طبعت كتبك ونشرته بين الناس فمن واجب الشيخ ابن باديس ومن واجب كل عالم يغار على السنة النبوية أن يصحح أغلاطك وأخطائك للناس حتى لا يضلوا بها، وعلى كل حال فهذه مسألة شخصية لا يحسن بك أن تتخذها حجة وذريعة لهدم هذا المشروع العمومي العظيم.

وهنا يذكر الزاهري –على طريقته في الأسلوب الذي لا يمكن التمييز فيه بين الحقيقة التاريخية، والتعبير الأدبي الفني –بأن (شيخ حلول –تحرك– من مكانه وتحلحل ثم قال في لهجة الواثق بنفسه: (فات الحال! لا بد لنا أن نستولي على جمعية العلماء ولابد أن نطرد عنها كل عالم من العلماء وكل طالب من طلبة علم، ولابد أن تكون هذه الجمعية خالصة لنا من الناس، ولا يمكن لنا بحال أن نرجع عن محاربة جمعية يرأسها الشيخ ابن باديس).[2]

يقول الزاهري بأن رجال الطرق الصوفية قدموا رشاوي للناخبين لأجل أن ينتخبوهم، وقد افتتح ابن باديس الجلسة الأولى وبحلول الساعة التاسعة من صباح ذلك اليوم من جلسات الاجتماع العمومي لجمعية العلماء بخطاب وصفه الزاهري بكونه (آية من آيات البلاغة،

---

[1] – الأستاذ الزاهري، يوم 23 ماي 1932، جريدة الشريعة النبوية، السنة الأولى، ص6

[2] – صالح خرفي،محمد سعيد الزاهري،م.و.ك. الجزائر،1986،ص.56.

وجاء جامعا لكل الموعظة والذكرى، فخشعت له القلوب وفاضت له الأعين من الدمع، ولكن الذين طبع الله علة قلوبهم فلا تنفع فيها الذكرى، وجعل في آذانهم وقرا فهم لا يسمعون قد كرهوا هذا الخطاب وقالوا: لا تسمعوا له والغوا فيه لعلكم تغلبون، فهاجوا وماجوا، وأكثروا اللغط والضوضاء، وكانوا مأجورين على أن يحدثوا في هذا الفتنة والشغب والفوضى).[1]

ويذكر الزاهري كيف بدأ الشيخ ابن عليوة حديثه –متهكما به– بقوله: (وانتصب (الجاهل الأمي) كزعيم لهؤلاء المشاغبين وجعل (يروث من فمه) ويسيء الأدب بحق هذا الاجتماع الحافل بالعلماء والأعيان، وكان الأستاذ باديس يخاطبه قائلا: (يا سيدي فلان) بكل هذا اللطف والأدب، ولكنه هو كان يقول للرئيس: (يا ابن باديس (أي بضم النون ابن) فكان العلماء يضحكون من جهل هذا المخلوق، ويعجبون من وقاحته وقلة حيائه ، وكان كل واحد إذا أراد أن يتكلم رفع يده وطلب من الرئيس أن يأذن له بالكلام إلا هذا المخلوق فإنه هذا المخلوق فإنه يتكلم بلا استأذن ونصب نفسه للرد على كل أحد وللجواب عن كل كلام، وكان يقول الكلمات الجارحة حتى اضطره الرئيس مرارا عديدة إلى أن يسحب كلامه وأن يبادر بالاعتذار، وذات مرة أراد أن يكون نظاميا متأدبا لا يخرق سياج الأدب والنظام، فرفع يده للرئيس: (أطلب الكلام) (بضم الهمزة وكسر اللام الممدودة) فلج الحاضرون في الضحك وقضوا من العجب).[2]

بهذا الأسلوب التهكمي الساخر ذكر الزاهري أخطر حدث حصب في تاريخ الجمعية، وهو يشير إلى ما كان يغلب على أعضاء الجمعية من تقديم أصحاب اللسان والفصاحة والبلاغة باعتبارهم وحدهم العلماء، أما من كان ضعيفا في هذه النواحي فهو عندهم جاهل أمي يستحق أن يضحك عليه ويسخر منه.

---

[1] – الأستاذ الزاهري ، المصدر السابق، ص1.

[2] – نفسه، ص6.

ونرى بوضوح –أيضا– كيف أنه ذكر سوء أدب الطرقيين و مشاغبتهم، مع عدم ذكره ما شاغبوا به وما شاغبوا لأجله، وغفل في نفس الوقت عن ذكر سوء أدب الإصلاحيين الذي يتتبعون سقطات الألسن، فيمتلئون منها ضحكا، ويقضون منها عجبا، و الأعجب من هذا كله أن الزاهري المعروف بنقله للحوارات المفصلة لم يذكر ما قاله هذا (الجاهل الأمي) بزعمه، حتى نعرف أساس الخلاف، وإنما اكتفى بكونه لا يعرف كيف يعرب المنادي، في نفس الوقت الذي كان فيه كلام ابن باديس (آية من آيات البلاغة) ،بعد هذا التعقيب الذي أنفسنا مضطرين لذكره[1] ذكر الزاهري كيف أن (القوم –أي رجال الطرق الصوفية– تواصوا بالشر، وتواصوا بالمكر، واتفقوا فيما بينهم على أن يشاغبوا ويغلطوا إذا تكلم الأستاذ بن باديس أو غيره من العلماء، وأن يتظاهروا بالقبول والرضى إذا تكلم واحد من خمسة من أصحابهم قد عينوهم للكلام في هذا الاجتماع، وقد لقنهم بعض الناس أن يقولوا (صواب، صواب) لكل متكلم من هؤلاء الخمسة).[2]

كان الشيخ الزاهري أديب الجمعية وشاعرها بصدر أحكاما قاسية ضد كل من يعارض علماء الجمعية من المصلحين ، فهم–كما يرى الزاهري– (يحملون في صدورهم لجمعية العلماء أسوء المقاصد، وأخبث النوايا)، وهم (يريدون أن يستولوا على جمعية العلماء، وإلا فإنهم عزموا على إحداث فتنة عمياء تسيل فيها الدماء، وحينئذ يمكنون للحكومة أن تحل الجمعية وأن تغلق نادي الترقي، ولكنهم خابوا في كلتا الأمنيتين، هذا ما ذكره الزاهري عن الحادثة بعد مرور سنة عليها، وقد رأينا أنه –للأسف– لم يذكر ما جرى في ذلك الجمع، وما قاله الطرفان، وأن كل ما ذكره مجرد تحامل خطابي على الطرقيين ورميهم إما بالقاصد الخسيسة، وإما بالعي والحصر وعدم القدرة على البيان والبلاغة شأن رجال الجمعية الإصلاحيين وهذا ما يراه الطرقيون من إفتراء ليس له سند .

---

[1] – نور الدين بولحية، مرجع سابق، ص114.

[2] – الأستاذ الزاهري، يوم 23 ماي 1932، جريدة الشريعة النبوية، السنة الأولى، ص6.

ونفس الأمر يكاد يذكره الشيخ الإبراهيمي، فهو عند استعراضه لذلك المجلس المشؤوم الذي تصدع فيه شمل الجمعية، لم يذكر ما قيل وما حصل بالتفصيل، وإنما اكتفى بذكر قدرات الإصلاحيين مقارنة بقدرات الطرقيين، ونيات المصلحين وأغراضهم مقارنة بنيات الطرقيين وأغراضهم[1].

فتحت عنوان (جمعية العلماء حقيقة واقعة) كتب يقول: (رأيت الآن أن السر في تأسيس جمعية العلماء بتلك السهولة وبتلك المحاولة الهينة هو استعداد الأمة لظهور هذا المشروع العظيم فيها. فانقادت إليه بشعرة وانجرت إلى بناء صرحه بنملة وعلمت مما أجملناه لك من مراحل هذا المشروع أن الشعور به كان من نصيب طبقات مخصوصة وهم المتأثرون بالإصلاح، وفي ناحية محدودة من القطر وهي إقليم قسنطينة، ثم تغلغل في الأقاليم الثلاثة في بضعة أعوام وتحول التفكير في مكان التأسيس من قسنطينة التي هي الجناح إلى الجزائر التي هي القلب، ومعنى هذا كله أن الأمة الجزائرية استيقنت سفه الأيدي التي كانت تقودها باسم الدين فصممت على التلفت منها وإلقاء المقادة إلى أيدي العلماء لتبتدئ السير في نهضتها على هدى وبصيرة، فقالت للعلماء اجتمعوا فاجتمعوا).[2]

بهذا الحكم المبدئي الذي ينطلق من تبيان الأثر الكبير للإصلاحيين، وخصوصا من كان منهم في إقليم قسنطينة، ينطلق الإبراهيمي ليعتبر أن كل من لم يكن من هذين الصنفين، فلا حق له في التفكير في الإصلاح، أو لا طاقة له في التفكير فيه.

وبشدته المعروفة يواصل تبيان قوة الإصلاحيين التي استطاعت أن تدحر أولئك الطرقيين أصحاب النيات السيئة في أول جلسات الجمعية، و يقول في ذلك: (لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألفت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت على موتها، ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك

[1] – البشير الإبراهيمي، الآثار المصدر السابق، ج1، ص187

[2] – نفسه، ص188.

الجماعات إلا أن سايرت الجمعية في الظاهر وأسرت الكيد لها في الباطن، وكان المجلس الإداري الذي تألف بالاختيار في السنة الأولى غير منقح ولا منسجم لمكان العجلة والتسامح، فكان من بين أعضائه أولو بقية يخضعون للزوايا وأصحابها رغبا ورهبا، وكان وجودهم في مجلس الإدارة مسليا لشيوخ الطرق ومخففا من تشاؤمهم بالجمعية لسهولة استخدامهم لهم عند الحاجة فإما أن يتخذوهم أدوات لإفساد الجمعية وإسقاطها، وإما أن يتذرعوا بهم لتصريفها في مصالحهم وأهوائهم).[1]

إن الذين ذكرهم الإبراهيمي، والذين كانوا أعضاء في الجمعية أول تأسيسها لم يكونوا أقل شأنا في النواحي العلمية والأدبية من الإصلاحيين أنفسهم، فالشيخ مولود الحافظي كان عالما أزهريا يحمل الكثير من المشاريع الإصلاحية التي لا تقل شأنا عن المشاريع التي حملتها الجمعية.

ومع ذلك فإنه –في تصور الإبراهيمي– لم يرق إلى مرتبة الإصلاحيين باعتباره خاضعا للزوايا رغبة أو رهبة بخلاف الإصلاحيين الذين (صرحوا من أول يوم بأنهم سائرون بهذه الجمعية على المبدأ الذي سائرين عليه من قبلها، ومن محاربة البدع والخرافات والأباطيل والضلالات ومقاومة الشر من أي ناحية جاء).[2]

ويذكر الإبراهيمي نفس ما ذكره الزاهري من قدرات الإصلاحيين مقارنة بقدرات غيرهم، وكيف أنه (انقضت السنة الأولى.. وبدأ الأعمال تظهر مراتب الرجال فاضطلع المصلحون وحدهم بالأعمال التمهيدية –وماهي بالحمل الخفيف–).[3]ولعل الشيخ الإبراهيمي يشير هنا إلى ما ذكره في موضع آخر، فقال: (كلفني إخواني أعضاء المجلس الإداري في أول جلسة أن أضع للجمعية لائحة داخلية نشرح أعمالها كما هي في أذهاننا لا كما تتصورها الحكومة

---

(1) – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج1، ص188

(2) – نفسه، ص189.

(3) – البشير الإبراهيمي الآثار المصدر السابق، ج1، ص188

وأعوانها المضللون منا، فانتبذت ناحية ووصلت طرفي ليلة في سبكها وترتيبها، فجاءت في مئة وسبع وأربعين مادة، وتلوتها على المجلس لمناقشتها في ثماني جلسات من أربعة أيام، وكان يحضر الجلسات طائفة كبيرة من المحامين والصحافيين العرب المثقفين بالفرنسية، فأعلنوا في نهاية عرض اللائحة إيمانهم بأن العربية اللغات، وأنها أصلح لغة لصوغ القوانين ومرافعات المحامين، وكأنما دخلوا الإسلام من ذلك اليوم، وخطب الرئيس عند تمام مناقشة اللائحة وإقرارها بالإجماع خطبة مؤثرة أطراني فيها بما أبكاني من الخجل، وكان مما قال: عجبت أنجب مثل فلان أن يضل في دين أو يخزى في دنيا، أو يذل لاستعمار. ثم خاطبني بقوله: وري بك زناد هذه الجمعية).[1]

من وجهة نظر الإبراهيمي يرى بأن الطرقيين في السنة التالية أرادوا –وعبر الانتخابات التي نص عليها قانون الجمعية –أن يكون لهم مكان في ريادة الجمعية، ولا ينبغي لهم ن يحلموا هذه الحلم أو يفكروا هذا التفكير.

يعتبر الإبراهيمي الحادثة، باعتبارها مؤامرة خبيثة، لا باعتبارها حقا قانونيا لكل منتسب للجمعية: (ولما جاء أجل الانتخاب للدورة الثانية هجم العليوين ومن شايعهم على ضلالهم تلك الهجمة الفاشلة بعد مكائد دبروها، وغايتهم استخلاص الجمعية من أيدي المصلحين، وجعلها طرقية عليوية واستخدامهم هذا الاسم الجليل في مقاصدهم الخاطئة كما هي عادتهم في إلباس باطلهم لباس الحق، ووقف المصلحون لتلك الهجمة وقفة حازمة أنقذت الجمعية من السقوط ومحصتها من كل مذبذب مضطرب المبدأ، وتألف المجلس الإداري من زعماء الإصلاح وصفوة أنصاره، ورأى الناس عجيب صنع الله في نصر الحق على الباطل[2]

---

[1] – بوغانم بو غزالة،الطريقة العلاوية في الجزائر مكانتها الدينية و الاجتماعية 1909–1934،رسالة ماجستير،جامعة قسنطينة،د ط،ص.143.

[2] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق ، ج1، ص188.

لقد أدى احتدام الصراع بأن قام الشيخ عبد الحميد بن باديس –باعتباره رئيس الجمعية– باستدعاء الشرطة إلى نادي الترقي للمحافظة على الأمن وبعد أن رأى أن الجو لم يعد مناسبا بسبب ما حدث من فوضى الجانبين ، وقد انتقد في ذلك نقدا لاذعا وليم على استدعاء الشرطة (الفرنسية طبعا) لفض تنازع العلماء، لكن ابن باديس دافع عن الشرطة بحرارة.[1]

وكان من ضمن ما قال في دفاعه: ارتباط الجزائر بفرنسا اليوم صار من الأمور الضرورية عند جميع الطبقات، فلا يفكر الناس اليوم إلا في الدائرة الفرنسية، ولا يعلقون آمالهم إلا على فرنسا مثل سائر أبنائها ورغبتهم الوحيدة كلهم هي أن يكونوا مثل جميع أبناء الراية المثلثة في الحقوق كما هم مثلهم في الواجبات وهم إلى هذا كله يشعرون بما يأتيهم من دولتهم مما يشكرونه ومما قد ينتقدونه وقد كنا نؤكد لهم هذا التعلق ونبين لهم في المناسبات أن فرنسا العظيمة لابد أن تعطيهم يوما –ولا يكون بعيدا– جميع ما لهم من حقوق وكنا لا نرى منهم لهذا إلا قبولا حسنا وآمالا طيبة).[2]

وقد دافع سعد الله عن هذا الموقف الحرج الذي وقع فيه ابن باديس والجمعية، فقال: (ومن هنا يتضح أن موقف العلماء لم يكن سهلا، فقد كانوا يمشون على البيض كما يقول المثل الأجنبي، فهم من جهة كانوا يريدون تحقيق مبادئهم وأهدافهم بأية وسيلة مشروعة، ومن جهة أخرى كانوا واقعين تحت طائلة إجراءات استثنائية مستعدة لعرقلة سيرهم، بل وضعهم في قفص الاتهام، لذلك كانوا يناورون ما وسعتهم الحيلة والمناورة ويجاملون ولكنهم لا يتنازلون عن مبادئهم، ومن أجل ذلك اصطدموا مرات بالإدارة).

---

[1] – الشهاب، ج8، م8، ص 401–409 أوت 1932، وانظر: آثار ابن باديس: 321/4.

[2] – أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،ج05،ص.293.

أولا- الاختلاف الفكري بين الاتجاهين :

إن هذا السبب كان في الإمكان تجازوه لو حسنت النيات وهذا في الحقيقة هو السبب الأكبر في كل ما حصل بين الجمعية والطرق الصوفية، الفكر والتوجه السلفي للجمعية، والفكر التوجه الصوفي للطرق الصوفية، وعلاقة ذلك بالخلاف بينهما. ومراقبة وتدخل الاستعمار الذي كان جاثما على أرض الجزائر يستغل خيراتها، وينتهك حرماتها، ولم يكن الوضع مناسبا في ذلك الحين ليكتب أعضاء الجمعية وعلماؤها في الصحف القليلة –التي كانت هي المنهل الوحيد للكثير من الجزائريين ليتحرروا ويتثقفوا– في قضايا هي من فروع الفقه يجادلون فيها، ويبدعون من خالفها[1].

وان كل ما طرح من قضايا لم يكن يعدو قضايا طرحت في جميع التاريخ الإسلامي، ولم تسل من المداد، ولم تنشر من الأحقاد ما حصل في عهد الجمعية.

ثانيا- الأسباب النفسية للإختلاف

هذا النوع من الأسباب هو السبب الأبرز، إن لم يكن أصل الأسباب ومنبعها.لما ذكره أبو حامد الغزالي عند بيانه ل(آفات المناظرة وما يتولد عنها من مهلكات الأخلاق)[2]، فقد قال: (اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام وإظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة، وكما أن الذي خير بين الشرب والفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك إلى ارتكاب بقية الفواحش في سكره فكذلك من غلب عليه حب الإفحام

---

[1] – الشهاب،مصدر سابق،أوت 1932 .

[2] – أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، دار المعرفة، بيروت، ص45.

والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك إلى إضمار الخبائث كلها في النفس وهيج في جميع الأخلاق المذمومة).[1]

وقد كفانا رجال الجمعية البحث عن الأسباب النفسية لرجال الطرق النفسية، حين ذكر الإبراهيمي هذا فقال: (ولقد تفرسنا فيهم –في الطرق الصوفية– فصحت الفراسة، وبلوناهم فصدق الابتلاء، وجربناهم فكشفت التجربة على أنهم لا يعرفون الأمة إلا في مواقف الاستعباد وابتزاز الأموال، فإذا مسها الضر وتنكر لها الدهر تنكروا لها وتجاهلوها، وإن علاقتهم بالأمة علاقة السيد بعبده والمالك لمملوكه لا علاقة المسلم بأخيه المسلم، يحب له ما يحب لنفسهن وأنهم مطايا الاستعمار المذلل وأيديه الباطشة بل القنطرة التي هونت عليه العبور، وأنهم كانوا ولا زالوا على خلاف ما وصف الله به عباده المؤمنين أعزة على الأمة أذلة على المستعمرين والحكام المستبدين، وأن ليس في صحائفهم السوداء موقف يعز الإسلام أو يرفع المسلمين. وهذا تاريخهم الماضي الملحود، وتاريخهم الحاضر المشهود يسجلان عليهم أنهم أعوان على هذه الأمة للدهر، وحلفاء عليها للفقر، وإلب على دينها مع التبشير بالكفر، وانهم هم الذين أماتوا رهبة الإسلام ونخوة الإسلام بخضوعهم واستسلامهم، كما أماتوا حقائقه بأساطيرهم وأوهامهم، وأنهم مردوا على الملق والمداهنة المزرية بشرف الإسلام في المواقف التي تسمو عن المجاملة وتقتضي نهاية الصدق في المعاملة).[2]

إلى آخر تلك الأوصاف الكثيرة التي اعتبرها الإبراهيمي السبب في كل تلك السلوكات التي يمارسها رجال الطرق الصوفية، والتي يراها بدعة وضلالة وكفرا[3].

وما ذكره ربما يكون صحيحا من جهة انطباقه على بعض رجال الطرق أو حتى مشايخها، أما تعميم ذلك، فيحتاج إلى فراسة أعظم من الفراسة التي تفرس بها، ذلك أن الطرق كما

---

(1) – أبو حامد الغزالي، المصدر السابق ، ص49.

(2) – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج1، ص 297.

(3) – المصدر نفسه ،ص 299.

عرفنا في الفصل الأول، وكما يشهد التاريخ كان لهم أثرهم الفاعل في جميع أنواع المقاومات العسكرية والدينية والثقافية، وغير ذلك.

وللأسف فإن هذا الكلام مع شدته صحيح إلى حد بعيد، فالذي حصل بين الجمعية في ذلك اليوم المشؤوم، وما حصل بعده من نتائج خطيرة زادت المجتمع الجزائري تفكيكا يعود في نصيب كبير منه إلى تلك الآفات الباطنة في نفوس كل من رجال الجمعية ورجال الطرق الصوفية

ولكن الذي لم تنتبه له هو ذلك الهجوم اللاذع تجاه المخالفين لها من رجال الطرق الصوفية، وكيف كانت تنظر إليهم بنوع من التعالي والاحتقار، لأنهم ليس لهم من الفصاحة ما كان لرجال الجمعية، أو لأن شيخهم كان –كما يذكر الزاهري– (تاجرا يبيع الأحذية، ويصنعها فأفلس احتيالا وأكل أموال الناس، ثم ارتاد تجارة كلها ربح، ورأس ماله فيها النصب والاحتيال، يحتال على الفقراء المساكين، فيسلب أموالهم، ويستغل أبدانهم ويختلس يتمانهم، ومن ذلك فهو يحترف طريقة التصوف ويستغلها ماديا، ولا يعرف من التصوف إلا أنه باب من أبواب الرزق، وسبب من أسباب المعاش، ووسيلة من وسائل الاكتساب)[1] إلى آخر تلك الأوصاف قاصدا بذلك الشيخ ابن عليوة.

وقد حالت هذه الأوصاف بين الجمعية وبين الحوار مع الكثير من رجال الطرق الصوفية، والذين كانت لهم شهرتهم على المستوي العالمي، ، لكن الجمعية لم تكن تعترف بهم، ولا بعلومهم

ثالثا- المؤامرة الاستعمارية و سياسة فرق تسد

كانت مصالح المستعمر منوطة بتفرق الجزائريين وصراعهم فيما بينهم، وتسعى لذلك ولهذا انتهجت فرنسا سياستها المعروفة (فرق تسد)، و مارست هذه السياسة مع الجميع، فهي لا

[1] – الزاهري، شيخ علماء الجزائر، أم شيخ الحلول؟ الشهاب. مج9.ج11. أكتوبر 1933.ص 494.

يهمها طرقي أو مصلح، المهم عندها كما عند كل مستعمر أن تتنافر النفوس، وأن يجهز بعضهم على بعض، حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.[1]

ويذكر أن الإدارة الفرنسية كانت تستعمل الطرق الصوفية لتحقيق أهدافها وخدمة مصالحها عبر استعمالها العملاء وتوجيههم في خدمة مصالحها، ولعل أحسن مثال على هذا ما كتبه مصالي الحاج في مذكراته، من أن جاسوسا فرنسيا كان يسمى ليون روش[2] Léon Roche ألف كتابا سنة 1884 تحت عنوان (ثلاثون سنة داخل الإسلام) (trente ans à travers l'Islam) ، يقص فيه أن هدفه الوحيد من اعتناقه الظاهري للإسلام كان يتمثل في الحصول على فتوى من القادة الدينيين لوقف القتال ضد الاستعمار، وقد تحصل على تلك الفتوى مقابل دفعه نقودا من الذهب إلى قادة الزوايا أو الطرقية. فهم بذلك يعتبرون الطريقة العلاوية

---

[1] – ANOM,GGA 91-3F

[2] – هو ليون روش من مواليد قرونبول ولد سنة 1809م، تحصل على بعض الشهادات، كان والده من المشاركين في الحملة الفرنسية على الجزائر عام 1830. بعد سنتين من الاحتلال الفرنسي قدم ليون روش إلى الجزائر ليكون في خدمة الاستعمار الفرنسي، بعد وصوله إلى الجزائر سنة 1832 بدأ ليون يتعلم اللغة العربية حتى أتقنها، هذا الإتقان ساعده على العمل مترجما في الجيش الفرنسي، يقال أنه أسلم واعتدل إسلامه في نظر المسلمين ورحل بعد إسلامه إلى الأمير عبد القادر مبديا له يد المعونة وكان ذلك سنة 1937 حيث أصبح اسمه الجديد عمر.

كلفه الجنرال بيجو الحاكم العسكري للجزائر بمساعدة الزاوية التيجانية والطيبية المغربية في الجزائر بالسفر إلى تونس ومصر والحجاز للحصول على فتوى تدعوا أهل الجزائر إلى قبول الحكم الفرنسي مقابل أن يحترم هذا الحكم دينهم وعادتهم و تقاليدهم.

ورحل روش ومعه نص الفتوى ويقال أنه حصل على مصادقة العلماء جامع الزيتونة في تونس وعلماء الأزهر في مصر، وعلماء المسلمين المجتمعين في مدينة الطائف بالحجاز حيث مقر الشريف الأكبر شريف مكة المكرمة، وقد وصل الحجاز أثناء موسم الحج فأراد أن يشهد هذا الموسم، لكنه بعض من الجزائريين تعرف عليه في وقفة عرفات ورفعوا أصواتهم استنكارا لوجوده، وكاد أن يفقد حياته لولا الحراس الذين كلفهم الشريف بمراقبته سرا إذ قام هؤلاء باختطافه ومضوا به إلى جدة ومنها إلى مصر ومنها إلى أوربا (انظر : ليون روش، ثلاثون سنة في رحاب الإسلام، مذكرات ليون روش عن رحلته إلى الحجاز، تر: محمد خير البقاعي، دار جداول للنشر). ص24.

خصوصا أداة من أدوات الاستعمار مستدلين على ذلك برضا المستعمر عنها، والسماح لها بأداء نشاطها بحرية كبيرة.[1]

إن الجمعية هي الأخرى في منأى عن النقد و قد استعملت و فتحت لها الحكومة الفرنسية كل الأبواب لتؤدي أدوارها بحرية أكبر، وقد ذكر ابن باديس هذا مثنيا على الحكومة ، بقوله : للحكومة الفضل العظيم بفتحها السبل لهذه الجمعية حتى تتوصل إلى نشرهما باتصال رجالها من أهل العلم بالأمة في مساجدهم ومجامعهم وحيثما كانوا، فللحكومة في هذا من الفضل بقدر ما فيه للأمة من النفع، ولقد كان رجال الحكومة الذين لقيناهم في جميع البلدان يلاقوننا بمزيد الإكرام، ويزودوننا بعبارات التأييد والتنشيط، ويقول لنا الكثير منهم: (إننا مستعدون لمساعدتكم في كل ما تريدونه بدائرتنا) ولا شك أنهم يتكلمون بلسان الحكومة ويعربون عن نياتها ومقاصدها، وأي مقصد أشرف وأي نية أنفع من تعاون الحكومة من العلماء لتهذيب الأمة وتعليمها).[2]

ويعقب ذلك بقوله: (هذا أعظم ما قامت به فرنسا في أول القرن الثاني نحو أبنائها المسلمين الجزائريين الذين كانوا معها في جميع المواقف مواقف الحياة ومواقف الموت).[3]

بل إن ابن باديس يذكر كيف كان للإعلام الفرنسي دوره في الاهتمام بالجمعية والتعريف بها، فيقول تحت عنوان: (فضل الصحافة العربية والفرنسية): (كانت الصحف الفرنساوية تتبع رحلتنا وتنشر الفصول عنها وتذكر الجمعية بكل تعظيم وتبجيل مثل ما كانت تفعله مع أكبر جمعية فرنساوية ورئيسها فبرهنت على أن الفكر العام الفرنسي يقدر للمسلمين مشاريعهم ويساعدهم عليها ويرد لهم الرقي والتقدم، وقد كانت الصحافة العربية النجاح والنور

(1)- بوغانم بو غزالة،مرجع سابق،ص.148.

(2) –البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص322.

(3) –المصدر نفسه، ص 322.

والمرصاد قامت بواجبها نحو قومها وملتها فلجميع الصحف الفرنسية والعربية شكر الأمة والوطن وشكر الجمعية والعلم).[1]

كانت فرنسا كانت تصادر صحف الجمعية، وتضيق عليها، عندما يرتبط بمصالحها، وتغض الطرف عما تنشره الجمعية مما يصدع الوحدة الاجتماعية والثقافية والدينية، فقد كانت راضية عنه أتم الرضى، بل أنها كانت تشجعه أعظم تشجيع في نظر ورؤية رجال الطرق الصوفية .

و أحيانا أن الكثير من المضايقات للجمعية كانت مضياقات شكلية، بالإضافة إلى هذا، فقد كتب الإبراهيمي في مقال تحت عنوان (إلى الزاهري) حمل فيه شديدة على الرجل الذي كان في يوم من الأيام بالنسبة لهم مصلحا أو معولا خطيرا من أهم معاول هدم الطرق الصوفية، لكنه بعد أن كشفت حقيقته تبين لهم أنه كان كاذبا وخائنا، بل فوق ذلك عميلا من عملاء الاستعمار[2]، ومما جاء في ذلك المقال قوله له يذكره ببعض مواقفه في الجمعية: (أتذكر يوم ضاقت بك الحيل فعرضت همتك وذمتك وقلمك في المزاد العلني فكنا أزهد المشترين فيك؟ كن شريفا ولو لحظة من عمرك واعترف بهذه الحقيقة. ألم ننصحك نصيحة لو أحيا الله أبويك لما نصحاك بمثلها؟ ولكنها ضاعت كما تضيع المنة عند غير شاكر. ألم تفترص الفرصة حين خاطبناك في صندوق الحروف الذي تملكه لنطبع به (البصائر)، بالبيه أو بالكراء، فأخذت منا عشرة آلاف فرنك لتفك بها رهن الصندوق من الطابع الإسباني، وكنت عاجزا عن فكه بستة آلاف فرنك؟ فلما حصلت عليه اشتططت وشرطت قرض مائتي ألف فرنك في مقابلة كراء الحروف، فلما يئست منا عرضت نفسك على دكتورين لهما ماض عريق في خيانة الوطن لتخدم ركابهما وتزكيهما في الخيانة، في مقابل قناطير من الورق

---

[1] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص324.

[2] محمد علي ديوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ص290-351.

منياك بها، فلما لمناك على ذلك قلت لنا بالحرف: (مانكذبش عليكم، أنا نتبع مصلحتي المادية حيثما كانت) .

والجملة الأولى هي لازمتك المعروفة عند جميع الناس، وهي لازمة كل كذاب، إذ لا يكثر من نفي الشيء إلا المتصف به، ثم كنت متشوفا إلى خدمة من تسميهم اليوم باللائكيين، ولو أعروك التفاتة، أو أشاروا إليك بغمزة، لكنت اليوم من عبيدهم المطيعين ، ولكانت اللائكية، في نظرك ملائكية، ثم عرجت على الشيوعيين، ولهم معك ماض معروف، فوجدتهم أيقاظا، ذاكرين لذلك العهد، مثنين عليك بمثل ريح الجورب، ولو آنست في ذلك العهد من جانب الطرقية نارا، لقلت في غير تردد: إني أجد على هذه النار هدى، ثم وقع بك الحظ على هؤلاء القوم أو وقع بهم عليك وهم لم ينسوا ماضيك معهم وإنما يتناسونه لأمر ستتجلي الغبابة يوم ينكفئ القدر بما فيه من صبابة. فهل فكرت بعد هذه الأطوار أن تستقل بجريدة لا تناصر بها حركة ولا سكونا، ولا تعتمد فيها على شخص ولا على حزب؟ وهيهات).[1]

رابعا- نتائج الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية

لقد عبر ابن باديس عن تبعات ذلك التفرق الذي حصل بين الجمعية والطرق الصوفية بعد سنة من التأسيس، فقال: (هاهو القانون الأساسي للجمعية كما وضع أول مرة منذ خمس سنوات، وقد كان الذين وضعوه شطرهم مع الطرقيين، ولكنهم ما أكملوا السنة الأولى حتى فروا من الجمعية وناصبوا العداء واستعانوا عليها بالظلمة ورموها بالعظائم وجلبوا عليها من كل ناحية بكل ما كان عندهم من كيد، ذلك لأنهم وجدوا كثيرا من الآفات الاجتماعية التي تحاربها الجمعية هم مصدرها وهي مصدر عيشهم، ووجدوا قسما منها مما تغضب محاربته سادتهم ومواليهم وقد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم مما تغضب محاربته سادتهم

[1]-البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 562 . أنظر أيضا جريدة البصائر العدد 61 من)، بتاريخ 27 ديسمبر سنة 1948

ومواليهم وقد شاهدوا مظاهر الغضب بالفعل منهم فما رفضتهم الجمعية ولا أبعدتهم ولكنهم هم أبعدوا أنفسهم).[1]

نستنبط من كلامه الكثير من النتائج السلبية التي أعقبت ذلك الحادث، :ونحن، وإن كنا لا نسلم بتحميلهم تبعات ما حصل بعد ذلك ومن بين مظاهر الفرقة :

أ -زيادة شدة الخلاف

لقد كان الخلاف –كما ذكرنا سابقا– موجودا مشهورا بين الجمعية والطرق الصوفية قبل تأسيسها، ولكنه كان خلافا لا يعدو أفرادا من الإصلاحيين، ولم يتعد إلى مستوى التجمعات، ليصل إلى أكبر تجمعين عرفتهما الجزائر في ذلك الحين (الجمعية، الطرق الصوفية).

وعند تصفح صحف الجمعية في ذلك الحين نجد أنها عمقت ألامها الفرقة ، فصحيفة الشريعة والصراط وغيرها مع قلة أعدادها، ومع كونها كانت فرصة لتعليم الجزائريين وتوجيههم وتوحيد صفوفهم كانتا مملوءتان بصفحات كثيرة من النقد اللاذع .ومثال على ذلك بيان نشرته جريدة الشريعة تحت عنوان (براءة القبائليين من شيخ الحلول وتلميذه الحافظي ومن تبعهما)، وهو بيان خطير وقع عليه 135 من تلك البلاد التي كان للطريقة العلاوية فيها وجود واسع، والتي عبروا عنها بقولهم: (..بناء على هذا فنحن الواضعين خطوط أيدينا هنا من عرش ذراع القبيلة الذي يعد بالنسبة إلى بلاد القبائل أقل تقدما من غيره، قد أدركنا ما عليه الأمة الجزائرية اليوم من تشويش المشوشين ومشاغبة المشاغبين الذين كتب الله عليهم الشقاوة في الدنيا والآخرة، فأشفقنا على أنفسنا وعلى إخواننا المسلمين من سائر أولئك المجرمين فعملنا لرفع النزاع بكل وسيلة نافعة دون أن تضر، فما زيد في نار القوم إلا

(1) –البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج2، ص.549

اضطراما حتى يأسنا ولم نرجع منهم سلاما، ثم إن مثير الفتنة واحد لا ثاني معه إلا من كان له أجيرا وما معناه).[1]

بل إن هؤلاء الذين حملوا كل هذه الأحقاد على الطرق الصوفية، وعلى الشيخ الحافظي عندما يتحدثون عن فرنسا في نفس البيان يقولون عنها: (بقي الآن علينا أن نؤدي شهادتنا لحكومة فرنسا العادلة المنصفة وأن هذه الطائفة المخذولة التي تكذب على جميع العلماء المسلمين الجزائريين مرة بعد أخرى بإلصاق السياسة لها وبالتدخل في غير أمور الدين، والواقع يفند مفترياتها والحكمة نفسها ترى بعين الرأس من المشاغب ومن المهيج، ومن الذي يكتب في جرائد السياسة وينشرها في الناس بعكس ما يتظاهر به للحكومة).[2]

وحتى نكتشف خطورة هذا البيان وتأثيره في تفكيك وحدة المجتمع الدينية والثقافية، بل والسياسية نحب أن نذكر أنه كان للزوايا والطرق الصوفية في تلك المنطقة خصوصا تأثير كبير في مواجهة التبشير والحفاظ على الهوية إلى درجة أنه صدر من الجمعية قرار سري – ذكره الشيخ خير الدين– يقضي بمنع مقاومة الزوايا والمرابطين في بلاد القبائل التي كانت للكنسية نشاط تخريبي هدام منظم، ما يتحتم توظيف تلك الزوايا في بث الوعي الديني الإسلامي ورد شبه المنصرين عمليا.[3]

ومثله كتبت الصراط بيانا أمضاه (400 من جميع طبقات الأمة من أهل العلم وأهل الفلاحة والصناعة والتجارة وغيرهم) يقول أصحابه: (إن سكان بلدة باتنة وأحوازها الواضعين إمضاءاتهم أسفله يشكرون العمل الصالح الذي قامت به جمعية العلماء لرفع حالة إخوانهم المسلمين من الجهة الأدبية والأخلاقية والذي هو روح الفكرة الفرنساوية ويوجهون لرئيس

---

[1] الشريعة النبوية المحمدية، السنة الأولى/ العدد6، قسنطينة، الاثنين 29 ربيع الثاني 1352، ص8 .

[2] – نفسه، ص09.

[3] – خير الدين، المصدر السابق، ج2 ص 118.

الجمعية عبد الحميد بن باديس احترامهم ويشكرون سعيه ويضمنون له الاتحاد معه في هذا العمل).[1]

وقد كان لهذا الشحن الطائفي آثاره الخطيرة على وحدة المجتمع الجزائري وعلى تسامحه مع المخالف

ب - تضييع المكاسب والطاقات:

فقد كان في إمكان الجمعية في حال التوافق أن تكتسب الكثير من المواقع بتوجهه الفكري – قبل أن يحصل ما حصل[2]، فقد كان فيها يكتب تحت عنوان (خطرات الأسبوع) فقرات مختصرة طرح فيها الكثير من القضايا الإصلاحية واستمرت لأكثر من سنتين[3]، وكان يمضي فيها باسم مستعار هو (العبسي).[4]

تضييع الطاقات:

وهي كثيرة جدا، من المثقفين وغيرهم من أبناء الزوايا أو المؤيدين لها، والذين انقلبوا على الجمعية بمجرد إعلان صراعها مع الطرق الصوفية.

وكمثال على ذلك (مامي إسماعيل) رئيس تحرير جريدة النجاح والذي استطاع باجتهاده أن يصل بجريدة النجاح إلى نواح كثيرة في الجزائر، وكانت الشهاب تثني عليه، بل كان ابن

---

(1) – جريدة الصراط العدد الخامس، قسنطينة، الاثنين 16 أكتوبر 1933، ص3.

(2) – يذكر البعض أن ابن باديس كان من المؤسسين لها ولكنه كان مجرد كاتب فيها فقط.

(3) – وكان آخر عدد لها يوم 28 مارس 1925، العدد 201، وقد ورد في جريدة النجاح هذا العنوان: (خطرات الأسبوع، تحت هذا العنوان رغب منا أحد الكتاب أن فسح له مجالا يكون درسا جامعا للعبر والحوادث والانتقادات واللمح التاريخية وغير ذلك من القواعد المتنوعة خدمة للعلوم والحقائق وسعيا وراء الواجب الذي يتقضى بالعمل المتواصل، وعليه فقد لبينا هذا الاقتراح الجليل تحت الإمضاء أسفله (العبسي) (قسم التحرير، خطرات الأسبوع، النجاح، ع172 يوم 12 سبتمبر 1924، ص2).

(4) – وقد كان إمضاء مستعارا لابن باديس في النجاح وغيرها، انظر: أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ص128.

باديس نفسه يستفيد منه، كما قال الشيخ أحمد حماني: (كان يحب الشيخ ابن باديس (يقصد مامي) ويأتيه بأسرار الإدارة الفرنسية ويطلعه على بعض ما يدبر من مكائد، وهذا ما جعله لا يقطع صلته به).[1]

وكان هو أيضا من مؤيدي تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إذ كتب مقالا حولها بعنوان (جمعية العلماء منة كبرى يجود بها القرن العشرون) وقال: (إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر)[2] ويعني بذلك أن جمعية العلماء المسلمين هي عصا موسى التي تلتهم كل الجمعيات أو تقضي عليها. لكنه بعد الذي حصل تراجع، وكان من الطبيعي أن يتراجع، فلا يمكن أن يظل على تأييده لجهة لا تريد إلا استئصاله.

ج ـ ظهور جمعية علماء السنة:

مع أن تأسيس هذه الجمعية الإصلاحية لا يمكن اعتباره من النتائج السلبية بل هو اختلاف في الرأي، لكنا جارينا الواقع المعمول به في اعتباره من الآثار السلبية لنطرح فيه موقف الجمعية منها.

تأسست جمعية علماء السنة رسميا بتاريخ 15 سبتمبر 1932، وكان الساعي إلى تأسيسها الشيخ المولود الحافظي الأزهري الذي كان عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها سنة 1931، وكان يمثل اتجاه الطرقيين في الجمعية في ذلك الحين، لكن بعد تلك الأحداث التي حصلت يوم 23 ماي 1932 اجتمع رؤساء الزوايا الموظفين الدينيين في الحكومة وأسسوا هذه الجمعية، ومن مبادئها التي أعلنوها في قانونها الرسمي أنها (جمعية إسلامية تعليمية خيرية ..وأنها تمتنع عن الخوض في الأمور السياسية، وعن كل ما يمكن أن يثير الاضطراب بين الفئات الدينية، والعصبية.. وأنها تهدف إحياء

---

(1) – أحمد حماتي، صراع بين السنة والبدعة، المرجع السابق، ص131.

(2)– مامي إسماعيل، جمعية العلماء منة كبرى يجود بها القرن العشرين، النجاح، العدد 1229، يوم 09-09-1931.

السنة، والتقاليد، ونشر لفضيلة والتمسك بالأخلاق، وفقا لما جاء في الكتاب والسنة، وتعاليم المذاهب الأربعة، ومبادئ الفقه والتصوف والدين الإسلامي).[1]

ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي، موفه من تأسيسها و كيف تتعامل الجمعية مع المخالف لها الذي استعمل حقا شرعيا وقانونيا، مستعرضا في تلك الفترة نظرته إلى أهدافها المعلنة و الخفية متهما إياها بأنها أسست لأجل محاربة جمعية العلماء ومضارتها يقول الإبراهيمي: (لم يقف العليويون وأذنابهم عند حد ذلك الهجوم الذي كان أوليه كيدا وآخره فضيحة، بل أجمعوا أمرهم وشركائهم وقرروا في اجتماع تولى كبره رئيسهم الأكبر أحمد بن عليوه محاربة جمعية العلماء بكل وسيلة وبكل قوة، وتقاسموا على ارتكاب ما يحل وما يحرم في هذا السبيل وانفتقت لهم الحيلة بإرشاد بعض أذناب الإدارة على تأسيس جمعية طرقية في معناها وحقيقتها، حلولية في باطن باطنها، علمية في ظاهرها وما يراه الناس منها ليوهموا العامة أنهم يحاربون العلم بالعلم، لا العلم بالجهل، فبثوا في الزوايا وعبيدها دعوة جامعة إلى تكوين هذه الجمعية التي وصفوها بأنها جبهة قوية تقف في وجه الإصلاح وتنازل جمعيته وجها لوجه ودارا لدار بعد أن لم يبق أمل في إسقاطها بالحيلة، أو الاستيلاء عليها بالمكر).[2]

ليهدب الشيخ لمهاجمة من أسسوها متهما إياهم بأنهم من (علماء مأجرون وطلبة مدحورين، من كل من عنقه للزوايا منة الخبز، ولها عليه فضل التعليم الأشل وله فيها رجاء العبد في سيده، من تلك الطائفة التي لا ترعى للعلم حرمة، ولا تشعر له في نفوسها بعزة ولا كرامة)[3]

---

(1) – أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الطبعة الأولى،1985، ص180.

(2) – –البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج1، ص 188.

(3) – عبد الملك مرتاض،محمد البشير الابراهيمي،منشورات وزارة الثقافة و السياحة في الجزائر، 1984،ص.43.

كان الشيخ الإبراهيمي قد عمم اتهامه للجمعية علماء السنة بالرغم من حضور مجلسها التأسيسي علماء محترمون من جميع أقطار الجزائر، فبالإضافة إلى رئيسها الشيخ المولود الحافظي الأزهري الشهير بالفلكي حضر الشيخ العربي التواتي من غليزان، والشيخ ابن الهاشمي بن بكار و والشيخ علي بن السنوسي الشطي والشيخ حسين بن قريد من معسكر، والشيخ أحمد بن قيطون، والشيخ أحمد الشاذلي بن الشيخ عبد الرحمن الميسومي من قصر البخاري والشيخ مصطفى بن الفخار مفتي المدية آنذاك ، والشيخ أحمد لكحل شاعر العاصمة، والشيخ إبراهيم بن شناف من الأغواط والشيخ الجيلالي عبد الحكيم من العطاف، والشيخ محمد الفضيل الزواوي من الأربعاء ناث ييراثن، والشيخ ابن ابراهيم أحمد بن الحاج مصطفى من تاخمارت بفرندة تيارت والشيخ محمد الشريف بن السعيد من زاوية سيدي منصور بتيزي وزو، والشيخ محمد العيد مفتي سور الغزلان، والشيخ محمد العشي من زاوية سيدي الحسين بن الحسن بضواحي قسنطينة، والشيخ مصطفى بن المكي بن عزوز من عين البيضاء، والشيخ ابن شعبان الحاج محمد القريشي إمام مسجد الأربعين شريفا وشيخ الزاوية الحنصالية بقسنطينة، والشيخ حسن الطرابلسي من عنابة،.[1]

وتعدى الاتهام إلى اتهامها في نياتها: وأن أعضاءها –بعلمائهم وطلبة علمهم– (اجتمعوا كلهم على النداء من كل صوب ، وحشروا غمرة من الذهول أوهمتهم أنهم سيصبحون بفضل سادتهم مشائخ الطرق، وبجاه موالاتهم للحكومة موظفين منيشنين).[2]

و يسخر الإبراهيمي من هذه الجمعية لكون رئيسها خرج (إلى الأمة يسألها المال والتأييد، فقابلته بما يستحق من طرد ومقت، ولم يمض إلا قليل حتى حل الله ما عقدوا، وتبر شيدوا، ورأى الناس عبرة العبر في انهيار الباطل وانخذال أهله، وعدوها من عجائب صنع الله لجمعية العلماء المسلمين المسلمين وذهب الشيخ العربي التبسي إلى أعظم من ذلك حين

---

(1)– محمد بن إسماعيلي، مشايخ خالدون وعلماء عاملون ، ط4، 1421–2001، ص73.

(2) – من (النيشان) وهو الوسام

أباح لفقهاء الجمعية أن يستفيدوا من الزكاة حتى ولو كانوا أغنياء ما داموا (قد حبسوا جهودهم وعلومهم وحياتهم للجهاد في سبيل الإسلام، ونشره، والدفاع عنه. أما فقهاء السوء طلاب الدنيا فإننا لا نقول بجواز أخذهم من الزكاة).[1]

توحي أدبيات جمعية العلماء باللوم على مؤسسي جمعية علماء كون فرنسا هي التي أوحت للحافظي وللشيخ ابن عليوة ولمشايخ الهامل وغيرهم من مشايخ الزوايا بأن يسموا جمعيتهم (جمعية السنة)

لعل الشيخ ابن باديس لم يكن بنفس الحدة ضد مشائخ الطرق ولعل التنابز الصحفي حال دون توافق الطرفين ومن الدلائل على هذا السمو الأخلاقي الذي كان يتمتع به الشيخ على الرغم من توجهه الإصلاحي ما ذكره عند وصفه لرحلته إلى بعض المناطق في الغرب الجزائري، فعندما ذكر مستغانم، وذكر من لقي فيها العلماء والمشايخ ذكر الشيخ ابن عليوة، بل قدم له بهذا الوصف: (من غده دعا للعشاء معنا أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ المفتي سيدي عبد القادر بن قارة مصطفى وسماحة الشيخ سيدي أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة وكان هذا أول تعرفنا بحضرتهما فكان اجتماعا حافلا بعدد كثير من الناس).[2]

وقد ذكر ما حصل في ذلك المجلس وبعده، كما وصفه ابن باديس يقول ابن باديس واصفا ذلك المجلس، وكيف أتيح له الكلام فيه بحضور المفتي وشيخ الطريقة وهو موقف يدل على مدى احترامهما له: (ولما انتهينا من العشاء ألقيت موعظة في المحبة والأخوة ولزوم التعاون والتفاهم على أساسهما وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سببا في قطع الكثير مما نتفق عليه، وأن الاختلاف بين العقلاء لابد أن يكون ولكن الضار والممنوع المنع البات هو أن يؤدينا ذلك الاختلاف إلى الافتراق وذكرنا الدواء الذي يقلل من الاختلاف ويعصم من

---

(1) – جريدة البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، عدد 119، الاثنين 15/ماي/1950م، ص2.

(2) – أحمد محمود الجزار،الإمام عبد الحميد بن باديس و التصوف،دار المعارف،الاسكندرية، مصر، 1999، ص.80.

الافتراق وهم تحكيم الصريح من كتاب الله والصحيح من سنة رسوله –صلى الله عليه وآله وسلم–.فاستحسن الشيوخ الحاضرون ذلك وحل من الجميع محل القبول والحق يقال أن أغلب الناس ممن رأينا صاروا يشعرون بألم الافتراق وينفرون منه ويصغون إلى دعوة الوفاق والتحاب).[1]

ثم يذكر ابن باديس دعوة الشيخ ابن عليوة له، فقال: (وما افترق المجلس حتى دعانا الشيخ سيدي أحمد بن عليوة إلى العشاء عنده والشيخ الحاج الأعرج بن الأحول شيخ الطريقة القادرية إلى الغداء فلبينا دعوتهما شاكرين، فكانت حفلة الغداء دار الشيخ سيدي الحاج الأعرج ثم كنت حفلة العشاء ما يناهز المائة وبالغ الشيخ في الحفاوة والإكرام وقام على خدمة ضيوفه بنفسه فملأ القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر).

ثم إن من دلائل اعتداله أنه قعد معهم في مجلس من مجالس الذكر، وبالهيئة التي يذكرون بها فقال: (وبعد العشاء قرأ القارئ آيات، ثم أخذ تلامذة الشيخ في إنشاد قصائد من كلام الشيخ ابن الفارض بأصوات حسنة ترنحت لها الأجساد، ودارت في أثناء مذكرات أدبية في معاني بعض الأبيات زادت المجلس رونقا).[2]

وقد أثنى كثيرا على أدب الشيخ ابن عليوة، ومما قاله في ذلك: (ومما شاهدته من أدب الشيخ مضيفنا وأعجبت به أنه لم يعترض أصلا لمسألة من محل الخلاف يوجب التعرض لها على أن أبدي رأيي وأدافع عنه فكانت محادثاتنا كلها في الكثير مما هو محل اتفاق دون القليل الذي هو محل خلاف. لكن السيد أحمد بن إسماعيل صاحب مخازن الاتاي –وكان جالسا على شمالي في المجلس– شاء أن يخرق هذا السياج ويدخل في موضوع ليس حضرته –وله

---

(1) – الزبير بن الرحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية،دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 1997، ص.68. و انظر أيضا: Carret: Le cheikh EL Marcel Alaoui, limprimerie alaoui De mestghanem,1987,p.134.

(2) – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص 312.

الاحترام– من أهل الكلام فيه فقال: هؤلاء المفسدون الذين يسمون أنفسهم مصلحين ينكرون الولاية، فرأيت في وجه الشيخ أحمد بن عليوة الإنكار لهذا الكلام الخارج عن الدائرة ووجدت نفسي مضطرا للبيان فقلت له: اسمع يا سيد أحمد الولاية الشرعية قد جاءت فيها آية صريحة قرآنية" وتلوت له قوله تعالى: {ألا إن أولياء الله} يونس:62، وتكلمت على شيء معناها، فمن أنكر هذه الولاية. فلفظة مفسد قليل في حقه وحقه أن يقال فيه ملحد.وأما لفظة مصلح فهي أعلى من هذا وأشرف من هذا كله).[1]

ثم ذكر ابن باديس موقفه من الولاية ختمه بقوله: (فلو أن إخواننا المنتمين للتصوف قبلوا أن يوزن كلام الشيوخ بميزان الكتاب والسنة مثل غيرهم من علماء الإسلام .[2]

ثم ذكر كيف عاد المجلس إلى الإنشاد والمذاكرات الأدبية (حتى انتهت السهرة وانصرف المدعون ونحن من جملتهم شاكرين فضل حضرة الشيخ وأدبه ولطفه وعنايته كما شكرنا أدب تلامذته وعنايتهم بضيوف أستاذهم وخصوصا الشيخ عبده ابن تونس تلميذ الشيخ الخاص).[3]

كان يمكن للعلاقة بين الجمعية والطرق الصوفية أن تستمر لولا وجود أولئك المتشددين من الطرفين المتعصبين لأفكارهما رغم اتفاقهم على الأصول واختلافهم حول الفروع وباب الاجتهاد .

لقد مثل الشيخ ابن باديس الاعتدال ، وما بينته رحلته يقام بها ابن باديس في سنة 1931، وفيه رد بليغ على من يزعم بأن الطريقة العلاوية هي التي أرادت أن تغتال ابن باديس وأكثر

---

(1) – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص313.

(2) – أحمد بن مصطفى العلوي،البحر المسجور،ط1،المطبعة العلاوية،مستغانم، الجزائر،1983،ص.115. و انظر أيضا نفس المؤلف،مفتاح الشهود في مظاهر الوجود،ط2،،المطبعة العلاوية،مستغانم، الجزائر،1992،ص.122.

(3) – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج4، ص314.

منذلك فقد كانت لابن باديس علاقة طيبة بالكثير من الزوايا، كالزاوية الدردورية وشيخها عمر دردور[1] ونزل عنده سنة 1933 في إطار جولة قام بها إلى المنطقة.

الكثير من مواقف ابن باديس اختلافا جذريا عن التوجه السلفي المحافظ، بل تجعله أميل إلى التصوف منه إلى السلفية، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

1-من المتفق عليه عند السلفية عموما إنكار التوسل إلى الله، بل اعتباره شركا لكن ابن باديس يخالف ذلك، بل يروي الحديث الذي يجمع السلفية على كتمانه، وكان في إمكانه أن يختار غيره من الأحاديث ليشرحه، وقد كان ما ذكره فيه إيراده له وشرحه مثار سخط من السلفية الحديثة التي تعتبر القول بشرعية الشرك.

وهكذا عند حديثه عن أدب العارفين مع رسول الله ص فقد قال: (اعلم أن السادة العارفين هم أرسخ الناس قدما في محبة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتعظيم حرمته ومراعاة شريف جانبه وتعزيزه وتوقيره وبره. تجد ذلك في صلواتهم عليه، وفي أدعيتهم لله تعالى عند ذكره، والتوسل به، وفي مناجاتهم له عند الشوق إليه، وفي تأليفهم عند الكلام في حقه. وهذه أشياء مروية عنهم، معروفة منهم، لا تحتاج إلى شاهد ولا تخفى على طالب بل هم أكثر الناس أدبا مع شيوخهم ومربيهم، بل هم أشد الناس أدبا من جميع الناس).[2]

لم يكن الشيخ ابن باديس بتلك اللهجة الشديدة التي تحدث بها الشيخ مبارك الميلي أو العقبي أو غيرهما حول ما يفعله الصوفية من زيارة الأضرحة، ونحوهما بل نجد بعض مصادر موثوقة، بأنه كان يرى شرعية زيارة الأضرحة، كشأن الصوفية، وكشأن الكثير من

---

[1] – عمر دردور، من مواليد 1913 في قرية حيدوس بوادي عبدي وفيها حفظ القرآن، درس بالزاوية العثمانية بطولقة، ثم اتجه إلى قسنطينة ليتحلق بطلبة الجامع الأخضر، والأخذ عن الإمام ابن باديس الذي لازمه مدة 5 سنوات، مؤسس الشعبية الأوراسية لجمعية العلماء سنة 1936، (انظر: صلاح مؤيد، الزوايا والطرق، ص803. علي عزوزي: زاوية آل دردور، ص39).

[2] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق، ج3، ص 160.

العلماء المرتبطين بهم، أن من مراسلات الشيخ ابن باديس للشيخ الطاهر العبيدي الصوفي بتقرت –وكان أحد كبار علماء الجزائر وسيد من سادات الطريق الرحمانية،[1].

تبين من خلالها جانب من شخصية ابن باديس، والذي لم يتح له أن يظهر بسبب الوضع الذي كان فيه، قال في الرسالة: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا وآل وسلم، إلى حضرة علم العلم والفضل، ومعلم الكرم والنبل ، التقي الطاهر، الأثواب السري البارع للأدب، مستحق الشكر منا بما له علينا من سابق الأيدي العلامة الشيخ سيدي أبي الطيب الطاهر العبيدي، أدامه الله بدرا طالعا في هالة درسه، وغيثا هامعا في ربع العلم، من طمسه حتى وحشة قطره بأنسه، ويحقق من بساتين تلاميذه ثمرات غرسه آمين.[2]

وبعد: سلام كما تفتحت الأزهار في نسمات الأسحار، وتحية تحيي قديم التذكار وإن شطت الديار، فإني كتبته إليكم من حضرة قسنطينة، يوم قدومي من رحلة كنت أعملتها من ناحية الجزائر وتلمسان، لزيارة الأحياء والأموات من العلماء والصلحاء وأعيان الزمان، فتشرفت بسادات كثيرين منهم العلماء والصالحين

كان الشيخ ابن باديس قد أثنى على الطريقة السنوسية خصوصا مع كونها تمارس نفس ما تمارسه الطرق الصوفية الأخرى، وتعتقد عقائدها، ولكنها أكثر انضباطا، فقال في مقال تحت عنوان (الصوفي السني فهو الإمام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي الذي توفاه الله منذ أشهر بالمدينة المنورة فقد كان على جانب عظيم من التمسك بالكتاب والسنة والتخلق بأخلاق السلف الصالح وكانت دعوته إلى الله وإرشاده للعباد

[1] – البشير الإبراهيمي، الآثار، المصدر السابق ، ص170.

[2] – بن عجيلة، سي عبد القادر بن براهيم المسعدي، باتنة، 2011، ص75.

الخاتمة

إن التأثير والتأثر بين جمعية العلماء والفكر الإصلاحي عموما وبين الصوفية والطرق الصوفية وزواياها، يرجع بالأساس إلى اختلاف المدارس الفكرية التي ينتمي إليها كل طرف، ولم تكن هذه الظاهرة تخص الجزائر فقط فقد كان التأثير سواء بالتصادم أو التوافق في كل الأقطار الإسلامية وعبر تاريخها الطويل.

وفكرة الإصلاح كانت سباقة لفكرة الهيكلة في مؤسسة حمل لواءها مثقفون جزائريون تشكلت قناعتها لواقعها الاستعماري الذي ابتسم بمحاولة محو الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها، هذا الواقع هو الذي فرض تلك المواقف المختلفة.

لقد تراجعت مكانة الطرق الصوفية أمام تأثير الفكر الإصلاحي الذي ربما يكون تطور وثورة على الفكر الطرقي فأغلب زعماء الإصلاح كانوا ينتمون إلى طرق صوفية مختلفة أو درسوا أو تتلمذوا أو أخذوا العلم من مشايخ زوايا مشهودا لهم بالعلم، ولم يتنكروا لهم ولكنهم أخذوا بأساليب الحضارة من تطور وحداثة، ومواكبة عالم الصحافة والصحف وتأثيرهما.

الطرق الصوفية بقيت محصورة في مجالها الديني التربوي التعليمي (القرآن) وتراجع مداخيلها في تراجع تعداد مؤيديها، إما قناعة منهم بعقم هذه المؤسسات في مواجهة الاستعمار الذي دجن وقضى على روح الجهاد التي كانت تحمله هذه الزوايا وترفع رايته ومعرفته بالخطر الجديد الذي ظهر والذي تمثله مؤسسة جمعية العلماء ومن يساندها ويتعاطف معها.

لا يزال الكثير من زعماء الطرق الصوفية وأتباعهم ومن يحملون أفكارهم أو المتعاطفون معهم يلومون الحركة الإصلاحية في الجزائر، ممثلة في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تنبت الخطاب الوهابي السلفي، وذلك منذ انطلاقها وهي التي شنت في هذا الإطار حربا لا هوادة فيها من خلال صحافتها ومختلف منابرها، ضد المرجعية الدينية الصوفية ممثلة في الزوايا والطرق.

يرى زعماء الصوفية أن هنالك تغييب عمدي لوجهة نظر المرجعية الصوفية، التي كانت هي الأخرى لها صحافتها أثناء الفترة الاستعمارية، والتي لا تقل أهمية عن الصحافة الإصلاحية، بالقول أن المؤسسين الحقيقيين الأوائل لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هم الصوفية، وعندما رأوا أن هناك من يريد أن يسير بهذه الجمعية في الاتجاه السلفي الوهابي الذي يتنكر ولا يعترف بالجذور والثقافة الصوفية المرابطية خرجوا منها وأسسوا جمعية علماء السنة بزعامة المولود الحافظي .

يتفق الفكر الإصلاحي مع الفكر الطرقي على تعظيم المصادر النقلية ممثلة في القرآن الكريم والسنة والنبوية، ويعتبران أن الإصلاح النفسي والاجتماعي لا يمكن أن يكتمل إلا من خلالها، لكن الخلاف يكمن في منهج التعامل مع هذه المصادر وكيفية الاستنباط منها.

من بين نقاط الاختلاف بين التيارين الإصلاحي والطرقي يتمثل في المعتقدات التي يراها المصلحون أنها معتقدات تخالف السنة، بل وتخالف الإسلام، وهذا جعل الحكم معتقدها في الغالب بالكفر.

كلا التيارين الإصلاحي والطرقي، تساهما في المحافظة على الهوية الجزائرية بأبعادها المختلفة.

لقد أخذ التيار الإصلاحي المبادرة في هيكلة وتأطير الفكر الإصلاحي والارتقاء به من مجرد خطاب إلى برنامج عمل.

إن الأحداث التاريخية والمختلفة التي عاشتها الجزائر خاصة في الثلاثينيات والأربعينيات في الذكرى المئوية للاحتلال إلى مجازر الثامن ماي والظروف الصعبة التي عاشها الشعب الجزائري في الاستعمار في حد ذاته وتبعات الحربين العالميتين 1914 و1939 ومخلفات الأزمة الاقتصادية العالمية 1929، من فقر وحرمان ومجاعات كل ذلك أوجد واقعا مختلفا بين واقع طرقي صوفي متمثلة في الزوايا يحاول الحفاظ على الوجود ويسعى إلى التشبث

بـالقيم والمبـادئ الإسـلامية (الحفـاظ علـى القرآن). وواقـع إصـلاحي يريـد الثـورة علـى الفكـر الفرنسـي الـذي أراد أن يسـتدرك مـا فاتـه حتـى لا يفقـد الجزائـر، بمحـاولات إصـلاح وحريـات جعلت رجال الإصلاح يستغلونه وفق مؤسسة جمعية العلماء المسلمين.

لقد حاولت جمعية العلماء التوفيق واستغلال الأفكار التنويرية للفكر الإصلاحي والوقوف في حدود متطلبات السياق التاريخي والسياسي للفترة 1900-1945.

الفكر التنويري جمد في الرفوف بالرغم من أن الإمكانيات التعليمية تطورت والوسائل التثقيفية تنوعت وانتشرت، لكن ليس هناك ثمة إعادة بعث للاستثمار في الأفكار التنويرية للفكر الإصلاحي التي لم تستطع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين احتوائها، وقد وجدنا توقف إشعاع دور جمعية العلماء المسلمين مع بداية الثورة، ولأن الكثير ممن ينتمون إليها التحقوا بالثورة على قناعة وغرستها تراكمات مناهج الجمعية في الميدان التربوي أو إعادة بعث فكر الجهاد الذي كانت الطرق الصوفية سباقة فيه بداية الاحتلال ومع طول فترات المقاومة.

الملاحق

1- التنظيمات القانونية للجمعيات:

ملحق رقم :01

النص القانوني لتأسيس الجمعيات في فرنسا الصادر بتاريخ 1901/07/01.

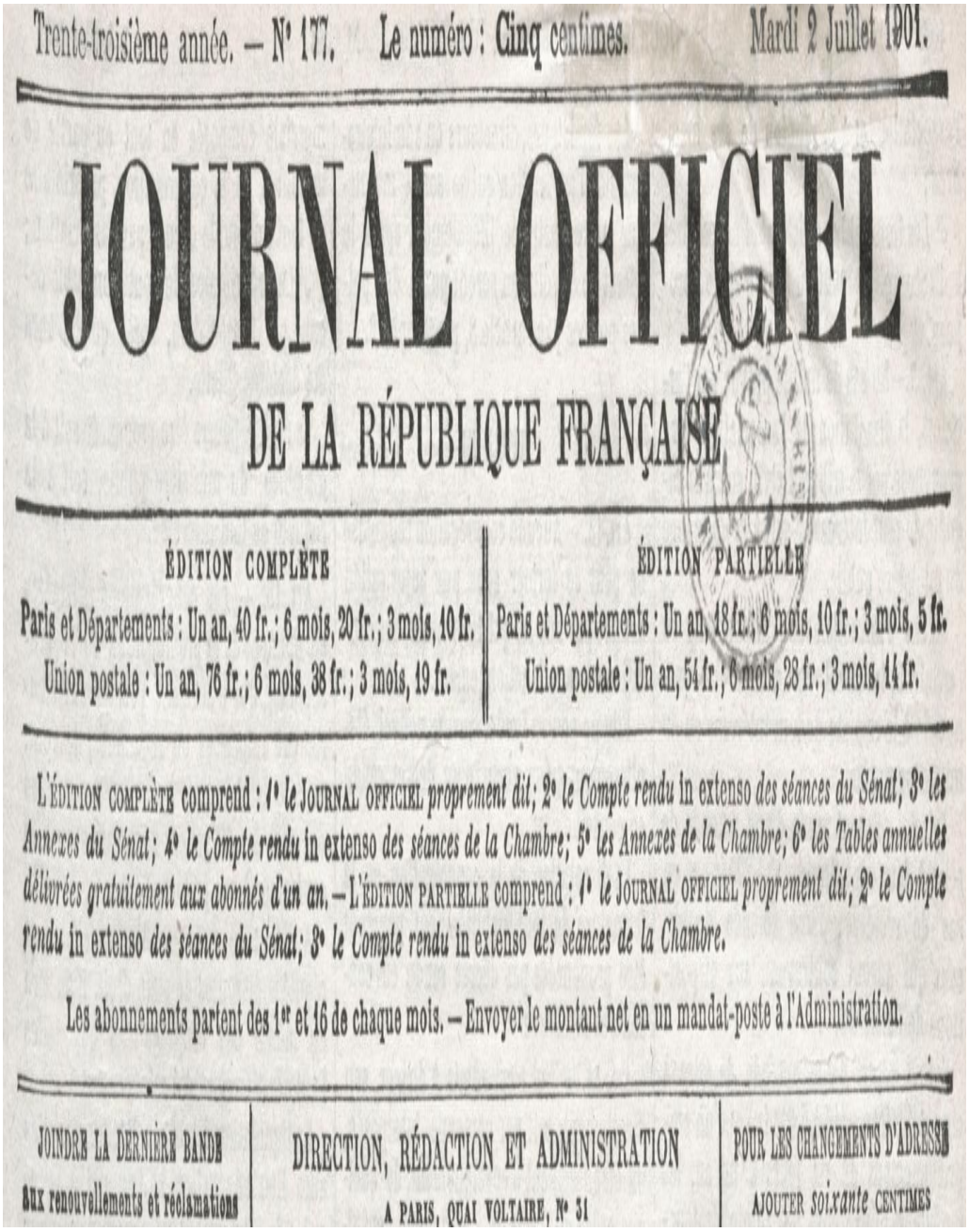

Trente-troisième année. – N° 177. Le numéro : Cinq centimes. Mardi 2 Juillet 1901.

JOURNAL OFFICIEL

DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

ÉDITION COMPLÈTE	ÉDITION PARTIELLE
Paris et Départements : Un an, 40 fr.; 6 mois, 20 fr.; 3 mois, 10 fr.	Paris et Départements : Un an, 18 fr.; 6 mois, 10 fr.; 3 mois, 5 fr.
Union postale : Un an, 76 fr.; 6 mois, 38 fr.; 3 mois, 19 fr.	Union postale : Un an, 54 fr.; 6 mois, 28 fr.; 3 mois, 14 fr.

L'ÉDITION COMPLÈTE comprend : 1° le JOURNAL OFFICIEL *proprement dit*; 2° *le Compte rendu* in extenso *des séances du Sénat*; 3° *les Annexes du Sénat*; 4° *le Compte rendu* in extenso *des séances de la Chambre*; 5° *les Annexes de la Chambre*; 6° *les Tables annuelles délivrées gratuitement aux abonnés d'un an*. – L'ÉDITION PARTIELLE comprend : 1° le JOURNAL OFFICIEL *proprement dit*; 2° *le Compte rendu* in extenso *des séances du Sénat*; 3° *le Compte rendu* in extenso *des séances de la Chambre*.

Les abonnements partent des 1er et 16 de chaque mois. – Envoyer le montant net en un mandat-poste à l'Administration.

JOINDRE LA DERNIÈRE BANDE aux renouvellements et réclamations

DIRECTION, RÉDACTION ET ADMINISTRATION A PARIS, QUAI VOLTAIRE, N° 31

POUR LES CHANGEMENTS D'ADRESSE AJOUTER *soixante* CENTIMES

LOI relative au contrat d'association.

Le Sénat et la Chambre des députés ont adopté,

Le Président de la République promulgue la loi dont la teneur suit :

TITRE Ier

Art. 1er. — L'association est la convention par laquelle deux ou plusieurs personnes mettent en commun d'une façon permanente leurs connaissances ou leur activité dans un but autre que de partager des bénéfices. Elle est régie, quant à sa validité, par les principes généraux du droit applicables aux contrats et obligations.

Art. 2. — Les associations de personnes pourront se former librement sans autorisation ni déclaration préalable, mais elles ne jouiront de la capacité juridique que si elles se sont conformées aux dispositions de l'article 5.

Art. 3. — Toute association fondée sur une cause ou en vue d'un objet illicite,

contraire aux lois, aux bonnes mœurs, ou qui aurait pour but de porter atteinte à l'intégrité du territoire national et à la forme républicaine du Gouvernement, est nulle et de nul effet.

Art. 4. — Tout membre d'une association qui n'est pas formée pour un temps déterminé peut s'en retirer en tout temps, après payement des cotisations échues et de l'année courante, nonobstant toute clause contraire.

Art. 5. — Toute association qui voudra obtenir la capacité juridique prévue par l'article 6 devra être rendue publique par les soins de ses fondateurs.

La déclaration préalable en sera faite à la préfecture du département ou à la sous-préfecture de l'arrondissement où l'association aura son siège social. Elle fera connaître le titre et l'objet de l'association, le siège de ses établissements et les noms, professions et domiciles de ceux qui, à un titre quelconque, sont chargés de son administration ou de sa direction. Il en sera donné récépissé.

Deux exemplaires des statuts seront joints à la déclaration.

Les associations sont tenues de faire connaître, dans les trois mois, tous les changements survenus dans leur administration ou direction, ainsi que toutes les modifications apportées à leurs statuts.

Ces modifications et changements ne sont opposables aux tiers qu'à partir du jour où ils auront été déclarés.

Les modifications et changements seront en outre consignés sur un registre spécial qui devra être présenté aux autorités administratives ou judiciaires chaque fois qu'elles en feront la demande.

Art. 6. — Toute association régulièrement déclarée peut, sans aucune autorisation spéciale, ester en justice, acquérir à titre onéreux, posséder et administrer, en dehors des subventions de l'Etat, des départements et des communes :

1° Les cotisations de ses membres ou les sommes au moyen desquelles ces cotisations ont été rédimées, ces sommes ne pouvant être supérieures à cinq cents francs (500 fr.) ;

2° Le local destiné à l'administration de

l'association et à la réunion de ses membres ;

3° Les immeubles strictement nécessaires à l'accomplissement du but qu'elle se propose.

Art. 7.—En cas de nullité prévue par l'article 3, la dissolution de l'association sera prononcée par le tribunal civil, soit à la requête de tout intéressé, soit à la diligence du ministère public.

En cas d'infraction aux dispositions de l'article 5, la dissolution pourra être prononcée à la requête de tout intéressé ou du ministère public.

Art. 8. — Seront punis d'une amende de seize à deux cents francs (16 à 200 fr.) et, en cas de récidive, d'une amende double, ceux qui auront contrevenu aux dispositions de l'article 5.

Seront punis d'une amende de seize à cinq mille francs (16 à 5,000 fr.) et d'un emprisonnement de six jours à un an, les fondateurs, directeurs ou administrateurs de l'association qui se serait maintenue ou reconstituée illégalement après le jugement de dissolution.

Seront punies de la même peine toutes les personnes qui auront favorisé la réunion des membres de l'association dissoute, en consentant l'usage d'un local dont elles disposent.

Art. 9. — En cas de dissolution volontaire, statutaire ou prononcée par justice, les biens de l'association seront dévolus conformément aux statuts, ou, à défaut de disposition statutaire, suivant les règles déterminées en assemblée générale.

TITRE II

Art. 10. — Les associations peuvent être reconnues d'utilité publique par décrets rendus en la forme des règlements d'administration publique.

Art. 11. — Ces associations peuvent faire tous les actes de la vie civile qui ne sont pas interdits par leurs statuts, mais elles ne peuvent posséder ou acquérir d'autres immeubles que ceux nécessaires au but qu'elles se proposent. Toutes les valeurs mobilières d'une association doivent être placées en titres nominatifs.

Elles peuvent recevoir des dons et des legs dans les conditions prévues par l'article 910 du code civil et l'article 54 de la loi du 4 février 1901. Les immeubles compris dans un acte de donation ou dans une disposition testamentaire qui ne seraient pas nécessaires au fonctionnement de l'association sont aliénés dans les délais et la forme prescrits par le décret ou l'arrêté qui autorise l'acceptation de la libéralité; le prix en est versé à la caisse de l'association.

Elles ne peuvent accepter une donation mobilière ou immobilière avec réserve d'usufruit au profit du donateur.

Art. 12. — Les associations composées en majeure partie d'étrangers, celles ayant des administrateurs étrangers ou leur siège à l'étranger, et dont les agissements seraient de nature soit à fausser les conditions normales du marché des valeurs ou des marchandises, soit à menacer la sûreté intérieure ou extérieure de l'Etat, dans les conditions prévues par les articles 75 à 101 du code pénal, pourront être dissoutes par décret du Président de la République, rendu en conseil des ministres.

Les fondateurs, directeurs ou administrateurs de l'association qui se serait maintenue ou reconstituée illégalement après le décret de dissolution seront punis des peines portées par l'article 8, paragraphe 2.

TITRE III

Art. 13. — Aucune congrégation religieuse ne peut se former sans une autorisation donnée par une loi qui déterminera les conditions de son fonctionnement.

Elle ne pourra fonder aucun nouvel établissement qu'en vertu d'un décret rendu en conseil d'Etat.

La dissolution de la congrégation ou la fermeture de tout établissement pourront être prononcées par décret rendu en conseil des ministres.

Art. 14. — Nul n'est admis à diriger, soit directement, soit par personne interposée, un établissement d'enseignement, de quelque ordre qu'il soit, ni à y donner l'enseignement, s'il appartient à une congrégation religieuse non autorisée.

Les contrevenants seront punis des peines prévues par l'article 8, paragraphe 2. La fermeture de l'établissement pourra, en outre, être prononcée par le jugement de condamnation.

Art. 15. — Toute congrégation religieuse tient un état de ses recettes et dépenses ; elle dresse chaque année le compte financier de l'année écoulée et l'état inventorié de ses biens meubles et immeubles.

La liste complète de ses membres, mentionnant leur nom patronymique, ainsi que le nom sous lequel ils sont désignés dans la congrégation, leurs nationalité, âge et lieu de naissance, la date de leur entrée, doit se trouver au siège de la congrégation.

Celle-ci est tenue de représenter sans déplacement, sur toute réquisition du préfet, à lui-même ou à son délégué, les comptes, états et listes ci-dessus indiqués.

Seront punis des peines portées au paragraphe 2 de l'article 8 les représentants ou directeurs d'une congrégation qui auront fait des communications mensongères ou refusé d'obtempérer aux réquisitions du préfet dans les cas prévus par le présent article.

Art. 16. — Toute congrégation formée sans autorisation sera déclarée illicite.

Ceux qui en auront fait partie seront punis des peines édictées à l'article 8, paragraphe 2.

La peine applicable aux fondateurs ou administrateurs sera portée au double.

Art. 17. — Sont nuls tous actes entre vifs ou testamentaires, à titre onéreux ou gratuit, accomplis soit directement, soit par personne interposée, ou toute autre voie indirecte, ayant pour objet de permettre aux associations légalement ou illégalement formées de se soustraire aux dispositions des articles 2, 6, 9, 11, 13, 14 et 16.

Sont légalement présumées personnes interposées au profit des congrégations religieuses, mais sous réserve de la preuve contraire :

1° Les associés à qui ont été consenties des ventes ou fait des dons ou legs, à moins, s'il s'agit de dons ou legs, que le bénéficiaire ne soit l'héritier en ligne directe du disposant ;

2° L'associé ou la société civile ou com-

merciale composée en tout ou partie de membres de la congrégation, propriétaire de tout immeuble occupé par l'association ;

3° Le propriétaire de tout immeuble occupé par l'association, après qu'elle aura été déclarée illicite.

La nullité pourra être prononcée soit à la diligence du ministère public, soit à la requête de tout intéressé.

Art. 18. — Les congrégations existantes au moment de la promulgation de la présente loi, qui n'auraient pas été antérieurement autorisées ou reconnues, devront, dans le délai de trois mois, justifier qu'elles ont fait les diligences nécessaires pour se conformer à ses prescriptions.

A défaut de cette justification, elles sont réputées dissoutes de plein droit. Il en sera de même des congrégations auxquelles l'autorisation aura été refusée.

La liquidation des biens détenus par elles aura lieu en justice. Le tribunal, à la requête du ministère public, nommera, pour y procéder, un liquidateur qui aura pendant toute la durée de la liquidation tous les pouvoirs d'un administrateur séquestre.

Le jugement ordonnant la liquidation sera rendu public dans la forme prescrite pour les annonces légales.

Les biens et valeurs appartenant aux membres de la congrégation antérieurement à leur entrée dans la congrégation, ou qui leur seraient échus depuis, soit par succession *ab intestat* en ligne directe ou collatérale, soit par donation ou legs en ligne directe, leur seront restitués.

Les dons et legs qui leur auraient été faits autrement qu'en ligne directe pourront être également revendiqués, mais à charge par les bénéficiaires de faire la preuve qu'ils n'ont pas été les personnes interposées prévues par l'article 17.

Les biens et valeurs acquis à titre gratuit et qui n'auraient pas été spécialement affectés par l'acte de libéralité à une œuvre d'assistance pourront être revendiqués par le donateur, ses héritiers ou ayants droit, ou par les héritiers ou ayants droit du testateur, sans qu'il puisse leur être opposé aucune prescription pour le temps écoulé avant le jugement prononçant la liquidation.

Si les biens et valeurs ont été donnés ou légués en vue de gratifier non les congréganistes, mais de pourvoir à une œuvre d'assistance, ils ne pourront être revendiqués qu'à charge de pourvoir à l'accomplissement du but assigné à la libéralité.

Toute action en reprise ou revendication devra, à peine de forclusion, être formée contre le liquidateur dans le délai de six mois à partir de la publication du jugement. Les jugements rendus contradictoirement avec le liquidateur, et ayant acquis l'autorité de la chose jugée, sont opposables à tous les intéressés.

Passé le délai de six mois, le liquidateur procédera à la vente en justice de tous les immeubles qui n'auraient pas été revendiqués ou qui ne seraient pas affectés à une œuvre d'assistance.

Le produit de la vente, ainsi que toutes les valeurs mobilières, sera déposé à la Caisse des dépôts et consignations.

L'entretien des pauvres hospitalisés sera, jusqu'à l'achèvement de la liquidation. con-

Art. 21. — Sont abrogés les articles 291, 292, 293 du code pénal, ainsi que les dispositions de l'article 294 du même code relatives aux associations; l'article 20 de l'ordonnance du 5-8 juillet 1820; la loi du 10 avril 1834; l'article 13 du décret du 28 juillet 1848; l'article 7 de la loi du 30 juin 1881; la loi du 14 mars 1872; le paragraphe 2, article 2, de la loi du 24 mai 1825; le décret du 31 janvier 1852 et généralement toutes les dispositions contraires à la présente loi.

Il n'est en rien dérogé pour l'avenir aux lois spéciales relatives aux syndicats professionnels, aux sociétés de commerce et aux sociétés de secours mutuels.

La présente loi, délibérée et adoptée par le Sénat et par la Chambre des députés, sera exécutée comme loi de l'Etat.

Fait à Paris, le 1er juillet 1901.

ÉMILE LOUBET.

Par le Président de la République :

Le président du conseil,

ministre de l'intérieur et des cultes,

WALDECK-ROUSSEAU.

– المصدر: الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية، السنة 33، ع 177، الثلاثاء 1901/07/02، ص ص4025–4027.

ملحق رقم :02

مرسوم 1904/09/18الذي سمح بتطبيق قانون 1901/07/01 في الجزائر

Trente-sixième année. — N° 258. Le numéro : Cinq centimes. Jeudi 22 Septembre 1904.

JOURNAL OFFICIEL

DE LA RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

ÉDITION COMPLÈTE

Paris et Départements : Un an, 40 fr.; 6 mois, 20 fr.; 3 mois, 10 fr.
Union postale : Un an, 76 fr.; 6 mois, 38 fr.; 3 mois, 19 fr.

ÉDITION PARTIELLE

Paris et Départements : Un an, 18 fr.; 6 mois, 10 fr.; 3 mois, 5 fr.
Union postale : Un an, 54 fr.; 6 mois, 28 fr.; 3 mois, 14 fr.

L'ÉDITION COMPLÈTE comprend : 1° le JOURNAL OFFICIEL *proprement dit*; — 2° le *Compte rendu* in extenso *des séances du Sénat et de la Chambre*; — 3° les *Annexes du Sénat et de la Chambre et tous autres documents publiés en annexes*; — 4° les *Tables annuelles délivrées gratuitement aux abonnés d'un an*. — L'ÉDITION PARTIELLE comprend : 1° le JOURNAL OFFICIEL *proprement dit*; — 2° le *Compte rendu* in extenso *des séances du Sénat et de la Chambre*.

Les abonnements partent des 1er et 16 de chaque mois. — Envoyer le montant net en un mandat-poste à l'Administration.

JOINDRE LA DERNIÈRE BANDE aux renouvellements et réclamations

DIRECTION, RÉDACTION ET ADMINISTRATION
QUAI VOLTAIRE, N° 31, PARIS 7e

POUR LES CHANGEMENTS D'ADRESSE AJOUTER *soixante* CENTIMES

Le Président de la République française,

Sur le rapport du président du conseil, ministre de l'intérieur et des cultes et du ministre de l'instruction publique,

Décrète :

Art. 1er. — Sont rendus exécutoires en Algérie les lois et décrets ci-après désignés :

1° La loi du 1er juillet 1901 relative au contrat d'association;

2° La loi du 4 décembre 1902 tendant à réprimer le fait d'ouverture ou de tenue sans autorisation d'un établissement congréganiste;

3° La loi du 17 juillet 1903 complétant l'article 18 de la loi du 1er juillet relative au

contrat d'association en ce qui concerne la compétence du tribunal qui a ordonné la liquidation;

4° La loi du 7 juillet 1904 relative à la suppression de l'enseignement congréganiste;

5° Le décret du 16 août 1901 portant règlement d'administration publique pour l'exécution de la loi du 1er juillet 1901 relative au contrat d'association;

6° Le décret du 16 août 1901 portant règlement d'administration publique pour l'exécution de l'article 18 de la loi du 1er juillet 1901 relative au contrat d'association;

7° Le décret du 28 novembre 1902 qui modifie le paragraphe 2 de l'article 21 du décret du 16 août 1901 portant règlement d'administration publique pour l'exécution de la loi du 1er juillet 1901 relative au contrat d'association.

Art. 2. — Le président du conseil, ministre de l'intérieur et des cultes, et le ministre de l'instruction publique sont chargés, chacun en ce qui le concerne, de l'exécution du présent décret, qui sera publié au *Journal officiel* et inséré au *Bulletin des lois* et au *Bulletin officiel* du gouvernement général de l'Algérie.

Fait à la Bégude-de-Mazenc, le 18 septembre 1904.

ÉMILE LOUBET.

Par le Président de la République :

Le président du conseil,
ministre de l'intérieur et des cultes,

E. COMBES.

Le ministre de l'instruction publique,

J. CHAUMIÉ.

المصدر: الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية، السنة 36،ع 258، الخميس 1904/09/22 ، ص ص 5757-5758.

ملحق رقم :03

نداء شيخ الطريقة التجانية لأحباب طريقته في العالم الإسلامي

أيها الأحباب

قد تأسفنا للغاية لما طرق مسامعنا من دخول الدولة التركية في الحرب الحالية مع دولة الألمان الطاغية الظالمة والغاشمة والوحشية دمرها الله وأخزاها وجعل عاقبة أمرها خسرانا وكيف لا نتأسف من دخول دولة تركيا مع ألمانيا ضد فرنسا وانقلتيرا وروسيا والحالة أن دخولها هذه الحالة سببا في اضمحلال المملكة العثمانية فوالله قد أخطأ رجال دولة تركيا خطأ فاحشا يدل على جنونهم وخبالهم وأعظم شاهد عليهم في ذلك هو التاريخ نفسه فمن ذا الذي يجهل أن فرنسا من أول الزمان إلى الآن كانت خير مساعد للأمة التركية تمدها بأموالها وذخائرها بعلومها وتنصحها بآرائها الصائبة وتنقذها من المهالك التي ترميها إليها ألمانيا وغيرها والآن ترى تنحني تركيا فيما بعد أن عادتها فرنسا أما نحن المسلمون عموما والتجانيون خصوصا فنذم دولة تركيا على أعمالها الفاسدة التي يستحي منها المسلمون في العالم كله من أقصى الهند إلى أقصى المغرب وزيادة على ذلك فلا يعزب عنكم يا أيها الأحباب ما فعله الترك في بر الجزائر وقت استيلائهم عليه فقد أضروا بالبلاد والعباد وارتكبوا فيه جميع الفواحش ولم يحترموا الدين ولا الشرع الإسلامي ولا عوائد الأهالي وتركوا الناس فوضى يضرب بعضهم البعض عليه فلا غرو أن صرنا جميعا أعداء لدولة الترك وكفى بهما قول الحامد والأمين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم الخ فهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على فساد أمرهم وسوء أفعالهم واعلموا أيها الأحباب أننا لم نزل ولن نزال متعلقين بأذيال دولتنا الفرنسوية الفخيمة صاحبة الفضل والفضائل

نتذكر نعمها العظيمة ومزاياها الجسيمة التي لا تعد ولا تحصى فهي أمنا الحنينة ذات الرأفة والشفقة ويجب علينا معاشر المسلمين أن نعينها فلننصر فرنسا وأموالنا وأولادنا على عدوتها ألمانيا وحليفتها النمسا ومعاونتهما تركيا وندعو لها ولحليفتيها انقلتيرا وروسيا بآناء الليل وأطراف النهار بالفوز والانتصار كما ندعو على ألمانيا وعلى النمسا وعلى تركيا بالانهزام والدمار وكل آت قريب

فأوصيكم يا أيها الأحباب في اتباع هذا المسلك الذي فيه خيركم ولا تنساكم في الدعاء أوقات الاستجابة والسلام

من الفقير إلى ربه تعالى علي بن القطب الأكبر سيدي أحمد التجاني

شيخ الطريقة التجانية في زاوية عين ماضي العسكري

نداء شيخ الطريقة التجانية علي – عين ماضي –

المصدر: **R.O.M .M , P P 181 . 189**

ملحق رقم :04

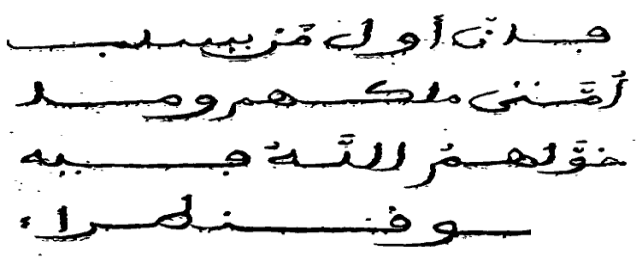

وصية الأمير محمد الكبير بن سيدي محمد الصغير
إلى الكتبة الأكابر سيدي أحمد التيجاني لأحباب طريقته
بجميع البلدان

أيها الأحباب فكما تعلمون أن المانيا النصرانية جلبت هذه الحرب
الجميع العالم بقصد توسيع ملكها واستعباد الأحرار وكما اشتهرت
به من التوحش والتجبر وانتهاك وهدمت دولتنا العزيزة نمسا ومعها
انقلتيرا وروسيا الردا المانيا وطبعتها النمسا عن مقاصدها الفاسدة خدمة
للعدل والحقوق الانسانية والعجب العجاب أن دولة تركيا الخبيثة
تداخلت في هذه البلية التي دهمتها اليها المانيا فعلتها ولم تتبعه
من غفلتها الوخيمة الأمر التي فيها دمارها الاضمحلال والسبب في ذلك
أن دولة تركيا الآن يديرها رجال من الجون ترك لا يعرفون شيئا من الدين
ولم يكن لهم من الإسلام الا اسمه والشائع عنهم في جميع أقطار الدنيا
أنهم باعوا بلادهم لأمبراطور المانيا بالرنان الأصفر والعياذ بالله
من أمثالهم أما تركيا المسكينة مثل الباحث عن جنته والجاذع ما زاغ به
بصره وعلى كل حال فإننا نتبرأ من كل علاقة بيننا وبين الترك فمنهم عرب
وهم وسلكاتهم عجم والعرق دساس من كل أحد سواهم بل حتى الدولة
تركيا التي تقدم لها ما علمت على هذه البلية لم يروا لها وفاء واحدا منها
شفقة ورحمة على الأمة العربية فكان الترك أعداء للعدل أنصار الجور
وما يهمهم إلا استدرار أموال الغير وما ينال الخضوع عندهم إلا الجاهل
أو الخبيث الذي رضا لنفسه الفساد بصاحبه ونفسه لمخالفتهم وبهذا
السبب أمرنا نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله «اتركوا الترك ما
تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خول الله هيه بنو قنطوراء»
والمعنى لا تتعرضوا لهم ما داموا في ديارهم ولم يتعرضوا لكم وخصوا
بالذكر لشدة بأسهم وكانهم أول من ينتزع من العرب بلادهم التي ملكوها

كما في الجامع الصغير للسيوطي فانظر هذه الوصايا التي أوصانا بها وتبرعاتهم
لمباسدهم في بلاد فاوتزداد الآن معاداتنا لهم بدخولهم مع المانيا
ضد دولتنا العزيزة الفرنسوية التي أكثرت علينا من فعلها وسفتنا
ما عدلها ولم تر منها منذ استقلالها على فكرتها الماضية أحد البلاد
وقت العباد وحينئذ فكيف لا نكون من المتمسكين بأذيالها المتلثة التي
هي شعار الحرية والأخوة والمساواة فإن عدوها أنها عدونا
بل عليه هلكت في أكثرها بالأذناب وأموالنا لفتال أعدائنا المانيا والنمسا
ودولة الجون تهون عدوها وانصارها انقلتيرا وروسيا والبلجيك والصرب
والجبل الأسود واليابان بانتصار الكلي الذي هو انتصارنا وانتصار الإسلام
فاكتبوا وتبشروا بهذا وتواصوا من جميع ما تقدم وكاتبوا كل من صالح
الدعاء بعمله الله مفيدا ببركة القطب التيجاني والسلام
من الفقير لربه محمد الكبير بن سيدي محمد الصغير بن القطب التيجاني نفعنا الله بهم وبركاته

" وصية " محمد الكبير لأحباب الطريقة في جميع أنحاء العالم و موقف الطريقة التيجانية من الحرب العالمية الأولى

ملحق رقم :05

وصية السيد محمد الكبير بن السيد محمد الصغير

ابن الشيخ الأكبر سيدي أحمد التيجاني لأحباب طريقته في جميع البلدان

أيها الأحباب فلتستقر في علمكم أن المانيا التعيسة جلبت هذه الحرب الجميع العالم بقصد توسيع ملكها واستعباد الأحرار وذلك لما اشتهرت به من التوحش والتجبر والتعجرف وقد قامت دولتنا العزيزة فرنسا ومعها انقلتيرا وروسيا لرد المانيا ولمطبعتها النصارى مقاصدها الباسدة خدمة للعدل والحقوق الانسانية والحمد لله الحباب أن دولة تركيا الخبيثة تداخلت في هذه البلية التي دعتها اليها المانيا لمطبعتها ولم تتنبه من غفلتها الى عاقبة الأمر التي هي مدارها الاضمحلال والسبب في ذلك أن دولة تركيا الآن يديرها عدة رجال من اليهود تراهم لا يعرفون شيئا من الدين ولم يكن لهم من الاسلام الا اسمه والشائع عنهم في جميع أقطار الدنيا أنهم باعوا بلادهم لأمير الكور المانيا بالرنز الأحمر والعياذ بالله من أمثالهم أما تركيا المسكينة فمثل الباحث عن جثته والمادع ما زانبه بكمه وعلى كل حال فإننا نتبرأ من كل علاقة بيننا وبين الترك من عربهم وسلكانهم عجمهم والجزائريون أحذر من كل أحد سواهم بالدولة تركيا لأنها قد تقدم لها ملك على هذا البلد فلم ير إلا وفاء واحدا منها شهقة واحدة على الأمة العربية فكان الترك أعداء للعدل أنصار الجور يوالون لهم الى استدرار أموال الغير ويأبون الخضوع عندهم الا الجاهل أو الجبان الذي لا يرضاه لا لفساد طباعهم وخسة أخلاقهم وبهذا السبب أمرنا نبينا عليه الصلاة والسلام بقوله « اتركوا الترك ما تركوكم فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خول آل محمد بنو قنطوراء » والمعنى لا تتعرضوا لهم ما داموا في ديارهم ولم يتعرضوا لكم وخصوا بالذكر لشدة بأسهم وكانهم أول من ينتزع من العرب بلادهم التي ملكوها

" وصية " محمد الكبير لأحباب الطريقة في جميع أنحاء العالم و موقف الطريقة التيجانية من الحرب العالمية الأولى

ملحق رقم :06

وصية السيد محمود بن سيدي محمد البشير
ابن الشيخ الأكبر سيدي أحمد التيجاني
لأحباب الطريقة التيجانية أينما كانوا

أيها الأحباب

إن أول ما نفتتح به هذه الرسالة هو الدعاء من صميم الفؤاد ومن سويداء القلب لدولتنا الفرنسوية العظيمة التي زرعت في هذه البلاد الجزائرية مآثر الخير منذ عاش المغفور له تحت ظل رايتها المنصورة أحسن عيش، حامدين لله شاكرين له قائمين بواجباتهم الدينية عاملين بشريعتهم السمحاء وبقوانين دولتنا الحامية عن كل ما ارتكبه الجنس الماني من التعدي على السلم العام بأنه أشهر الحرب على فرنسا العظيمة وعلى حليفتيها انقلتيرا وروسيا وصمم بدخوله أجناء القطر الحر على نصر عكسهما الجور والاعتساف وكفاحهما الاستبداد على سائر أفكار العدو واستعباد الأقوام الحرة والإضرار بالإنسانية والتأخر بها إلى الأزمان الجاهلية وبفضل الله تعالى قامت الدولة الفرنسوية ومعها انقلتيرا وروسيا والبلجيك واليابان والصرب هؤلاء بالفعل وأمم أخر بالمعنى حتى صار العالم كله ضد المانيا وحليفتها النمسا الآن دولة تركيا قد غلبت عليها وما فتئ المانيا باشتراء الأمير لكور فليوم رجال الجوزتردا الذين هم يديرون الأمور الآن في الاستانة قد باعوا المملكة

موقف الطريقة التيجانية " وصية " من الحرب العالمية الأولى .

- تابع - ملحق رقم

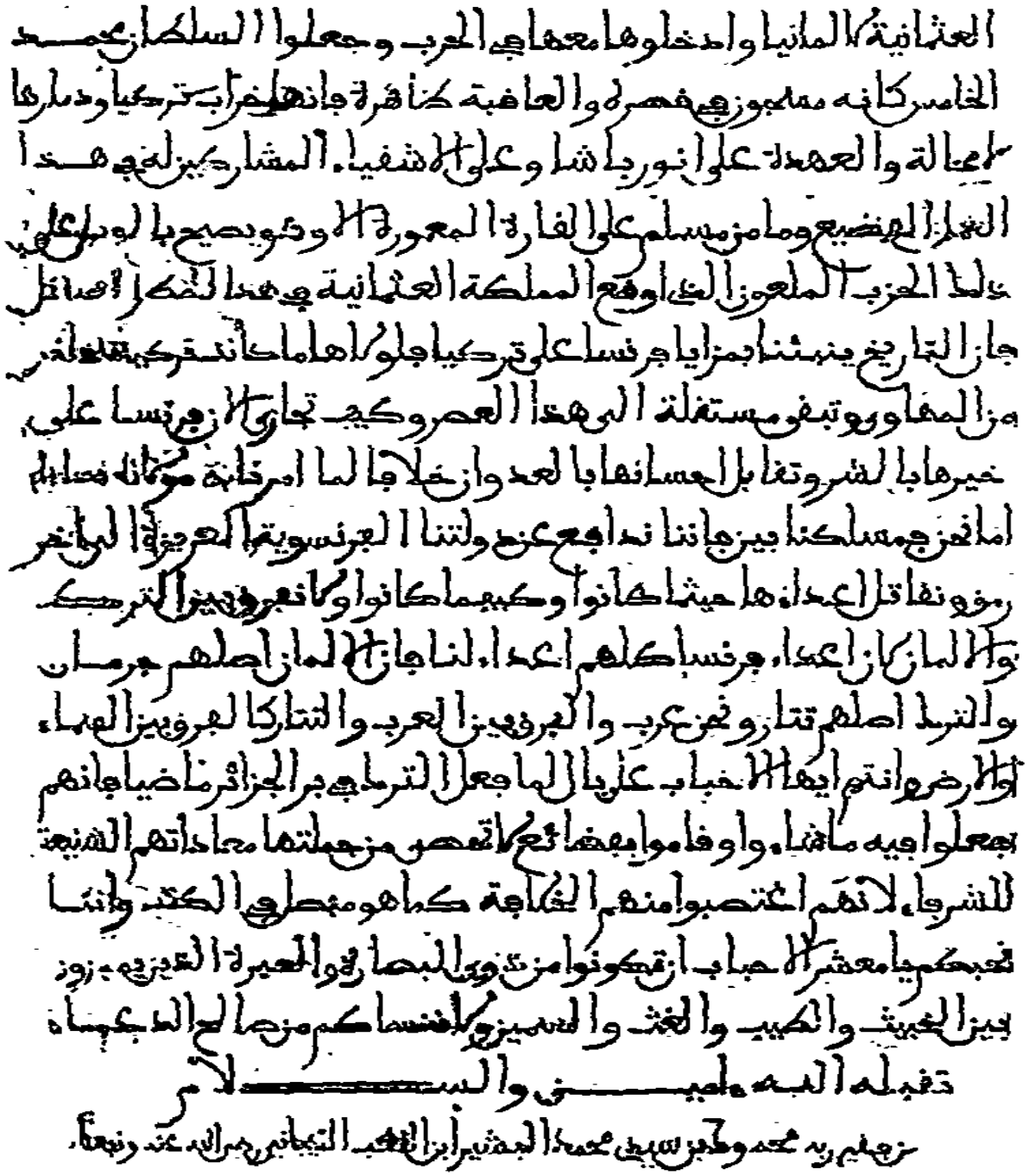

موقف الطريقة التيجانية " وصية " من الحرب العالمية الأولى .

ملحق رقم :07

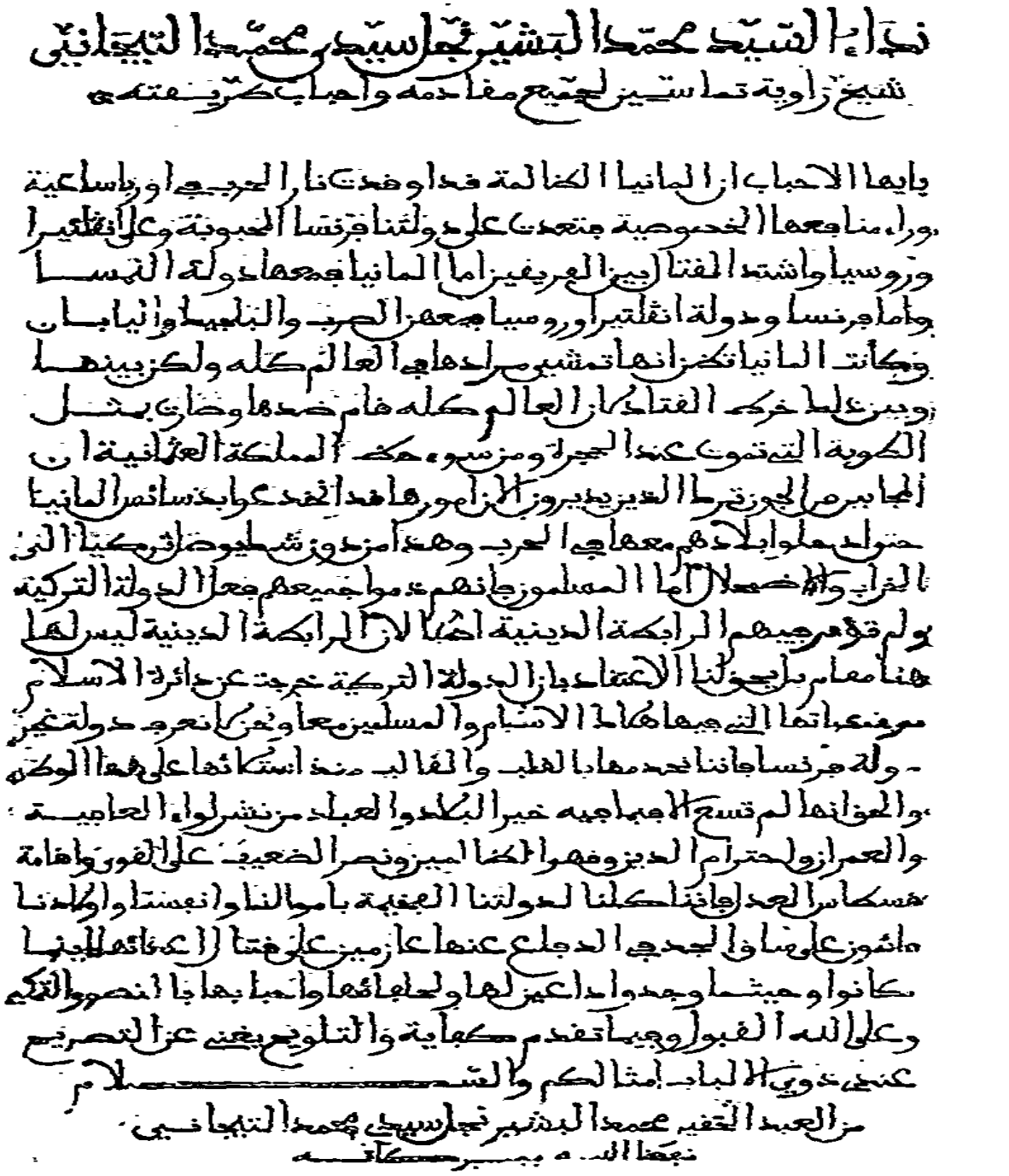

نداء الشيخ محمد البشير نجل سيدي محمد التيجاني
شيخ زاوية تماستين لجميع مقادمه وأحباب كرونسته

يا أيها الأحباب إن ألمانيا الظالمة قد أوقدت نار الحرب العالمية الرابعة ومن ورائها الخصوصية متعدت على دولتنا فرنسا المحبوبة وعلى انكلترا وروسيا واشتد القتال بين الفريقين أما ألمانيا فمعها دولة النمسا وأما فرنسا ودولة انكلترا وروسيا فمعهن الحرب والبلجيك وإيطاليا وكانت ألمانيا تظن أنها تتغلب على العالم كله ولكن بينها وبين ذلك حركة القتال كان العالم كله قام ضدها وصار بمثل الكوبة التي تموت عند الجمرة ومن سوء حظ المملكة العثمانية أن المحاربين الجوز قرط الذين يريدون الزاموريا قد انخدعوا بدسائس ألمانيا حتى دخلوا بلادهم معها في الحرب وهذا من دون شك يوضح تركيا التي تراءى لها الضلال أما المسلمون جانبهم عدم اجتماعهم بعمل الدولة التركية ولم تؤثر فيهم الرابطة الدينية أصلا لأن الرابطة الدينية ليس لها هنا مقام بل بحولنا الاعتقاد بأن الدولة التركية خرجت عن دائرة الإسلام بمرتكباتها التي جاهرت بها مع الأمم والمسلمين معاونين أن نعرف دولة غير دولة فرنسا فإننا فقدنا بها القلب والقالب منذ استكانها على هذا الوطن والعوائد لم تسمح الأجنبية غير البلدوا العبد من نشر لواء الحامية والعمران واحترام الدين وفهم الكمالية ونصر الضعيف على القوي وإقامة ميكاس العدل فإننا كلنا لدولتنا الجميلة بأموالنا وأنفسنا وأولادنا ماشون على ساق الجد الدؤوب عنها عازمين على موقتا الى غايتها لأنها كانوا وحيثما وجدوا داعين لها ولحاياتها وأنبا بها بالنصر والتمكين وعلى الله القبول وبما تقدم كفاية والتلويح يغني عن التصريح عنى ذوي الألباب امتثالكم والسلام

من العبد الحقير محمد البشير نجل سيدي محمد التيجاني
نفعهما الله به بمنه وكرمه

ملحق رقم :08

وصية السيد محمد العروسي نجل المرحوم سيدي محمد الصغير التيجاني شيخ زاوية عمار الساسر مخاطبة لأحبابه

أيها الأحباب اعلموا أننا نشكر على المحسنين من رجال الدولة تركيا بأن يعلموا من مشاركة دولة ألمانيا الجائرة في حرب الدول المتحابة فرنسا وانقلتيرا وروسيا بهذا العمل الذي يكون سببا في دمار المملكة العثمانية وبما يترتب في دخلها أنواع الويل والأرزاء الجائرين الذين يلقون بالأذهم الى التهلكة وبانتهاز أماني المسلمين بأن يشركوا في محبة دولتي فرنسا الجمعية ولأجل إعانتها على أعدائها الذين دخلوا في حيوضها يقاتلون العدو مع إخوانهم الفرنسويين ونحن كذلك مستعدون بأرواحنا وأموالنا وعلى غير ديننا للمرحبة على العدو الذي عندنا فرنسا الذي دخل ديارنا باغتنام الفرصة لبوار أقطارنا بالغير على أسبابها الفائض علينا من التقديم الذي نوناه وأننا نوصيكم يا أيها الأحباب بالاقتداء بنا وكاشفا أنكم تعبرون بالغير عن الدارين ببركة الغوث التيجاني والمسلام من عبده ورسوله محمد العروسي نجل المرحوم سيدي محمد الصغير التيجاني عفى عنهما

ملحق رقم :09

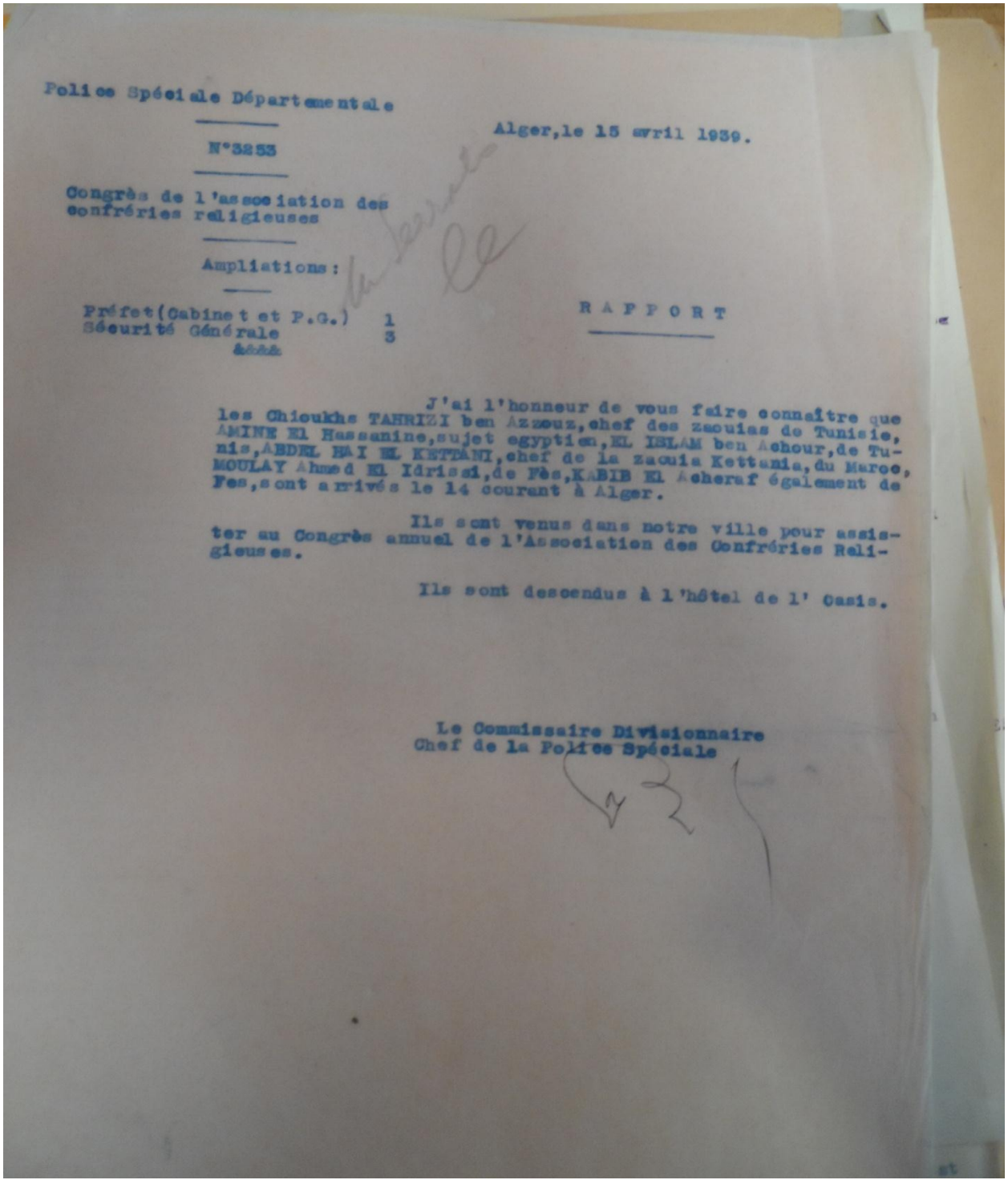

Police Spéciale Départementale

N°3253

Alger,le 15 avril 1939.

Congrès de l'association des confréries religieuses

Ampliations:

Préfet(Cabinet et P.G.) 1
Sécurité Générale 3
&&&&

RAPPORT

J'ai l'honneur de vous faire connaître que les Chioukhs TAHRIZI ben Azzouz,chef des zaouias de Tunisie, AMINE El Hassanine,sujet egyptien,EL ISLAM ben Achour,de Tunis,ABDEL HAI EL KETTANI,chef de la zaouia Kettania,du Maroc, MOULAY Ahmed El Idrissi,de Fès,KABIB El Acheraf également de Fes,sont arrivés le 14 courant à Alger.

Ils sont venus dans notre ville pour assister au Congrès annuel de l'Association des Confréries Religieuses.

Ils sont descendus à l'hôtel de l' Oasis.

Le Commissaire Divisionnaire
Chef de la Police Spéciale

موقف الطريقة التيجانية– زاوية قمار – من الحرب العالمية الأو

المصدر : R.O.M.M , PP 211_ 212

ملحق رقم :10

وصية الشريف السيد احمد بن الحسين الوزاني
الى مقادم واخوان الكريفة الطيبية

الحمد لله وحده

ايها الاخوان الطيبيون اننا نحمد الله ونشكره على ولاية الدولة الفرنسوية علينا فانا نحبها ونسأل الله ان يكمل بقاءها ويجعل منارها في اعلى اوج السعادة ويمدها بالنصر في الغدو والرواح اما دولة تركيا فعلى ابصار رجالها غشاوة والا كانوا ينتبهون الى مصلحة بلادهم ويصدون عن دولة المانيا الخادعة التي تجر المملكة العثمانية الى الهلاك العفيف وليس من شان الاسلام الظلم والانتقام في سلك الظالمين كبيرها يعرف ذلك رجال الدولة تركيا وكبيرها يتفوز اليه في البقية الباقية من ملكهم بئست سياستهم التابعة لسياسة المانيا فكانت عاقبتها الهلاك شان المملكة العثمانية في الماضي واضمحلالها في الحال والمآل فالنعيم ايريح والترك لئام حيث لم يراعوا خير فرنسا وخير القلتير امعهم ومالوا الى الالمان مخادعهم وعدو الاسلام اما نحن المسلمون عموما والطيبون خصوصا فنعلن على رؤوس الملا باننا نقدم صادقون لدولتنا الفرنسوية الفخيمة وانبرك في اعانتها ونصرها على اعدائها كما ندعو لها من صميم الفؤاد بالانتصار الكلي ونسأل الله ان يديم الالتزام واتباعه المسعدين الهم اميز والاحترام

احمد بن الحسين بن ابراهيم الشريف الحسني العلمي الوزاني
شيخ الطريقة الطيبية بوهران

موقف الطريقة الطيبية من الحرب العالمية الأولى

المصدر :R.O.M.M ,P236

تابع للملحق رقم :10

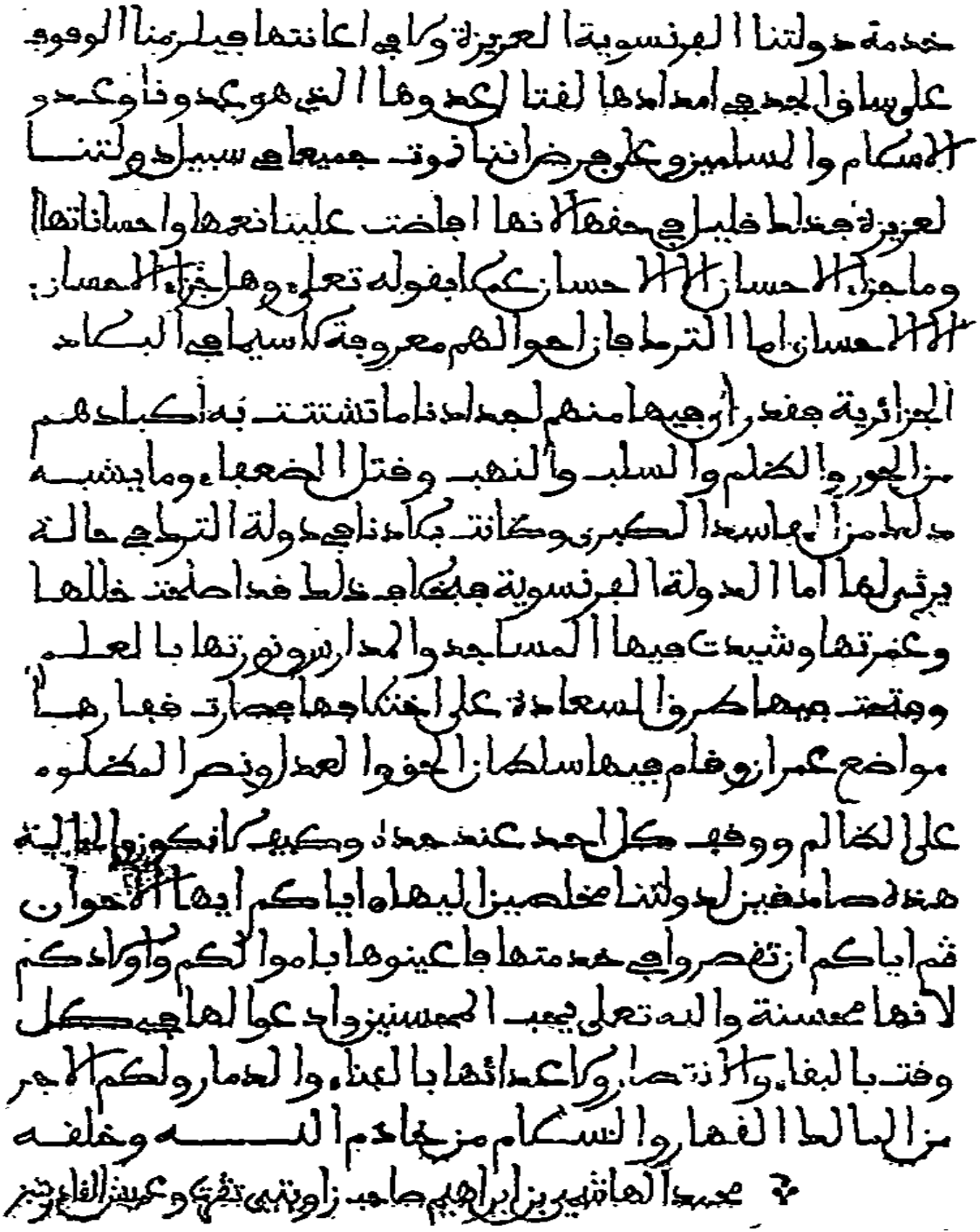

موقف الطريقة القادرية بزاوية تقرت وعميش من الحرب العالمية الأولى

المصدر : R.O.M.M , PP240,243 .

تابع للملحق رقم :10

نداء السيد محمد الهاشمي بن ابراهيم
شيخ الطريقة القادرية في زاويته تقرث وعميش الى الكاتبة
اخوان كريفته

أما بعد السلام فقد استبشرنا للغاية لما سمعنا من أن دولتنا العرفسوية الخيبة منصورة فلم تقدر المانيا الظالمة على جيش فرنسا الجرار شيئا كما لم تقدر شيئا على انقلترا وعلى روسيا طبعا بتأييد دولتنا المحبوبة بمظهر على الالمان الانكسار وحول الله وقوته فما يكون الزمان حتى يضمحل الجيش الالماني الباسد ويصفو جو العالم من الفساد الذي عكرته المانيا ولكن العجب العجاب ان دولة تركيا ادخلت نفسها في هذه الحرب الهائلة وذلك بإرادة رجالها وقلة بصارتهم وعاقبة الامر ظاهرة فانها الآن في دمار المملكة العثمانية وخرابها فان الله تعالى وتقدس يأيديكم الى التهلكة، ولكن رجال الدولة تركيا لا علم لهم بكتاب الله وآياته الشريفة وما يجوز بالدين الحنيف والا لكانوا يستشيرون علماء بلادهم وسلطان مملكتهم فيصدونهم عن غيهم ويمنعون المملكة العثمانية من هذا الشر الفادح ومن العلوم ان سياسة المانيا مبنية على الحيل والمكائد ومن شانها الخداعة لا غير وان الحوادث التي جرت في هذه السنوات الاخيرة مثل الحرب البلقانية تدل على خداعة المانيا للدولة التركية ومع ذلك فان هذه المسكينة لم تنتبه من نومها ولم تعتبر بسيرتها القبيحة فانضمت اليها وتبعتها في الفساد فجعل الله كيد المانيا في نحرها ودمرها هي ومن يساعدها فانحن مسلمو فكرا الجزائر وبالاخص الاخوان الفادرون فانهم في

موقف الطريقة القادرية بزاوية تقرت وعميش من الحرب العالمية الأولى

المصدر : R.O.M.M , PP240,243 .

ملحق رقم:11.

قائمة إسمية للجمعيات الإسلامية المصرح بها في عمالة الجزائر(1910-1937)

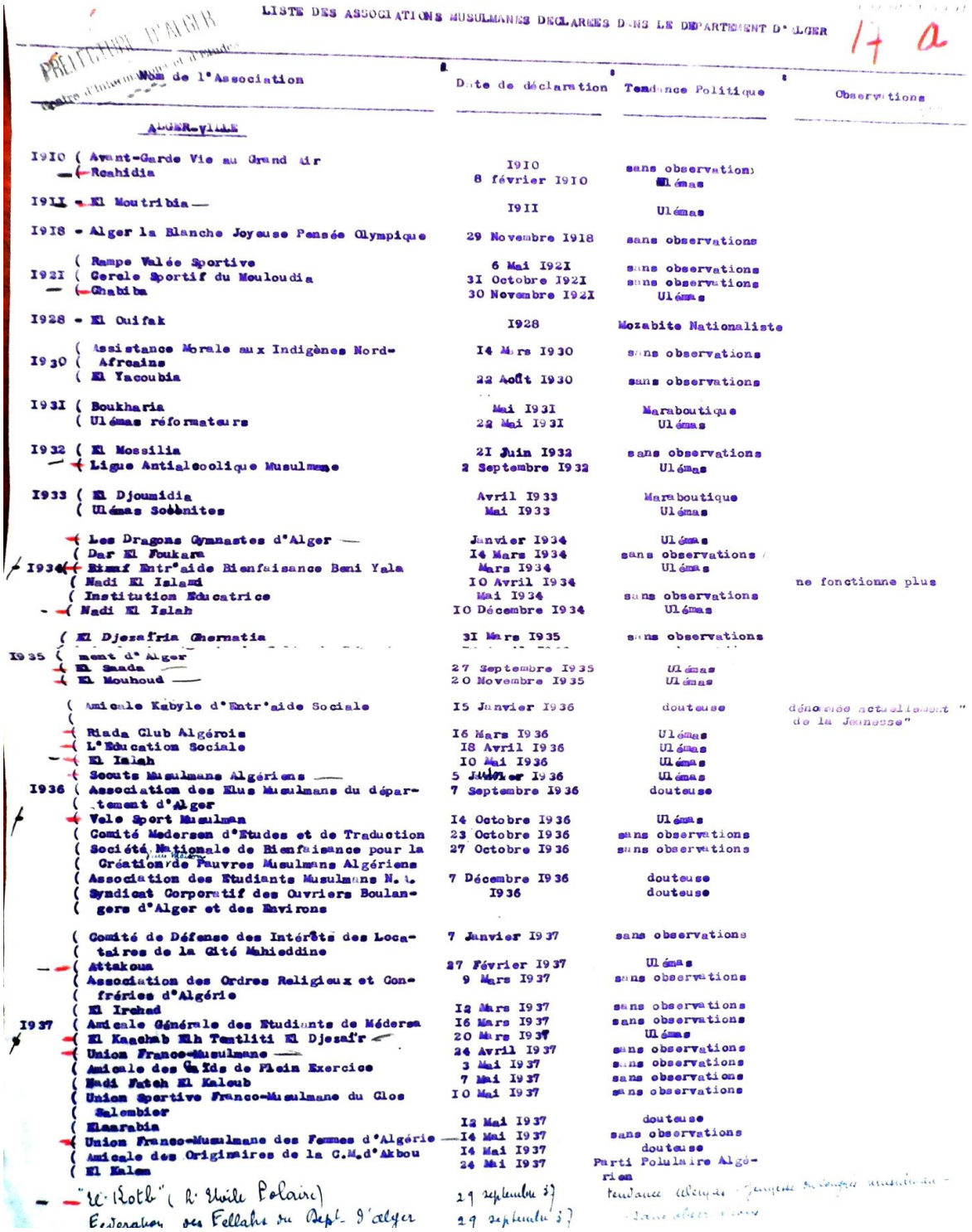

LISTE DES ASSOCIATIONS MUSULMANES DECLAREES DANS LE DEPARTEMENT D'ALGER 14 a

	Nom de l'Association	Date de déclaration	Tendance Politique	Observations
	ALGER-VILLE			
1910	Avant-Garde Vie au Grand Air	1910	sans observations	
	Rahidia	8 février 1910	Ulémas	
1911	El Moutribia	1911	Ulémas	
1918	Alger la Blanche Joyeuse Pensée Olympique	29 Novembre 1918	sans observations	
1921	Rampe Valée Sportive	6 Mai 1921	sans observations	
	Cercle Sportif du Mouloudia	31 Octobre 1921	sans observations	
	Ghabiba	30 Novembre 1921	Ulémas	
1928	El Ouifak	1928	Mozabite Nationaliste	
1930	Assistance Morale aux Indigènes Nord-Africains	14 Mars 1930	sans observations	
	El Yacoubia	22 Août 1930	sans observations	
1931	Boukharia	Mai 1931	Maraboutique	
	Ulémas réformateurs	22 Mai 1931	Ulémas	
1932	El Mossilia	21 Juin 1932	sans observations	
	Ligue Antialcoolique Musulmane	2 Septembre 1932	Ulémas	
1933	El Djoumidia	Avril 1933	Maraboutique	
	Ulémas Sobbnites	Mai 1933	Ulémas	
	Les Dragons Gymnastes d'Alger	Janvier 1934	Ulémas	
	Dar El Foukara	14 Mars 1934	sans observations	
1934	Essaf Entr'aide Bienfaisance Beni Yala	Mars 1934	Ulémas	
	Nadi El Islami	10 Avril 1934		ne fonctionne plus
	Institution Educatrice	Mai 1934	sans observations	
	Nadi El Islah	10 Décembre 1934	Ulémas	
	El Djezairia Ghernatia	31 Mars 1935	sans observations	
1935	ment d'Alger			
	El Emada	27 Septembre 1935	Ulémas	
	El Mouhoud	20 Novembre 1935	Ulémas	
	Amicale Kabyle d'Entr'aide Sociale	15 Janvier 1936	douteuse	dénommée actuellement " de la Jeunesse"
	Riada Club Algérois	16 Mars 1936	Ulémas	
	L'Education Sociale	18 Avril 1936	Ulémas	
	El Islah	10 Mai 1936	Ulémas	
	Scouts Musulmans Algériens	5 Juillet 1936	Ulémas	
1936	Association des Elus Musulmans du départ-ement d'Alger	7 Septembre 1936	douteuse	
	Vele Sport Musulman	14 Octobre 1936	Ulémas	
	Comité Medersen d'Etudes et de Traduction	23 Octobre 1936	sans observations	
	Société Nationale de Bienfaisance pour la Création de Pauvres Musulmans Algériens	27 Octobre 1936	sans observations	
	Association des Etudiants Musulmans N. A.	7 Décembre 1936	douteuse	
	Syndicat Corporatif des Ouvriers Boulangers d'Alger et des Environs	1936	douteuse	
	Comité de Défense des Intérêts des Locataires de la Cité Mahieddine	7 Janvier 1937	sans observations	
	Attakoun	27 Février 1937	Ulémas	
	Association des Ordres Religieux et Confréries d'Algérie	9 Mars 1937	sans observations	
	El Irchad	12 Mars 1937	sans observations	
1937	Amicale Générale des Etudiants de Médersa	16 Mars 1937	sans observations	
	El Kaschab Wah Tentiliti El Djezaïr	20 Mars 1937	Ulémas	
	Union Franco-Musulmane	24 Avril 1937	sans observations	
	Amicale des Caïds de Plein Exercice	3 Mai 1937	sans observations	
	Nadi Fateh El Kaloub	7 Mai 1937	sans observations	
	Union Sportive Franco-Musulmane du Clos Salembier	10 Mai 1937	sans observations	
	Elaarabia	12 Mai 1937	douteuse	
	Union Franco-Musulmane des Femmes d'Algérie	14 Mai 1937	sans observations	
	Amicale des Originaires de la C.M.d'Akbou	14 Mai 1937	douteuse	
	El Kalem	24 Mai 1937	Parti Polulaire Algérien	
	"L'Etoile" (L'Etoile Polaire)	29 septembre 37		
	Federation des Fellahs du Dept. d'Alger	29 septembre 37		

المصدر: Anom 91-4I- 65

ملحق رقم:12

نسخة من قرار نموذج التضييق على نشاط الجمعيات في الجزائر

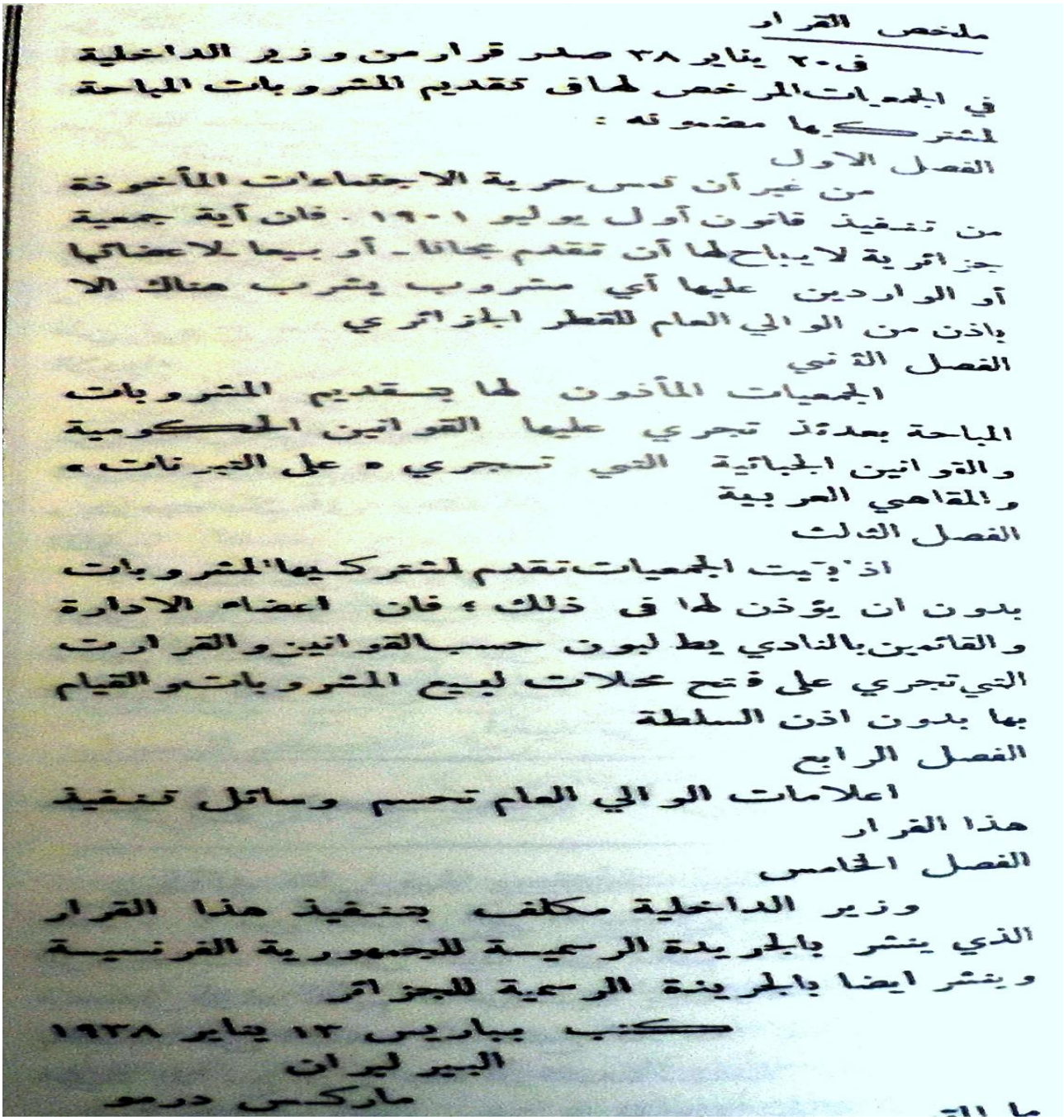

ملخص القرار

في ٢٠ يناير ٣٨ صدر قرار من وزير الداخلية في الجمعيات المرخص لها في تقديم المشروبات المباحة لشركيها مضمونه :

الفصل الاول

من غير أن تمس حرية الاجتماعات المأخوذة من تنفيذ قانون أول يوليو ١٩٠١ . فان أية جمعية جزائرية لا يباح لها أن تقدم مجانا - أو بيعا لاعضائها أو الواردين عليها أي مشروب يشرب هناك الا باذن من الوالي العام للقطر الجزائري

الفصل الثاني

الجمعيات المأذون لها بتقديم المشروبات المباحة بعدئذ تجري عليها القوانين الحكومية والقوانين البلدية التي تجري على البرنات والمقاهي العربية

الفصل الثالث

اذا رأيت الجمعيات تقدم لشركيها المشروبات بدون ان يؤذن لها في ذلك ، فان اعضاء الادارة والقائمين بالنادي يطلبون حسب القوانين والقرارات التي تجري على فتح محلات لبيع المشروبات والقيام بها بدون اذن السلطة

الفصل الرابع

اعلامات الوالي العام تحسم وسائل تنفيذ هذا القرار

الفصل الخامس

وزير الداخلية مكلف بتنفيذ هذا القرار الذي ينشر بالجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية وينشر ايضا بالجريدة الرسمية للجزائر

كتب بباريس ١٣ يناير ١٩٣٨

البيرليران

ماركس دورمو

المصدر: البصائر، السنة الثالثة ، ع 108، 15أفريل1938.

ملحق رقم:13

مقدمة القانون الأساسي لجمعية الشباب الموحدي

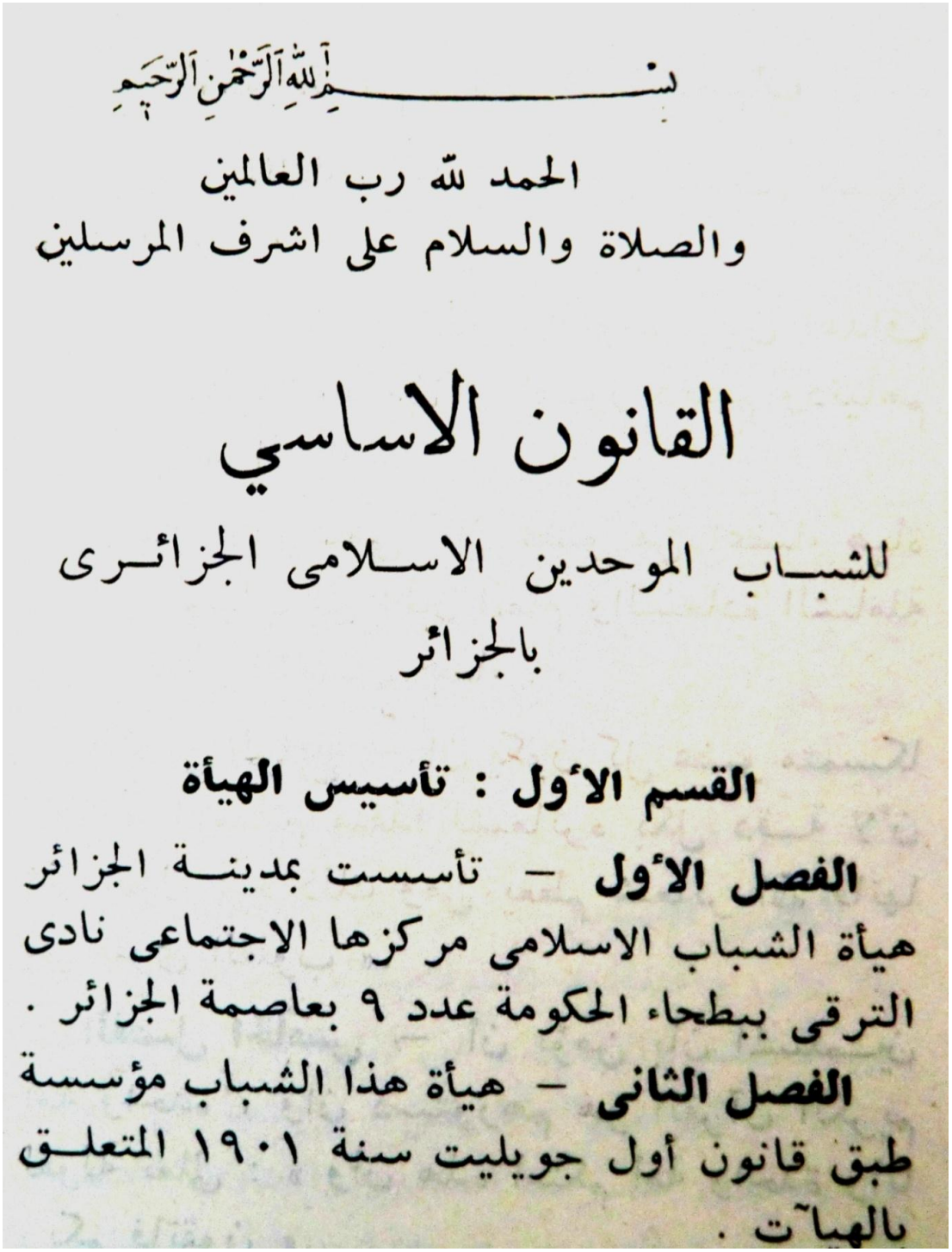

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

القانون الاساسي

للشباب الموحدين الاسلامى الجزائرى
بالجزائر

القسم الأول : تأسيس الهيأة

الفصل الأول – تأسست بمدينة الجزائر هيأة الشباب الاسلامى مركزها الاجتماعى نادى الترقى ببطحاء الحكومة عدد ٩ بعاصمة الجزائر .

الفصل الثانى – هيأة هذا الشباب مؤسسة طبق قانون أول جويليت سنة ١٩٠١ المتعلق بالهيآت .

المصدر: Anom 91-4l- 185

ملحق رقم:14

حفل تدشين نادي الإتحاد الفرنسي الإسلامي

L'inauguration du Cercle de l'Union franco-musulmane

Le poète Cheikh Laïd, entouré des petits chanteurs de la « Chabiba », félicite les créateurs du Cercle. Au pied de la scène, on voit au côté de M. le professeur Wuschendorff, le cheikh El-Okbi

المصدر: -Anom 91-4l- 190

ملحق رقم:15

العضوية لانعقاد مؤتمر الزوايا

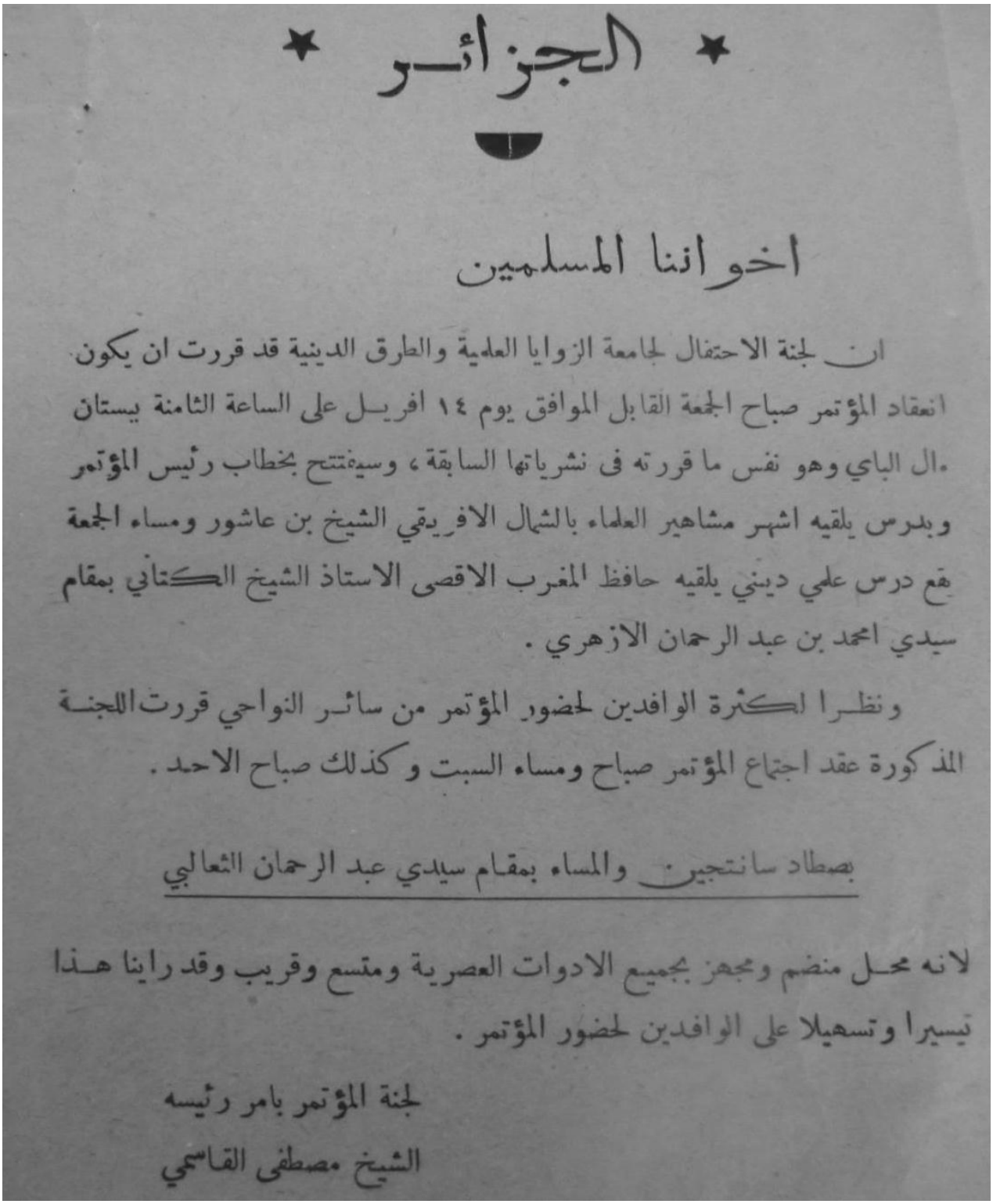

★ الجزائـــر ★

اخواننا المسلمين

ان لجنة الاحتفال لجامعة الزوايا العلمية والطرق الدينية قد قررت ان يكون انعقاد المؤتمر صباح الجمعة القابل الموافق يوم ١٤ افريـل على الساعة الثامنة بيستان ال الباي وهو نفس ما قررته فى نشرياتها السابقة ، وسيفتتح بخطاب رئيس المؤتمر وبدرس يلقيه اشهر مشاهير العلماء بالشمال الافريقي الشيخ بن عاشور ومساء الجمعة هم درس علمي ديني يلقيه حافظ المغرب الاقصى الاستاذ الشيخ الكتاني بمقام سيدي احمد بن عبد الرحمان الازهري .

ونظـرا لكثرة الوافدين لحضور المؤتمر من سائـر النواحي قررت اللجنـة المذكورة عقد اجتماع المؤتمر صباح ومساء السبت و كذلك صباح الاحد .

بصطاد سانتجين والمساء بمقام سيدي عبد الرحمان الثعالبي

لانه محـل منضم ومجهز بجميع الادوات العصرية ومتسع وقريب وقد راينا هـذا تيسيرا وتسهيلا على الوافدين لحضور المؤتمر .

لجنة المؤتمر بامر رئيسه
الشيخ مصطفى القاسمي

ملحق رقم:16

مراقبة المساجد ومنع بعض الأئمة تقرير للحاكم العام الجزائر 1933

GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
Direction des Affaires
Indigènes
Culte Musulman
N° 1803

NOTA. — Prière de rappeler, dans la réponse, la date et le numéro de la présente ainsi que le numéro du bureau.

Conférences à la Grande Mosquée d' ALGER
-:-

République Française

Alger, le 1 - MAR 1933 193

Le Gouverneur Général de l'Algérie

à Monsieur le Préfet (Affaires Indigènes)

ALGER

Vous avez bien voulu, à la date du 8 février I933, me transmettre une requête, aux termes de laquelle M. le Mufti Maléki d'Alger, sollicite l'autorisation de se faire suppléer, pour les Cours et Conférences qu'il donne habituellement à la Grande Mosquée, par le sieur Ahmed ben Mohammed ben CHLIHA.

Ce dernier, n'étant pas un agent régulier du Culte musulman et, quels que soient les bons renseignements fournis sur son compte, il paraît préférable, en raison des incidents récents, de ne pas accorder l'autorisation demandée.

Si M. le Mufti Maléki persiste dans son désir de se faire remplacer, il devra désigner un des Ministres du Culte en fonctions ./.

Le Gouverneur Général,

ملحق رقم:17

A S S O C I A T I O N (CREATION)

-:-:-:-

ASSOCIATION DES ORDRES RELIGIEUX ET CONFRERIES D'ALGERIE

Déclaration du 9 mars 1937

Composition du Conseil d'Administration

Président : KACIMI Mostapha ben Mohammed, 9, Place de Chartres Alger

Ier Vice-Président : HALLOUI Kaddour ben Mahieddine, Coléa

2e Vice-Président : HOCINI Mohamed ben Ahmed - Tazmalt

Secrétaire Général : HADBAOUI Mohamed - AÏn-Boucif

Secrétaire adjoint : BACHIR Rabhi - Saoula

Trésorier général : MEKLIFI Mohammed

Trésorier adjoint : BOUNZRAZ Ouaroughi - Orléansville

Inspecteur général : KACIMI Abdelkader, 5 rue Vialar - Alger

Assesseurs :

MISSOUNI Abd Rahmane - Boghari	
BEN CHERKI Hadj Larbi	Les Attafs
BARBARA Larbi	Téniet el Had
BENAISSA Djelloul	Djendel
MOHAND Ouali Bouassen	Tizi-Ouzou
MOHAMED BEN ben Mahieddine	Arba
KACEM Hadj Gacem	Chebli
MEBAREK Ali ben Aliel	Coléa
SI SALAH Tayeb	Boghni
BEN TOUNES Mahfoud	AÏn-Bessem
LEZAHRI ben Mabrouk	Laghouat
NAAS Mohamed ben Slimane	Djelfa
SIDI BOULEDDINE	Alger
CHEIK Seddik	Dellys

ÉFECTURE D'ALGER
1re DIVISION
No ..5422...

Copie conforme transmise pour son information à Monsieur le Secrétaire Général des AFFAIRES INDIGENES, à ALGER.

Alger, le 27 MARS 1937

Le Secrétaire Général

ملحق رقم:18 انتشار الحركة الاصلاحية في 1935 الجزائر الشرقية

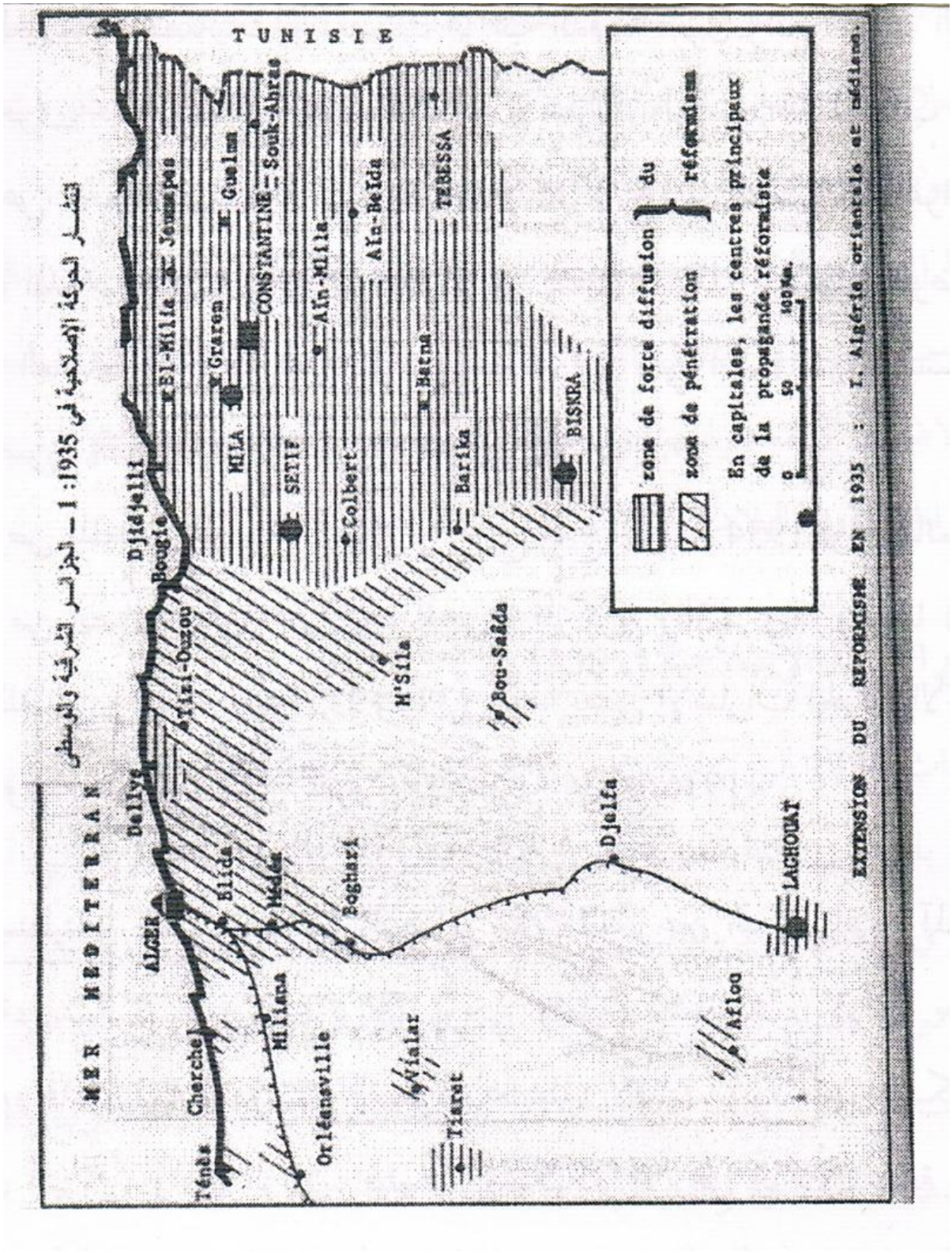

ملحق رقم:19

انتشار الحركة الاصلاحية في 1935 في إقليم وهران

قائمة المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولا:المصادر باللغة العربية

1:الكتب المطبوعة

1- الإبراهيمي محمد البشير،آثار... ،جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي،ج3،عيون البصائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1997.

2- ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج1 (1920-1936)،ج 2 (1936-1945)،ج3 (1945-1954) ، ط3 ، منشورات السائحي،الجزائر،2010.

3- ابن نبي مالك ، مذكرات شاهد القرن- الطالب - ، ترجمة عمر مسقاوي، ط2 ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق،1984 .

4- ابن نبي مالك ، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق،2000.

5- الثعالبي عبد العزيز، من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب ، أعدها للنشر وقدم لها وعلق عليها، الدكتور صالح خرفي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1995.

6- الجزائر،2003.

7- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،القانون الأساسي،طبع باللغتين العربية والفرنسية ،قسنطينة، د ت.

8- الجيلالي عبدالرحمان، تاريخ الجزائرالعام، ج4 ،ط7 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1994.

9- الجيلالي عبدالرحمان،محمد بن أبي شنب،حياته و آثاره، م و ك،الجزائر،1987.

10- حمدان بن عثمان خوجة ،المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري،م و ف م، الرغاية ،2005.

11- خير الدين محمد، مذكرات، ج1، م و ك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

12- رشيد رضا محمد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، ج 1، 2، 3، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1931.

13- الزواوي أبو يعلى،جماعة المسلمين،منشورات الحبر،الجزائر، 2006.

14- عباس فرحات،ليل الاستعمار،ترجمة فيصل الأحمر،دار المسك، برج البحري،الجزائر، 2010.

15- عيشون عمر ، نادي الترقي قلعة الإصلاح الأولى ، م و ف م ، الجزائر،1987 .

16- الفضيل الورتيلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى ، الجزائر،2007.

17- المدني أحمد توفيق ، هذه هي الجزائر، موك،الجزائر، 1984.

18- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج2 في الجزائر (1925-1954)، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010 .
19- مفدي زكريا ، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، جمع وتحقيق أحمد حمدي ،

2: الصحف باللغة العربية

2-1 :الإخلاص

1-**الإخلاص** 12،الصادريوم08/ 03/ 1933 - ع 5، 14 رمضان 1351هـ الموافق ل01/11/ 1933.

2-2: الإصلاح

1-**الإصلاح**، السنة 13،ع 19 ،27 فبفري 1940- السنة 13 ، ع 21 ، 13 أفريل1940-

2-3: الأمة

1-**الأمة**، السنة الثانية، ع84، 04 أوت 1936.

2-4:**البصائر**

1-**البصائر**،السنة الأولى من السلسلة الأولى،ع 12،23جوان 1936
- السنة الثانية من السلسلة الأولى،ع28،69ماي 1937
- السنة الثانية من السلسلة الأولى،ع 80 ، سبتمبر1937
- السنة الرابعة من السلسلة الأولى،ع4،98 فيفري 1938
- السنة الرابعة من السلسلة الأولى ع103،11مارس1938
- السنة الثالثة، ع15،1938/04/108
-السنة الرابعة من السلسلة الأولى، ع14،97جوان1938
- السنة الرابعة من السلسلة الأولى ع 24،119جوان1938
-السنة الرابعة من السلسلة الأولى، 17مارس1939،ع157
- السنة الرابعة من السلسلة الأولى، ع4،177 أوت1939

2-5:**البلاغ الجزائري**

1-**البلاغ الجزائري**،ع 12 ،أكتوبر1930.

-6: الحياة

1-**الحياة**،01أفريل 1933- ع2، 15أفريل1933.

2-7:**السنة**

1-**السنة**، ع2 ، 22 ذي الحجة1351هـ الموافق ل17 /1933/04.

2-8:**الشهاب**

مج 03، ع4،107 أوت 1927

- مج 03،السنة الثالثة ،ع109، 11أوت 1927

- مج 04 ،السنة الرابعة،ع 16،160أوت 1928

-مج 10،ج9،السنة العاشرة،أوت 1934

-مج9،ج1،جانفي1935

-مج 11،ج4،السنة الثامنة،جويلية1935

- مج11،السنة الثانية عشر فيفري 1936

- مج 12 ،السنة الثانية عشر،ج1،أفريل1936

-مج 12،السنة الثانية عشر،ج1 ،جويلية 1936

-مج 14 ،ج 1،السنة الرابعة عشر،مارس 1937

-مج15،ج1،فيفري1939.

2-9: **الصراط**

1-**الصراط** ، السنة الأولى ، ع 16 ، 01جانفي1934.

2-10:**النجاح**

1-**النجاح**،ع 2099، 12جانفي1938.

3: المراجع باللغة العربية

1- أجيرون شارل روبير ،الصحافة المكتوبة في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

2- أجيرون شارل روبير ،تاريخ الجزائر المعاصرة ، ترجمة ، عيسى عصفور، ط1، منشورات عويدات ، بيروت – باريس، 1982.

3- إحسان محمد الحسن، رواد الفكر الاجتماعي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 1999.

4- الأشرف مصطفى ، الجزائر الأمة والمجتمع ، ترجمة حنفي بن عيسى ، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007 .

5- آيت علجت محمد الصالح،الشيخ المولود الحافظي،حياته وآثاره،منشورات دار الكتاب،الجزائر، 1998.

6- بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية بالجزائر 1830 – 1871، ط1، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992.

7- بن بكير الحاج سعيد يوسف ، تاريخ بني ميزاب ، المطبعة العربية ، غرداية، 1999.

8- بن عاشورمحمد الفاضل ،الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.

9- بن ميلاد أحمد وإدريس محمد مسعود ، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والحركة الوطنية 1892-1940، ج1، ط2، بيت الحكمة، قرطاج ،1999.

10- بن نعمان أحمد ، التعريب بين المبدأ والتطبيق، ط2، دار الأمة، الجزائر، 1998.

11- بوالصفصاف عبد الكريم ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945 ،ط1 ، دار البعث،قسنطينة1981.

12- بوحوش عمار، العمال الجزائريون في فرنسا-دراسة تحليلية، شونت، الجزائر،1975.

13- بوحوش عمار،التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1987.

14- بوعزيز يحى ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

15- بوعزيز يحى ، السياسة الإستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري1830-1954، ديوان المطبوعات الجزائرية، بن عكنون، الجزائر،1995 .

16- بوعزيز يحى ،سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830-1954 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر،2009.

17- بوعزيز يحى،الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال النصوص1912/1948،ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1991.

18- تركي رابح ، التعليم القومي والشخصية الجزائرية 1931-1956، ط 2 ، ش و ن ت، الجزائر،1981.

19- تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،الجزائر،2001.

20- الجابري محمد صالح ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962،الدار العربية للكتاب تونس، ش و ن ت ، الجزائر،1983.

21- الجزار أحمد محمود ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف، دار المعارف الإسكندرية مصر، 1999م.

22- جغلول عبد القادر ، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة سليم قسطون، ط1،دار الحداثة، بيروت، 1984.

23- جغلول عبد القادر ، تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس ، بيروت لبنان،1981.

24- الجندي أنور ، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة، 1965.

25- حباسي شاوش ، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر1830-1962،دار هومة ، الجزائر، د ت.

26- حربية محمد ،الثورة الجزائرية سنوات المخاض، موفم للنشر، الجزائر، 2006، ص88.

27- حلوش عبد القادر ، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر 1870/1914، شركة الأمة للطباعة و النشر ، الجزائر ، 1999.

28- الحواس الوناس ،نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية ، كنوز الحكمة الجزائر،2012 .

29- خرفي صالح ،الجزائر والأصالة الثورية،ش ونت، الجزائر، 1997.

30- خرفي صالح، محمد سعيد الزاهري ،م و ك،الجزائر،1986.

31- الخطيب أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، م و ك،الجزائر، 1985.

32- الداودي محمود ، الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006.

33- دبوز محمد علي،نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة التعاونية، دمشق،1971.

34- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائررواد الصحافة في القرن التاسع عشر ، ج ،4،5،6 ، م و ك، الجزائر،1985..

35- سعدالله أبوالقاسم ، تاريخ الجزائرالثقافي،، 4، 5، 6،ط6، دار البصائر،الجزائر، 2009.

36- سعدالله أبوالقاسم ، منطلقات فكرية ، ط2، الدار العربية للكتاب،ليبيا – تونس،1982.

37- سعدالله أبوالقاسم ،أفكارجامحة، م وك، الجزائر، 1988.

38- سعدالله أبوالقاسم ،الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان 2000.

39- سعدالله أبوالقاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 (18301860-)، ط 6، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

40- سعدالله أبوالقاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية، ج1(1860-1900)، ط6، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

41- سعدالله أبوالقاسم ،الحركة الوطنية الجزائرية، ج2 (1900-1930)، ط6، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.

42- سعدالله أبوالقاسم ،محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،بداية الاحتلال،دار الغرب الإسلامي، بيروت ،2005.

43- سعدالله أبوالقاسم،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، 2،عالمالمعرفة،الجزائر، 2009.

44- صاري أحمد، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة

العربية،غرداية ،الجزائر،2004.
45- الصيد سليمان ، صالح بن مهنا القسنطيني ، ط1، دار البعث ، قسنطينة، 1983.
46- عبد الرحمن عواطف، الصحافة العربية بالجزائر، م و ك، الجزائر،1985.
47- العدوي ابراهيم أحمد ، رشيد رضا الإمام المجاهد ، الدار المصرية ، القاهرة ، 1964.
48- العلوي محمد الطيب، مظاهر المقاومة الجزائرية1830-1954، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.
49- عمارة محمد، الشيخ محمد عبده مجدد الإسلام ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د م ،د ت.
50- عمارة محمد، جمال الدين الأفغاني، دار المستقبل، القاهرة،1984.
51- العمري مومن : الحركة الثورية في الجزائر (1926-1954)، دار الطليعة قسنطينة الجزائر 2003م.
52- عوض صالح، معركة الإسلام والصليبية في الجزائر من 1830-1962،ج1،ط1،مطبعة حلب، 1989.
53- فراد محمد أرزقي ، الأفكار الإصلاحية في كتابات الشيخ أبي يعلى الزواوي، دار الأصل ، تيزي وزو،2009.
54- فضلاء محمد الحسن ، الطيب العقبي رائد الإصلاح الديني بالجزائر،م وفم ،الجزائر، 1985
55- فضلاء محمد الحسن، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ط1، دار الأمة، الجزائر، 1999.
56- قاسم محمود ، الإمام عبد الحميد بن باديس،الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، دار المعارف،مصر،1968.
57- قداش محفوظ ،تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية،ج1، 1919-1939،ترجمةامحمد بن البار، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011.
58- قداش محفوظ ،جزائر الجزائريين تاريخ الجزائر 18301954-،ترجمة محمد المعراجي، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة، الجزائر، 2008.

59- مريوش أحمد ، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط1،دار هومة الجزائر،2007.

60- مفدى زكريا ، تاريخ الصحافة العربية ، جمع وتحقيق الدكتور أحمد حمدي، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2005.

61- ناصر محمد ، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض مصلحا وزعيما ، مكتبة السريام،الدار البيضاء الجزائر، د ت.

62- ناصر محمد بوحجام ، الشيخ بيوض والعمل السياسي، المطبعة العربية ، غرداية ، 1991.

63- هاشم صالح، مدخل إلى التنوير الأوروبي، ط1، رابطة العقلانيين العرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،2005.

64- هلال عمار ، الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 – 1918، لافوميك، الجزائر، 1986.

4: مقالات باللغة العربية

1- خرفي صالح ، "الشعور الإصلاحي في الجزائر"، مجلة الثقافة، ع 44، 1972.

2- خرفي صالح ،"عمر بن قدور الجزائري ، رائد الصحافة الوطنية الجزائرية"،مجلة الحياة الثقافية ، ع32، تونس، 1984.

3- خليفي عبد القادر ، "سياسة التنصير في الجزائر"، مجلة المصادر، ع09، 2004.

4- سعد الله أبو القاسم ،"الاتجاه العربي في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين"، مجلةالثقافة، السنة السادسة،ع 31، الجزائر،صفر ربيع الأول1396هـ - فيفري مارس 1976.

5- شخوم السعدي ، "التعليم التقليدي في الجزائر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962" ، وزارة المجاهدين، عنابة، جوان،2009.

6- قداش محفوظ ،"الأمير خالد ونشاطه السياسي بين 1919-1925"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، ع4، جانفي 1968.

7- قنان جمال ، "التعليم الأهلي في عهد الاحتلال 1830-1944"، أعمال الملتقى

الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الإحتلال1830-1962، عنابة ،15جوان2009،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954.

8- مرتاض عبد المالك ، " نشأة الصحافة العربية وتطورها في الجزائر"، مجلة الثقافة، ع 33، يوليو 1967 .

9- مرحوم علي، "جمعية العلماء و دورها الاجتماعي و العقائدي"،مجلة الثقافة، الجزائر،ع 1984،83.

10- مريوش أحمد ،"موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي بالجزائر خلال فترة الاحتلال"، أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الإحتلال1830-1962، عنابة ،14-15جوان2009،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954.

11- مياسي ابراهيم،"إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية 1914/1900"،مجلة المصادر ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر،ع06،الجزائر،.2002.

12- ناصر محمد ، "الشيخ عبد الجميد بن باديس وعلاقته بالحركة الإصلاحية بوادي ميزاب"، مجلة الوعي،ع1، جويلية2010.

13- ناصر محمد ، "عمر بن قدور، رائد التضامن الإسلامي "،الأصالة، ع58-59، الجزائر،1978.

14- هلال عمار،"النوادي الثقافية الجزائرية التي كانت تنشط قبيل الحرب العالمية الثانية"، مجلة الدراسات التاريخية، ع1993،7.

موسوعات و قواميس

1- ابن منظور، لسان العرب،ج6، دار المعارف، د م، د ت.

2- إحددادن زهير ،أعلام الصحافة الجزائرية،ج4،مؤسسة إحدادن للنشر و التوزيع،حسين داي الجزائر،2002.

3- بدوي أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت،1982.

4- بوعزيز يحي ، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ، ج1 ، دار الغرب

الإسلامي ، بيروت، 1995.
5- جماعة من العلماء، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 2000.
6- جمعية التراث، معجم أعلام الإباضية ،ج2 ،نشر جمعية التراث، الجزائر، 1999.
7- دبوز محمد علي، أعلام الإصلاح في الجزائر، 4 أجزاء، ط1 ، مطبعة البعث، قسنطينة، 1976.
8- غربال محمد شفيق،الموسوعة العربية الميسرة،مج2،1، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، 1965.

6: رسائل جامعية

- الماجستير

1- بوشارب جمال ، حول موقف الإدارة الفرنسية من الصحافة الوطنية الجزائرية من خلال النصوص الرسمية 1881-1919، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1994-1995.
2- مياد رشيد ، نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين في الجزائر1927-1939، رسالة ماجستير ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2007-2008.
3- وابل عبد العزيز،القضايا الوطنية والمغاربية من خلال جريدة المنار (5119-5419)،رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر ،جامعة الجزائر 2012،2-2011.
4- واشق محمد الشريف ، أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر 1914/1900، مذكرة السنة الأولى ماجستير تاريخ ،إشراف الأستاذ جمال قنان، معهد التاريخ، جامعة الجزائر ، 1982.

-الدكتوراه:

1-بن عدة عبد المجيد ، الخطاب النهضوي في الجزائر1925-1954، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2005.
2-بوكابوس أحمد، الحركة الجمعوية الثقافية في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر، 2006-2007.
3-حسان مغدوري ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائريين خلال الحرب العالمية الثانية رسالة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 2014.

ثانيا : المصادر باللغة الأجنبية

1 ـالوثائق الأرشيفية

1-1: أرشيف آكس آن بروفانس ـ فرنسا Archives Aix –en –Provence – France

-Anom 15, GGA– 8cab-32, GGA -8Cab-171

1-2:الأرشيف الوطني الفرنسي Archives Nationales de France.

- Huntziger Charles Léon Clément , Cote LH/1327/5- Dossier 198000351, Cote 0350/47068.

1-3:أرشيف وزارة الشؤون الخارجية الفرنسية- Archives Diplomatiques La Courneuve Paris

-Afrique-Levant Algérie 1944-1959, Secrétariat d'Etat des Affaires Algériennes ,260QO/41,: personnalités politiques-

- Questions Culturelles،(Fev1945-Nov1951) Algérie , 44-5931

الأرشيف الوطني الجزائري Archives Nationales Algériennes

-Fond : GGA ,0485-IBA-BEA -026N°1900. 097N°1150 .

أرشيف ولاية الجزائر ـ الجزائر Archives de la wilaya d'Alger

-1z/12-668, 31-1256, 94-112

4: كتب مطبوعة

5-المـــــراجـع

1- Agéron Charles Robert, Genèse de l'Algérie Algérienne, Alger, archive d'imprimerie sur la presse,S L, 2010.

2- Agéron Charles Robert, Les Algériens Musulmans et la France (1871-1919), T2, puf, paris, 1968 .

3- Ageron Ch .R., Histoire De L'Algérie Contemporaine, Puf, Paris, 1964.

4- Azan Géneral, Bugeaud et L'Algérie, Le Petit Parisien.

5- Benachenchou Abdellatif, Régime Des Terres Et Structures Agraires, Au Maghreb, Edition Populaire De L'armée Avril 1970.

6- Benallègue Nora -Chaouia, Algérie Mouvement Ouvrier Et Question Nationale 1919-1954, Opu, 2010.

7- Berthault (P), Les Caractéristiques De L'économie Rural Nord Africaine, Imp,

Reunnie,Casablanca,1931.
8- Breil Jacques, , Etude De Démographie Quantitative, Rapport Du H.C.C.Tome 2,La Population En Algérie, Decument Française 1ere Edition, Imprimerie, Nationale,Paris,France,1957.
9- Calcat .M, Comment/Résoudre En Algérie L'équation Démographie-Ressources, 22 Juillet1946.
10- Cantier Jacques, L'Algérie Sous Le Régime De Vichy, Paris 2002, P63.
11- Claude - Vatin Jean, L'Algérie Politique Histoire Et Société, Edition Nouvelle, P,F,N,S,P. 1983.
12- Collot Claude et Henry Robert Jean, Le Mouvement National Algérien,Opu, Alger, 1985.
13- Darmon Pierre, Un Siècle De Passions Algériennes Une Histoire De L'algérie Coloniale, 1830-1840, Fayard.2009.
14- David Gordon including a formation of a citizien militia
15- David Gordon, , The Passing of French Algeria.
16- Depont Octave, L'Algérie Du Centenaire L'œuvre Française De Libération, De Conquête Morale Et D'évolution Sociale Des Indigènes Les Berbéres En France La représentation Parlementaire Des Indigènes. Préface De M. Pierre Codin ,Imp, Cadoret, 1928.
17- Djeghloul Abdelkader, Eléments d'Histoire Culturelle Algérienne,Collection Patrimoine, Enal, Alger, 1984.
18- Durkheim Emile, Les Règles de La Méthode Sociologique, pufquadrige, paris, 1981.
19- Ergretaut Marcel, Réalité De la Nation Algérienne, 2em Edition, Ed, Sociales Paris, 1961.
20- Gallissot René, L'économie De L'afrique Du Nord, (Que Sais-Je), Puf, Paris,1969.
21- Gautier E-F, , L'évolution De L'Algérie De 1830 a 1930, Cahiers Du Centenaire De L'Algérie ,S,I,N ,D. Paris,1930.
22- Hamouni Ahmed, Hassen Remaoun et Autres,L'Algérie, Histoire, Société et Culture,Ed Casbah , Alger, 2000.
23- Harbi Mohamed et Stora Benjamin, La Guerre d'Algérie, Ed Hachette, paris, 2005.
24- Hellal Amar, Le Mouvement Réformiste Algérien, Les Hommes et L'Histoire 1831-1957, OPU, Ben Aknoun Alger, 2002.
25- Julien Ch.A., Histoire De L'Algérie Contemporaine, 1827-1871. Puf,Paris,1964.
26- Kaddache Mahfoud, Histoire du Nationalisme, T 1-2, S.N.E.D, Alger ,1981.
27- kaddache Mahfoud, La Vie Politique à Alger de 1919à 1939, T1, S.N.E.D, Alger, 1970.
28- Lafage Lucien, Le Benbadissme et les Oulamas d'Algérie, Centre Des Hautes Etudes sur l'Afrique et l'Asie Modernes, S L,Décembre 1964.

29- Lespès René,Alger Etude Géographique et Histoire Urbaine, Paris, Alcan, 1938.
30- Mélia Jean, Centenaire De La conquête De L'Algérie Les Réfromes Indigènes, Paris (XVI).
31- MeliaJean, l'Algérie et la Guerre (1914-1918), Plon, paris, 1918.
32- Merad Ali, Le Réformisme Musulman en Algérie1925-1940, Paris, 1967.
33- Mohamed Smail ,Aspects De L'aménagement de La Steppe Algérienne cas De La W.Djelfa, thèse Du Doctorat, N.E, U.E.R. De Géographie Paul Valery Montpelier 3.
34- Nourisson Paul, Histoire de la Liberté d'Association en France depuis 1789, recueil Sirey, France, 1920.
35- Nouschi André, L'Algérie Amère 1914-1994, Fondation De La Maison Des Sciences De L'homme, Paris, 1995.
36- Rinn Louis, Le Séquestre Et La Responsabilité Collective, A-jourdan, Alger, 1890.
37- Sahli Mohamed Chrif, Décoloniser L'histoire, Alger, Edition,Enap,P55
38- Sari Djilali, Insurrection De 1881-1882,Sned,Alger,1981 .
39- Tiguia Mohamed, L'Algérie en Guerre, Opu ,Ben Aknoun Alger ,2009 .

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

-أ-

ابن الخوجة.....68، 69، 70، 71

ابن الفارض.....215

ابن الهاشمي.....213

ابن باديس .....62، 63، 69، 75، 77، 78، 123، 124، 125، 126، 131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 140، 142، 143، 155، 156، 158، 159، 160، 165، 166، 167، 172، 173، 174، 176، 177، 180، 181، 182، 183، 193، 194، 195، 196، 200، 205، 207، 210، 211، 214، 215، 216، 217، 218

ابن تيمية.....32، 60

ابن جلول.....157، 161، 162

ابن حنبل.....60

ابن خلدون.....14، 23

ابن زكري.....68

ابن سماية.....71، 72، 73، 74

ابن عليوة.....97، 100، 125، 191، 192، 194، 195، 203، 214، 215

أبو العباس.....32، 41، 97

أبو القاسم سعد الله ....أ، ح، 14، 28، 34، 47، 62، 65، 73، 86، 87، 89، 92، 95، 103، 120، 140، 143، 183، 184، 200

أبو اليقظان.....62، 185

أبو حامد.....14، 15، 16، 201، 202

أبو عبيدة.....11

أبو مدين.....45، 88، 93

أبو يعلى الزواوي..... 80، 81، 128، 191، 193

أبي الحسن الشاذلي..... 35، 88

أحمد بن الطيب الرحموني.....97

أحمد بن حنبل.....59

أحمد بن مصطفى بن عليوة.....د، 97

أحمد توفيق المدني.....127، 147، 148

أحمد حماني.....د، 80، 83، 133، 135، 155، 176، 191، 210، 211

الإبراهيمي .....62، 77، 78، 79، 80، 124، 125، 126، 129، 130، 144، 145، 147، 148، 149، 158، 162، 175، 176، 179، 180، 182، 183، 186، 187، 197، 198، 199، 202، 205، 206، 207، 208، 212، 213، 215، 216، 217، 218

الأخفش.....17

الأشعري.....18، 60، 82، 129

الأفغاني.....ب، 54، 57، 62، 139

الأمير عبد القادر.....ح، 32، 33، 37، 47، 88، 151، 204

التيجاني.....33، 36، 41، 42، 43، 44، 76، 95

الجيلالي صاري.....30

الحداد.....97

الحسن البصري.....12، 23

الرازي.....55

الزاهري.....62، 135، 137، 153، 192، 193، 194، 195، 196، 198، 203، 206

الزمخشري.....20، 54

الزواوي.....80، 190، 193، 213

السلاوي.....80

الطيب العقبي.....77، 83، 120، 121، 123، 126، 127، 135، 137، 162، 187

العربي التبسي .....د، 81، 82، 141، 213

العربي التواتي.....213

العمروسي.....94

العمودي.....62، 185

القشطولي.....94

القشيري.....12

المولود بن الصديق الحافظي.....133، 134

المولود بن الموهوب.....63، 66، 155

الورتلاني.....65

-ب-

بن مرزوق.....20

بن مشيش.....35، 36، 88

بيتان.....147

-ج-

جابر بن حيان.....23

-ح-

حماد الدباس.....86

-د-

دونوف.....10

ديغول.....147

-س-

سعود.....63، 79

سليمان بن بوسماحة.....36

-ش-

شكيب أرسلان.....163

-ص-

صالح بن مهنا.....64، 65

-ط-

طاهر بن عاشور.....99

-ع-

عبد الحفيظ الحنقي.....97

عبد العزيز الثعالبي.....165

عبد العزيز بن الهاشمي.....91

عبد القادر الجيلاني.....35، 37، 38، 46، 86، 87، 88، 89، 91

عبد القادر القاسمي.....151

عبد القادر المشرفي.....89

عبد الله الشريف المشرفي.....36

عمار بن الأزعر.....185، 186

-غ-

غلام الله.....154

-ف-

فرحات عباس.....ح، 122، 147، 161

-ل-

ليون روش.....204

-م-

ماكما هون.....10

مالك بن نبي.....78، 83، 121، 128

مامي إسماعيل.....210، 211

مبارك الميلي.....د، 82، 128، 133، 152، 167، 217

محمد الأخضر السائحي.....184، 185

محمد الخيضري.....43

محمد العشعاش.....159

محمد المدني.....99

محمد الهاشمي.....90، 175

محمد بن إبراهيم آل الشيخ.....80

محمد بن أبي شنب.....74

محمد بن عبد الرحمان الجرجري.....36

محمد بن عثمان الكبير.....89

محمد بن عودة.....47

محمد بن مصطفى بن الخوجة.....68

محمد خير الدين.....138، 164، 165، 169

محمد سعيد الزاهري.....153

محمد عبده.....، 54، 68، 71، 72، 76، 139، 180

محمد علي عباس التركي.....147

محي الدين بن عربي.....25، 88

مصالي الحاج.....188، 204

مصطفى الغريس.....37

مصطفى الغريسي.....89

مصطفى بن عزوز.....96

-ن-

نيكلسون.....12

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس الأماكن و البلدان

-أ-

إفريقيا.....19، 28، 43، 68، 76، 120، 139
154، 176، 177

الأندلس..... 20، 41، 88، 93

البليدة.....105

البياضة.....90

الجزائر..... ، 10، 11، 14، 19، 22، 24، 26، 27، 28، 29، 30، 33، 34، 35، 37، 39، 41،
43، 44، 45، 46، 47، 52، 54، 61، 62، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 71، 72، 74، 75، 76، 78، 83،
85، 86، 88، 89، 91، 93، 94، 95، 96، 98، 99، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109،
110، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 120، 123، 124، 126، 127، 130، 131، 132، 134، 135،
138، 139، 140، 142، 143، 147، 148، 150، 151، 155، 156، 159، 160، 161، 162، 163، 164،
165، 168، 169، 170، 171، 173، 176، 177، 181، 182، 183، 185، 187، 192، 193، 194، 197،
199، 200، 201، 203، 204، 206، 208، 210، 212، 213، 215، 216، 218، 220، 221، 222

الرويسات..... 47، 48

السنغال.....43

الشرق الأقصى..... 37، 41

العراق.....12

القاهرة..... 12، 33، 35، 55، 56، 58، 93، 94، 176

القدس.....162

الكوفة.....12

المغرب ...9، 14، 16، 20، 21، 23، 24، 25، 27، 28، 34، 35، 41، 42، 46، 67، 72، 73، 74، 75، 76،
85، 88، 91، 112

الهامل..... 31، 48، 49، 65، 151، 214

الهند..... ب، 94، 96

أوروبا..... 191

أولاد جلال..... 36

إيطاليا..... 176

-ب-

باريس..... 91، 139، 166

بجاية..... 46، 88، 93

برلين..... 176، 177

بسكرة..... 97، 135

بلاد فارس..... 23، 86

بوسعادة..... 151

بوسمغون..... 42، 43

بيروت.... 14، 15، 17، 18، 24، 30، 32، 47، 49، 54، 76، 79، 81، 94، 120، 121، 128، 139، 181، 187، 201

-ت-

تقرت..... 105

تلمسان..... 24، 41، 42، 43، 45، 93، 162، 176

توات..... 31، 42، 43

تونس..... خ، 22، 29، 75، 92، 97، 98، 99، 100، 121، 134، 138، 148، 190، 204، 216

تيارت..... 47، 154، 213

-ج-

جبل بوزان.....36

جرجرة.....94

-د-

درنة.....89

-س-

سطيف.....36، 78، 124، 134، 148، 149، 158، 161

سوريا.....177

سوريا.....19

سيدي بلعباس.....108

-ص-

صدوق.....36، 97

-ط-

طولقة.....36

-غ-

غليزان.....47، 213

-ف-

فاس.....41، 42، 43، 88

فرنسا.....47، 75، 103، 105، 112، 117، 118، 119، 122، 123، 131، 138، 139، 141، 142، 143، 144، 146، 147، 148، 149، 150، 152، 153، 154، 158، 161، 162، 164، 165، 166، 171، 173، 174، 175، 176، 200، 203، 205، 206، 209، 214

-ق-

قسنطينة، 10، 62، 63، 67، 80، 82، 105، 106، 121، 124، 131، 132، 134، 147، 148، ،149،،

152، 154، 157، 161، 162، 163، 165، 169، 172، 173،184، 192، 197، 199، 209، 210، 213،

217، 218

قمار..... 48، 185

-ل-

ليبيا.....177

-م-

مستغانم..... 97، 98، 99، 130، 189، 190، 214، 216

مصر..... 11، 12، 41، 56، 57، 61، 81، 87، 91، 92، 94، 125، 134، 139، 204، 214

معسكر..... 88، 89، 151، 213

-و-

وهران.....19، 28، 37، 44، 46، 47، 89، 116، 143، 153، 154، 158

فهرس المحتويات

الفهارس

البسملة

الإهداء

التشكرات

مقدمة.....أ-د

الفصل الأول التصوف طرقه وخصائصه 9

1- مدخل إلى التصوف ونشأته:.....11

-2 مفهوم التصوف:.....11

3- الطريقة :.....17

-4 تعريف الزاوية.....18

أ- لغة: 18

ب- اصطلاحا: 19

أنوع الزوايا : 21

5- الطريقة الصوفية كظاهرة اجتماعية :.....21

6- نشأة التصوف و انتشاره في المغرب الإسلامي :.....23

7- الطرق الصوفية كظاهرة اجتماعية:.....25

8- خصائص الطرق الصوفية ومميزاتها:.....30

9- الأهداف الصوفية:.....31

10-أهم الطرق الصوفية في الجزائر.....33

أ- الطريقة الدرقاوية الشاذلية : 35

ب- الطريقة الطيبية الشاذلية:..... 36

ت- الطريقة الرحمانية الخلوتية: 36

ث- الطريقة الشيخية الشاذلية: 36

ج- الطريقة القادرية :..... 37

الفهارس

أسس الطريقة القادرية :..... 39

ح- ب الطريقة التيجانية : 41

- خصائص الطرق الصوفية ومواردها :.....48

خصائصها : 48

- مواردها : 49

الفصل الثاني الفكر الاصــلاحي: 53

1- مفهوم الإصلاح:.....54

- لغة:..... 54

اصطلاحا:.... 56

2- الاصلاح والتجديد :.....58

اصطلاحا:.... 59

3- الإصلاح والنهضة:.....61

لغة:..... 61

اصطلاحا:.... 61

4- رواد الإصلاح.....63

5- الفكر الإصلاحي بالجزائر وعلاقته بالفكر السلفي.....77

الفصل الثالث: الطرق الصوفية المعاصرة لجمعية العلماء وأعلامها 84

أهم الطرق الصوفية المعاصرة لجمعية العلماء وأعلامها.....85

الطريقة القادرية:..... 85

- تعاليم الطريقة القادرية:..... 87

من أهم شيوخ وأعلام الطريقة القادرية بالجزائر:..... 90

1-الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم:.....90

2-الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي:.....91

الفهارس

ظهورها في الجزائر:.....93

الطريقة الرحمانية: 94

الطريقة العلاوية 97

-1الشيخ محمد بن خليفة المدني:.....99

الفصل الرابع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر 1900-1945 100

1- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للجزائر 1900-1945.....101

الأوضاع الاقتصادية:..... 102

-2 سياسة نهب الثروات واستغلالها:.....105

-3 أسس السياسة الاقتصادية الاستعمارية.....107

تأثيرات الأزمة الاقتصادية لسنة 1929 على الوضع في الجزائر.....112

الأوضاع الاجتماعية 117

-4 خلفيات الصراع بين رجال الطرقية و رجال الإصلاح و بعض مظاهره.....123

1-4 مظاهر الخلاف بين جمعية العلماء والطرقيين.....124

1-1-4 - إنكار بدع الطرقية.....124

2-1-4 - نقد التنظيم الهيكلي للطريقة.....125

3-1-4 - نقد النزعة الاستغلالية لدى مشايخ الطرق.....128

4-1-4 - نقد الطرقية للحركة الإصلاحية.....129

5- موقف الإدارة الفرنسية من الطرفين.....131

6- موقف الطرفين من السياسة الاستعمارية.....138

1-6 موقف الطرفين من التجنيس والإدماج.....140

2-6 سياسة الفرنسة.....142

3-6 موقف الطرفين من فصل الدين عن الدولة الفرنسية.....144

7- موقف الطرفين من أحداث السياسة الكبرى في الوطن.....147

1.7 موقف الطرفين من مجازر 8 ماي 1945 147

الفهارس

الفصل الخامس القوانين الفرنسية في مواجهة المد الإصلاحي 150

-1 الصراع ضد الطرقيين والموظفين المدنيين الرسميين.....151

2- قرار رينيه وشوطان:.....161

2-1 قرار رينيه 161

2-2 قرار شوطان 168

3- الأوضاع في الجزائر عشية قيام الحرب العالمية الثانية.....171

رفض العلماء تأييد فرنسا في الحرب العالمية الثانية 175

الفصل السادس العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية 178

-1 العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية.....179

1-1 مرحلة التوافق وأسبابها: 180

أولا-بداية التوافق ومدته:.....180

ثانيا- أسباب التوافق:.....184

-1 إستراتيجية التوافق عند جمعية العلماء :.....184

-2 إستراتيجية التوافق لدى الطرق الصوفية:.....186

ثالثا - مكانة الطرفين في الواقع الجزائري :.....187

2-1 مرحلة الخلاف وأسبابها: 191

أولا- الاختلاف الفكري بين الاتجاهين :.....201

ثانيا- الأسباب النفسية للإختلاف.....201

ثالثا- المؤامرة الاستعمارية و سياسة فرق تسد.....203

رابعا- نتائج الخلاف بين الجمعية والطرق الصوفية.....207

أ -زيادة شدة الخلاف.....208

ب - تضييع المكاسب والطاقات:.....210

تضييع الطاقات:.....210

ج - ظهور جمعية علماء السنة:.....211

الفهارس

الخاتمة:..... 222-224

قائمة الملاحق

فهرس المصادر و المراجع

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن و البلدان

فهرس المحتويات